كلنا دعاة

المجلد الثاني

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم

كلنا دعاة

المجلد الثاني

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

ح دار القاسم للنشر والتوزيع ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد الملك محمد

كلنا دعاة / عبد الملك محمد القاسم - الرياض، ١٤٢٥هـ

٢ مج

ردمك: ٨ - ٩٢٣ - ٣٣ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٤ - ٩٢٥ - ٣٣ - ٩٩٦٠ (ج٢)

١- الدعوة الاسلامية أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٥/٣٢٠٥

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٢٠٥

ردمك: ٨ - ٩٢٣ -- ٩٩٦٠٣٣ (مجموعة)

٤ - ٩٢٥ - ٩٩٦٠٣٣ (ج٢)

الصف والإخراج والتصحيح بدار القاسم للنشر

فروع دار القاسم للنشر

جدة . هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ . فاكس: ٦٣٣٣١٩١

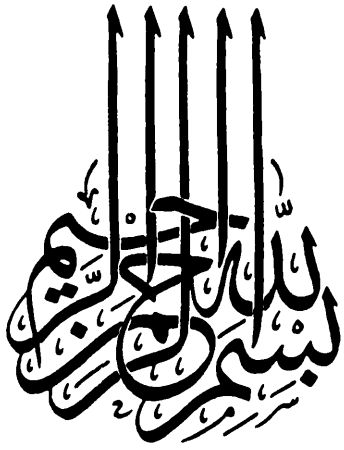
الدمام . هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ فاكس: ٨٤١٣٠١١

بريدة . هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ . فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

خميس مشيط . هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ . فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

www.dar-algassem.com

sales@dar-algassem.com


بسم الله الرحمن الرحيم

هل من مشمِّر؟!

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الخير باقيًا في هذه الأمة إلى يوم القيامة، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الذي بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وبعد:

فإن الطريق إلى الدار الآخرة طويلة شاقة.. يعتريها بعض الكسل والفتور والإعراض والنفور..

وقد جمعت بعض مداخل ومسالك تعين السائر في الطريق وتحث الراكب على المسير.. ولم أكتبها ليعرفها القارىء، ويطلع عليها فحسب، أو ليتذوقها، ويتمتع بالأسلوب والطرح فيها.. فهذا لا يعذر به، ولكني كتبتها تذكيرًا وتنبيهًا.. وحثًّا وتيسيرًا.

ينيخ القاريء ركابه حولها فيحمل واحدة وثانية وثالثة.. وكلما فتر وطاب له الكسل.. قلَّب صفحات الكتاب فرأى بغيته.. ونال منيته.

فلعله يجد في طلب واحدة أو أكثر.. إن كان من أصحاب الهمم العالية ممن يتحرقون شوقًا لخدمة الإسلام، ويتشوقون لرؤية راية التوحيد عالية.. ممن أنعم الله عليهم بالتوفيق والسداد والهمة والنشاط.

جعل الله لنا نصيبًا من ذلك ورزقنا الإخلاص في القول.

مدخل

هل من مشمر؟!

نعم هناك مشمرون . .

ولكن التشمير إلى أين ؟ !

* إنَّه إلى جنة عرضها السموات والأرض . . مسارعة للخطى . . وتقوية للعزائم . . وحث للنفوس . .

إنَّها خطوات في الطريق إلى هناك، حيث الموقف العظيم . . ثم ـ برحمة الله ـ إلى روح وريحان وجنة نعيم .

نستدرك بالتشمير تقصيرنا . . ونعوض بالسير القويم تكاسلنا وتأخرنا .

هل من مشمر؟!

كل يوم في طريق . . وكل حين في سبيل .

خطوات متسارعة وقفزات متتابعة . .

نسد الفرج . . ونغلق الثُلم .

نُحصن أنفسنا . . ونبني ديارنا .

هل من مشمر؟!

نداء لمن تأخر عن الركب . . ولا يزال يرى القافلة . . شمر عن ساعدك . . واستدرك أيامك .

هل من مشمر؟!

إنها دعوة للتشمير . . فهل من مشمر ؟ !

نـــداء

إلى شبـــــــــــــــــاب الأمـــــــــــــــــة..

إلى أبنـــــــــــــــــاء الإســـــــــــــــــلام..

إلى حملـــــــــــــــة الـــــــــــــدعـــــــــــــوة..

مـــــــــــــن غيركـــــــــــــم يشمـــــــــــــر؟!

***

التشميرة الأولى

نتحدث بأصوات مرتفعة في مجالس كثيرة.. أوقاتنا ضائعة وأيامنا مهدرة.. فلا نستفيد منها.

تمر علينا الشهور والسنون دون فائدة..

ويتحول ذلك الحديث نحو مصب واحد يتفق عليه الجميع.. إنها مشاغل الحياة وزحمة الأعمال..

وتتوالى الأعذار الواهية.. فتنفرج الأسارير وكل يجد بغيته.. ويلقي باللوم على غيره!!

ولكن عندما رأيته كالجبل ثابتًا قوة ورسوخًا.. أعمال ينجزها في أيام ومشاريع يفكر فيها في ساعات.. هو الذي يخطط ويكتب وينفذ.. ثم يتابع بدقة جميع الأعمال.

هل عرفته؟!

إنه شاب في مقتبل العمر.. مثل كثير من الشباب له وظيفة ولديه زوجة وأطفال ووالدة وأهل..

له مشاغل في الحياة وهموم في النفس..

له تلاميذ في الجامعة.. وله ابن يمرض وزوجة لها مطالب.. وسيارة تحتاج إلى إصلاح.. إنها متطلبات الزمن!!!

ولكنه يختلف عنا بحياة في قلبه، وحرقة في كبده.. لقد نذر نفسه لخدمة هذا الدين.. فاتجه إلى خدمته عبر إحدى الهيئات والمؤسسات الخيرية..

شعلة من نشاط، وقبس من نور.. إجازته تكون في متابعة أعمال المؤسسة

في الخارج . . أعمال لا نهاية لها . .

حدثني مرة أنه يستعد للبدء في رسالة دكتوراه ! !

ولم يكن يدور في خلدي أنه رغم هذه المشاغل والأعباء يلازم دروس العلماء بعد الفجر . . وأحيانًا أخرى بعد صلاة المغرب إلا عندما أقنعني بالحضور وتعللت بضيق الوقت . . فاجأني بأنه يحضر دروس الشيخ العلامة بعد الفجر ! !

قلت في نفسي : وعيني تتابع جسمه النحيل وبنيته الضعيفة . . يكفي منك عشرة . . يكفي أن تنجب أمهات المسلمين عشرة مثلك .

لم يكن تعجبي يطال علماء الأمة ومشايخها فقد علمنا حرصهم على الوقت ومحافظتهم على دقائقه وثوانيه . . ولكن تعجبي أن هذا الشاب في مثل سني وسنك . . ورغم ذلك ركب المركب الصعب . . وبذل نفسه واستطاع أن يجمع بين الدين والدنيا ! !

ونحن - أخي الحبيب - فرطنا في الكثير . . وما عملنا إلا القليل .

بقي أن نشمر سويًا ، فالأبواب مفتوحة ، وطرق الدعوة متعددة . . ومجالات العمل فيها تتناسب مع قدرات كل فرد قل تعليمه أو ارتفع .

فكل في طريق . . وكل على ثغره . .

والقطرات تصب في نهر لتجتمع وتروي ظمأ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . . دعوة وإغاثة وإصلاحًا .

تتألم وأنت ترى شباب الأمة تضيع أيامه وتهدر أوقاته . . وهي أوقات غالية نفيسة تُشترى بالمال ! !

أخـي الحبيب: هل من مشمر؟!

التشميرة الثانية

اجتمعت مجموعة من الشباب المتحمس لنشر دين الله.. الباحثين عن مواطن الخير.. وبدأوا في البحث عن عمل ينفع المسلمين.. وكانت الفكرة.. إنهم هواة المراسلة؟! قال أحدهم متعجبًا: ماذا نفعل بهواة المراسلة، وهم ليسوا من مجتمعنا وبيننا وبينهم المفاوز والقفاز؟!

ولكن من طرح الفكرة أوضح الأمر..

هؤلاء شباب وفتيات المسلمين من أقطار مختلفة يرسلون صورهم وعناوينهم إلى مجلات منحطة منحلة.. ويطلبون المراسلة، وبهذا تقام علاقات بين الرجال والنساء وبين الرجال والرجال.. إنه أمر مؤسف..

ضياع وقت، وانحلال أخلاق، وخسارة مادية!!

وسنكون ممن يراسل هؤلاء استجابة لطلبهم، ولكن بالكلمة الطيبة والنصيحة الصادقة والكتاب المفيد.

إنهم في حالة فراغ يستقبلون ما نرسل لهم، بل إنهم في أشد الشوق لرؤية هذه الكتيبات التي تملأ مكتباتنا.. وهم لا يجدونها.

والأمر بالنسبة لنا ميسور.. كل واحد منا يأخذ من إحدى المجلات الأسماء والعناوين ونبدأ من الأسبوع القادم مراسلتهم.

* وكان ذلك.. في الجلسة الثانية.. قرروا توزيع العمل بينهم.. قال أحدهم: يكون لكل فرد منا دولة معينة يرسل لها الرسائل. وتم ذلك وبدأوا بعشرة عناوين.. اختاروا كتابًا في العقيدة وآخر في الرقائق والتوبة وثالثًا في

الأذكار وعمل اليوم والليلة.

شهر واحد فإذا بالرسائل ترد تحمل الخير والبشر والرجوع والعودة.. لقد تاب على أيديهم الكثير، واهتدى على أيديهم الكثير..

أوقاتهم مشغولة.. ومجالسهم حديث عن هذا العمل.. بدأوا يرسلون كتبًا أخرى.

عرف بعض العلماء والدعاة طريقتهم فتأثروا.. وقالوا: الحمد لله بدأتم تطرقون أبوابهم.. هم يبحثون عن الشر وأنتم يا أهل الخير وصلتم إليهم..

رأى بعض العلماء رسائل التوبة والعودة.. وسقطت دمعة من عين عالم الأمة عندما قُرِئت عليه رسالة أحدهم وهو يعلن رجوعه وهدايته..

التشميرة الثالثة

* تأمل كثيرًا . . وحمد الله . . نعم كثيرة لا تحصى ولا تعد . . زوجة وأبناء كالورود . . كل يوم يرى ابتسامة مشرقة منهم . . ولكنه استدرك . . هذا المنزل العامر بالمحبة والمودة لم يقم فيه منذ سنوات درس علمي أو ديني . .

قرر وهو ينادي زوجته وأبناءه كل نهاية أسبوع بعد مغرب يوم الأربعاء هناك درس وسوف نقيمه أنا وأنتم في المجلس الرئيس . حتى يأخذ طابع الجد . .

كان له ذلك وقرأ عليهم في جو من الإنصات والاستماع سيرة الرسول ﷺ . . وكان ذلك الدرس انطلاقة لتتواصل الدروس في منزل الود والحب . .

منزل يحفه الإسلام والإيمان . . فرحت الزوجة . . أما الأبناء فإنهم يتشوقون إلى ذلك الموعد .

* رفع صوته وقال : اللهم صل على محمد وأردفت . . صدق الله العظيم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم] ردد ذلك وهو يسمع عبر المذياع قول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ : «**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أفًّا قط ، ولا قال لشيء : لِمَ فعلت كذا؟ وهلاَّ فعلت كذا؟**» .

قرر أن يقتفي ذلك الأثر ويسير على ذلك النهج . . وقال في نفسه أحاول أن أكون مع خادمي هينًا لينًا . . آمرًا له بالمعروف وناهيًا له عن المنكر . .

وعاد يردد بتعجب . . عشر سنوات ! ! اللهم صل على محمد .

* يتفقد أيتام حيهم ، ويسأل أمهاتهم عن غيابهم عن المسجد ، وماذا يريدون؟ ويذهب للمدرسة ليسأل عن مستوي الأيتام ويؤانسهم . . ويذهب

بهم مع أطفال الحي إلى رحلات قصيرة ومعهم إمام المسجد أو مدرس حلقة تحفيظ القرآن. . ولا ينسى أن يمسح دمعة اليتيم، ويمر يده على رأسه. . فله بكل شعرة حسنة قال ﷺ: «**من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كانه له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى**».

وقال أيضًا لمن شكى له قسوة في قلبه: «**إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**».

* قال له وهو يهز رأسه: أخذت الأمر كتذوق. . متى ما طاب لك الوقت ذهبت ؟! منذ سنة كاملة لم تحضر سوى محاضرتين فقط. . أنت تأتي للتذوق والمتعة. . لا للفائدة.

لماذا محاضرتين فقط. هذه الدروس والمحاضرات زاد روحي تعين على السير، وتثبت على الطريق. عليك بلزوم دروس العلماء وخذ نفسك بالهمة والعزم.

سافرت معه أسبوعًا كاملاً. . ما سمعته اغتاب أحدًا ولا عاب مسلمًا. . تعجبي سبق سفري معه. . ولكنه أكد لي في السفر أن هناك من يحفظ لسانه ويأخذ حذره. . فلا غيبة ولا نميمة. .

نعم الصاحب في السفر والرفيق في الحضر.

كل شهر يشتري مجموعة من الأشرطة المخفضة، ويسعى لشراء كتب مناسبة ثم يقوم بتوزيعها على الجيران.

سنَّ سنة حسنة!! له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

* قرر أن يأخذ من وقته لقراءة أمهات الكتب وقتًا قصيرًا. . شهور فإذا

بالوقت القصير أصبح طويلاً . . وإذا بأسماء علماء السلف ومؤلفاتهم على لسانه . .

البعض لا يوجد في منزله كتاب واحد من كتب أئمة المسلمين وعلمائهم؟!

* يتفقد أحوال الجيران وشبابهم مع الإمام والمؤذن . . أصبح لديه معلومات كاملة عن أهل الحي .

هذا ينصحه . . وهذا يوجهه . . وهذا يعينه . . وهذا يذهب لمدرسته . . وتلك بحث لها عن زوج . . وأما الأرامل والأيتام فكل شهر يصرف لهم بعض المال وكثيرًا من المواد الغذائية ويدفع الإيجار مباشرة إلى المالك .

* غالب الانحرافات التي تصيب الشباب من رفقاء السوء . . ولقد بحثت حالات كثيرة ووجدت أن السبب الأساسي في طريق المهالك . . هم رفقاء السوء .

سكت المحاضر ثم أتم . . ولقد انتقيت لنفسي ولأبنائي رفقة صالحة، تعبت من البحث عنهم حتى وجدتهم . . هم أهل الطاعة والصلاح!!

فانظر من حولك . . فكل قرين بالمقارن يقتدي!!

* طال تعجب الكثير من همته وصبره حتى حفظ القرآن . .

قال لهم: أنتم أكثر حفظًا وأسرع قراءة وأكثر أوقات فراغ . . ولكن ينقصكم الهمة والعزيمة . .

ولقد قررت وأنا في المرحلة الثانوية أن أتم حفظ القرآن مع تخرجي وكان لي ذلك ولله الحمد . .

إنها سبع سنوات حفظت في كل سنة أربعة أجزاء فقط . . أي في كل ثلاثة

أشهر جزءًا واحدًا . .

هل هذا صعب المنال؟!

* للتحدث بنعمة الله وحثًّا لهم على الحضور إلى الصلاة مبكرين قال لهم المؤذن . . كل ثلاثة أيام أختم القرآن؟!

وشباب الحي أمامه . . سألته العيون في استغراب كيف؟! قال: غالبًا بين الأذان والإقامة عشرون دقيقة أختم فيها جزءًا أو يزيد أو يقل، ولكن في ثلاثة أيام أكون ختمت القرآن؟!

سألهم: أرأيتم كم فاتكم من الأجر وأنتم لا تأتون إلا مع الإقامة أو بعدها؟!

تساءل الجميع في اجتماع عائلي أين شبابنا بل أطفالنا؟ لا نراهم . . بل نتركهم لمن؟! لرفقاء السوء وأصدقاء الشر؟!

قال أحدهم: نجتمع كل أسبوع مرة واحدة في رحلة برية . . فيها رفقة صالحة، وهناك تسلية، ونختم الرحلة بدرس تربوي علمي . . هذا حفظ لهم . . فهم رجال أسرتنا غدًا . .

وموسم الحج قد طرق الأبواب . . قال أحدهم: مع من ستحج يا عبد الله؟!

أجاب: سأذهب للصومال فلدي مسؤولية عن مشروع الأضاحي هذا العام.

وحين طرح السؤال على الآخر، قال: سأذهب إلى الحج هذه السنة مع إحدى المبرات الخيرية لتوزيع الطعام والماء على الحجاج؟!

إنه نموذج مشرف لشباب الأمة!!

* قال له الشيخ وهو يستعرض الوظائف الدنيوية: عليك بالتعليم.. فمتى تجد أربعين طالبًا يستمعون إليك لمدة خمس وأربعين دقيقة كل درس.. تغرس فيهم من القيم.. والعلم ومحبة الله وطاعته ما شاء الله لك..

هذه فرصة عظيمة.. متى تجد مثل هذا العدد تربيهم وتنشئهم التنشئة الصالحة.

التعليم هو الطريق إلى شموخ الأمة وعلوها!!

* نذر نفسه لمساعدة الغرباء والضعفاء ممن يصلون معه في المسجد.. فهذا لديه زيارة لقريبه وذاك لديه مشكلة مع كفيله.. وآخر يبحث عن سيارة صغيرة.. وثالث يذهب معه ليساعده في قبول ابنه في المدرسة القريبة..

قال لزوجته: هؤلاء مسلمون يشهدون معنا الصلاة.. نواسي غربتهم ونوآنس وحدتهم.. ولذلك دعوتهم هذه الليلة للعشاء عندنا.. هم وزوجاتهم!!

* التقى بحارس العمارة الكبيرة.. وطلب منه أن يضع دولابًا صغيرًا في مدخل العمارة لوضع الكتب والأشرطة.. وافق وتم الأمر..

فإذا بنور يضيء الداخل والخارج؟!

* عندما علم شباب المسجد بعودة أحد المصلين إلى بلده.. تهامسوا.. لابد أن نقدم له هدية..

وتم التشاور وكلفوا أحدهم بمهمة جمع مجموعة مختارة من كتب أئمة السلف وبعض الكتيبات وجعلها في حقيبة كبيرة ليتسنى للمسافر حملها..

قالوا له: هذا أغلى من الذهب.. فيها كتب العقائد والتفسير والفقه.. وعلمٌ يكفي لقريتك؟!

* في جمع حافل دخل معه أحد الشباب وعلى محياه البشر والسرور.. وقال: سلموا على أخيكم «....» ثم أردف هو فرنسي أسلم اليوم وصلى أول صلاة له في الإسلام مغرب هذا اليوم.. سلم الجميع ودعوا له بالثبات والتوفيق.. حين سأله أحدهم عن إسلامه.. قال له الداعية الشاب.. جلست معه جلسات متتالية لمدة ثلاثة أشهر حتى هداه الله..

وهناك الكثير في الطريق إن شاء الله.

نذر نفسه لمصالح المسلمين.. هاهو يقصد لجاهه وهمته و«فزعته» أضحى من لديه مشكلة عائلية يسر إليه بالأمر ويسأله الحل.. فهو رجل عاقل يقدم الشرع على الهوى والعاطفة.. ولا يتأخر إذا كان الأمر يتطلب ذهابه مرات ومرات في سبيل حل مشكلة زوجة مع زوجها أو مطلقة مع والد ابنها!!

أين أنت يا مشمر؟!

التشميرة الرابعة

أطلق تنهدًا طويلاً وهو يتألم حسرة ويقول:

ليت أموري المادية تتحسن وظروفي تتيسر، فإني أتمنى أمنية تحرق قلبي وتقض مضجعي..

نفسي تتوق وتتشوق إلى زيارة المسلمين في روسيا.. بلاد الإمام البخاري والإمام مسلم- رحمهما الله - بلاد بخارى وسمرقند وطاشقند..

قال له من يستمع الحديث.. كفيت العناء ومشقة الطريق.. هاهم عندك!!

قال: أين؟!

أجاب وهو يوضح الأمر: هاهم يقصدونك من على بعد آلاف الأميال..

أعينهم متلهفة وقلوبهم متشوقة.. وآذانهم مستمعة.. هاهم في موسم الحج كل عام يأتون.

ولكن ماذا قدمت لهم؟! يا صاحب الأمنية!!

لا يكن حظك من الدنيا الأماني والقول!!

التشميرة الخامسة

ما إن أقبلت الإجازة حتى كان أمرهم إلى اتفاق وموافقة . . قرروا القيام بجولة لمدة شهر . .

راحة من عناء العمل ومعرفة للبلاد . . وحمل للهم الأكبر . . ألا وهو الدعوة إلى الله . .

لم يكن الجميع في مستوى واحد من العلم، ولكن أقلهم علمًا من قال: أنا أُعلِّم الناس شروط وواجبات وأركان الصلاة . . بل وأردد عليهم قراءة السور القصار ليحفظوها . .

سارت القافلة . . يحوطها الإيمان والطمأنينة . . وكان اتجاه سيرهم نحو القرى والهجر والأرياف . . يزورون بعض المدن في الطريق، ويسلمون على العلماء والمشايخ في تلك المدن وكل همهم الاستفادة من الوقت، ونفع المسلمين وتبليغ الدعوة .

صعدوا الجبال، وساروا في السهول . . وقطعوا الأودية . . وكانت رحلة جمع الله لهم فيها التزود بالعلم النافع من شيخهم وراحة للنفس من عناء العمل . . وإبراءًا للذمة بزكاة علمهم .

إذا نزلوا موطنًا تفرقوا في المساجد بين محاضرة ودرس وخطبة جمعة وجلوس للإفتاء . .

رأوا الجهل وسمعوا البدعة . . ويزيدهم ذلك حرصًا على تكرار الزيارة كل إجازة . . إنها قافلة الخير ورحلة الدعوة . . لا يعذر بها من يعلم من العلم ولو آية . . قال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» . .

أين أهل التشمير من أمة محمد ﷺ؟! **هل من مشمر؟!**

التشهيرة السادسة

ألزم نفسه بحسن التعامل وطيب المعشر، فكان داعية بخياله الصامت وذلك بحسن تصرفه ونزاهة سلوكه . . فاهتدى على يديه الكثير . .

والكثير صححت أخطاؤهم، واستقام أمرهم، وحسن منهجهم من خلال محادثة ومجالسته . . وسماع آرائه واستشهاداته . .

إنه الداعية المتلطف معهم المشفق عليهم يبحث عن مدخل للقلوب الحائرة وطريق للحديث والمفاهمة . .

يتحمل الهفوة ويبرر تلك الجفوة . .

ثم هو في النهاية . . برحابة صدر وحسن أدب يصل إلى مبتغاه ليفوز بأجر هداية خيرٌ له من حمر النعم .

ما انتصر لنفسه قط ولا غضب من جهل جاهل . . بل جعل ذلك الاندفاع من بعض الشباب مدخلاً عليهم يطأطأون الرءوس لسماع قول الله وقول رسوله . . إنه حديث من القلب إلى القلب . .

بعد سنوات حادثه من اهتدى على يديه وقال: لن أنسى حلمك عليَّ وتحملك زلتي في أول لقاء ولقد راجعت نفسي مساء ذلك اليوم فاستحييت من حماسي واندفاعي . .

قال له الداعية الناصح المشفق: تعال لنرى موقفًا تربويًا وقفه الرسول ﷺ مع ذلك الأعرابي حين تصرف بتلقائية في مكان لا يصح فيه ذلك .

عن أنس رضي الله عنه قال: حاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره

الناس، فنهاهم ﷺ، فلما قضى بوله، أمر ﷺ بذنوب من ماء فأهريق عليه.

قلت له: يخطيء بعضنا اليوم أقل من خطأ الأعرابي، ولكنه يجد الفظاظة وسوء المخاطبة..

قال: وكأنه يستدرك.. لنا في فعل رسول الله ﷺ قدوة حسنة، وفي تعامله أسلوب دعوة.. وصدق الله عز وجل: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الدعوة تحتاج إلى صبر وحلم وعفو..

وكل من آمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً فإنه داعية حتى.. في داخل بيته وأمام أطفاله..

فهل من مشمر؟!

التشميرة السابعة

* صيام أيام البيض ويوم عاشوراء ويوم عرفة لمن لم يحج . . أبواب مفتوحة . .

ولكن هل من مشمر ؟!

* صلاة الضحى لا تأخذ من وقته سوى دقائق . . وهو يعلم أن هذا الوقت الطويل من أذان الفجر حتى أذان الظهر وقت عمل ومشاغل . . يندر فيه ذكر الله . . قرر أن يحافظ على صلاة الضحى وكان له ما أراد .

* لا يخرج من بيته إلا متوضأ، حافظ على أجر عظيم . . ووجد في ذلك إعانة على المحافظة على الصلاة وعدم تأخيرها .

* قالت زوجته . . منذ أن تزوجته وهو لا يترك الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر أبدًا، كل يوم يتأخر حتى طلوع الشمس ثم يصلي ركعتين ويأتي .

طال تعجبي فهو شاب مثل الكثير منا . . ولكن الموفقين قليل .

* رأى أن الأيام والأوقات ضائعة . . لا يستفيد منها شيئًا . . وأشار عليه الناصح المشفق . . اجعل عشر دقائق بعد صلاة العصر في المسجد لقراءة القرآن . .

وكان ذلك، إنها أجمل لحظات يومه . .

* طال تعجبي وهي تذكر أن أخاها يقرأ كل يوم قبل النوم جزءًا كاملاً من القرآن . .

طال تعجبي من تفريطي في أيام ولياٍل لم أقرأ فيها القرآن مطلقًا . .

قالت: وحتى أيام السفر والتعب أصبحت قراءة هذا الجزء من القرآن ضرورة في حياته، فأصبح لا يتركها مطلقًا.

* كلما سمع بمناسبة زواج أو اجتماع عائلي هاتف صاحب المناسبة.. ماذا أعددتم من كتب وأشرطة للحضور.. يتشاور معه ثم يتولى الأمر!!

تجهيز للكتب والأشرطة ثم وضعها داخل مظروف أنيق لتكون أجمل هدية تقدم في هذه الدعوة.

* قال: لدي فائض من الأشرطة ومن المجلات الإسلامية.. أين أذهب بها؟! أتلفها أم أحرقها؟!

لقد كثرت المجلات حتى أخذت حيزًا في مكتبتي؟!

قال له الصديق المجرب: كم في حيكم من صالون حلاقة ومستوصف أهلي أو حكومي؟! سيفرحون بالمجلات والكتب ولك أن تطلب من صالونات الحلاقة استبدال المجلات التي لديهم بمجلات إسلامية.. أين أنت من هذا الخير؟!

هل من مشمر؟!

* ينفق مبالغ طائلة في أمور تافهة ولكنه منذ سنوات طويلة لم يدخل بيته كتابًا نافعًا.

* ما يصرفه أسبوعيًّا على شراء الصحف والمجلات مبلغ يستحق أن يتوقف عنده!!

البعض منذ سنوات لم ير صحيفة ولم يقتن مجلة سوى المجلات الإسلامية.. وما نقص من علمه شيء!!

* علمه الشرعي لم يزل في نقصان . . ما كان يعرفه بدأ النسيان يدب نحوه . أما التزود من العلم الشرعي فلم يخطر له على بال!

عشر سنوات مرت عليه ما استفاد فائدة . . ولا حفظ نصًا ولا جلس مجلس علم؟!

إنها الهمم والعزائم؟!

* جمعتهم هواية الرحلات البرية . . ولكنهم استفادوا حتى من تلك الرحلات في الوعظ في المساجد وإلقاء الخطب في القرى والهجر . وأما أمهات الكتب فإن حملها معهم من أولى المهمات .

* قال رجل الحسبة وهو يتحدث في جمع من الشباب : أوقاتكم ثمينة . . لماذا لا تخصصون ساعة واحدة في الأسبوع تحتسبون فيها الأجر ، وتذهبون إلى الأسواق ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر .

أجاب مدرس العلوم الشرعية . . سترى ذلك إن شاء الله . . ففي كل ليلة جمعة ستجدنا بجوارك ندعو بالحسنى واللين والرفق . .

فو الله نحن أهل المحبة الصادقة لأمة محمد ﷺ .

نذكرهم ما نسوا ، وننبههم عما غفلوا .

هل من مشمر؟!

التشميرة الثامنة

* أتى بحصالة تبرعات لكل طفل في المنزل. . يوضع بداخلها القرش والريال. .

ستة أشهر فإذا بكل طفل قد وضع ما يقارب من ستين ريالاً تدفع لفقراء المسلمين. . جهد بسيط وعمل غير مكلف. . إنها أموال غالبها يفقد أو يضيع أو لا يستفاد منه شيئًا. .

إنها نقطة واحدة من بحر. . نقطة خير تحتاج إلى ينابيع أخرى لتصبح شلالاً من التبرعات تنفع المسلمين وتسد جوعهم وتغني فاقتهم وتعلمهم أمور عقيدتهم.

* وضع في سيارته مجموعة من الكتب والمطويات جزء منها مخصص للمسلمين، والآخر لغير المسلمين. . واختار عدة لغات. .

لم يكلفه الأمر سوى المرور على أحد مكاتب الجاليات وأخذ ما يريد.

شمر أبو عبد الله عن همته. . فما توقف عند محطة بنزين إلا سألهم عن أسمائهم ليميز المسلم من الكافر. .

ثم يسأل عن اللغة. . ليقدم بعدها مجموعة من الخير الذي لديه.

ما توقف عند متجر إلا تقدم بهديته. .

أما أماكن الحلاقة وتجمعات العمال فلا يتركها، بل يتابعها باستمرار!!

وفي أحد الأيام تنادى الأصحاب للذهاب إلى رحلة برية في الصحراء. . حمل ما لديه من الخير وجعله بجواره في السيارة. . وسأله البعض بحدة. . أين

نجد من يأخذها؟!

سنذهب إلى مناطق صحراوية.. لا ينبت فيها العشب.. فكيف نرى بها إنسانًا؟!

قال لهم وهو يمسك بالكتب: إذا لم نجد أحدًا أرجعناها.. المكان فارغ، والسيارة فيها متسع..

وهناك والشمس في كبد السماء.. لا ترى إلا سرابًا..

وجدوا راعي إبل في مكان منقطع.. عندها ترددت أصوات الجميع.. الحمد لله.. أين الكتب؟! ما هي لغته؟!

ناولوه ما يحتاج من الكتب وبعض الفاكهة.. وأسقوه عصيرًا باردًا، كان معهم، ودعوا له بالهداية!!

* ما زار مستشفى إلا كانت يده تحمل كتبًا يضعها في صالة الانتظار.. أما زوجته فحملت ما تضعه في صالة النساء..

وحين أقبل مع زوجته على الطبيبة.. ناولها كتابًا عن فتاوى المرأة، وندم أنه لم يحمل كتابًا عن الحجاب.

هل من مشمر؟!

التشميرة التاسعة

* جرب ذلك في مناسبات عدة.. ورأى الأثر الكبير.. وقرر الاستمرار على ذلك.. فهو في كل دعوة ومناسبة يحمل كتابًا معه.. وإذا رأى أن المجلس بدأ يتسيده أهل العبث والغيبة.. أخرج كتابه ثم قال على مسمع منهم دعونا نستفيد.. فهنا فائدة لطيفة.. ثم بدأ يقرأ!!

* مشغول.. مشغول.. لدي موعد..

قالت له والدته وهي تتابع خروجه السريع من المنزل.. أنتم خمسة إخوة.. ولا نرى منكم خيرًا.. لم يذهب بنا أحد منكم حتى لزيارة الأقارب والأرحام..

أما أم فلان فلديها ابن ـ رجل ـ واحد، ولكنه في خدمة والدته ووالده وأخواته لا يعرفون السائق وليسوا كالأيتام مثلنا!!..

تنهدت وقالت.. واحد خير من خمسة!!

التشميرة العاشرة

* قال لزوجته: هل هاتفت أختي اليوم؟! قالت: لا.. قال: إذا لم أتمكن من زيارتها اليوم فلا أقل من سماع صوتها، وتفقد حالها ولو بالهاتف.

* بلغ الستين من العمر.. ولكنه عرف قيمة وقته فاستفاد من دقائق عمره.. هاهو قد خصص يومًا كل أسبوعين.. يزور أقاربه وأرحامه..

إنها ثلاث ساعات تبتديء من بعد صلاة العصر وتنتهي مع أذان العشاء.. يزور ويسلم.. ويسأل ويتفقد.. ثم هو في كل منزل يوانس أهله ويدخل السرور عليهم..

* تزوجت أختي الكبرى منذ ثلاثة أشهر.. وحينما قابلت من عركته الأيام وصقلته التجارب سألني عنها؟! وهل أزورها؟! وعندما أجبته.. بنعم.

قال: هل زرتها ليلاً وتفقدت حالها؟! تعجبت من نظرته!! وعندما فعلت..

فإذا بالأمر المهول!!

* تباعدت به السنون ونسي خالته.. زيارة قصيرة.. ولكن في الأعياد فقط.

تطاولت به الليالي والأيام.. وألهته الدنيا عن أخت والدته.. ولكنه يومًا..

ترك لدمعته أن تجري على خده لتلامس لحيته.. فقد علم أنها تستحق الزكاة وتأخذها!!

هل من مشمر؟!

التشميرة الحادية عشرة

لا يزال الرجل يرتفع في عيني يومًا بعد يوم.. آنس بمحادثته، وأجد الصدق في حديثه، والوفاء في معاملته.. صفاء في النفس، وصفاء في الخلق..

ثم تذكرت.. منذ فترة لم أهاتفه بل نسيت أن أهنئه بالمولود الجديد.. تناولت الهاتف ودعوت للمولود ووالدته.. ثم قلت: متى نزوركم؟!.. قال اليوم..

ذهبت أنا وزوجتي.. وعندما جلست معه في المجلس.. سألته من يخدم أهلك، وهي حديثة عهد بالولادة؟!

قال: أنا؟!

تعجبت.. أنت!!

قال: نعم أنا أطبخ وأكنس.. وأنظف المنزل!!

قلت له: ما شاء الله كل ذلك.. وأنت على جلال قدرك وعلمك.

قال: الرسول كان في خدمة أهله وهو خير مني.. ثم إني تذكرت أيام مرضي السابق وكيف كانت تخدمني وتسهر لراحتي.. فأردت أن أرد جميلها بيدي، وإلا فلو شئت لأتيت بمن يخدمها..

استأذن دقائق وأحضر الشاي.. ودوامة في فكري تهزه.. الواقع المرير لبعض الشباب من سوء خلق مع زوجاتهم.. وفظاظة في تعاملهم..

لنا في رسول الله أسوة حسنة الذي قال: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم**» [رواه الترمذي].

هل من مشمر؟!

التشميرة الثانية عشرة

أسرعت بي الأيام، فإذا بي أقف على عتبة الزواج . . واستأجرت شقة في إحدى العمارات الشاهقة التي لا يعرف الجار فيها جاره . .

وبدأت معاناتي عندما ارتفع صوت المؤذن للمرة الأولى بعد استقراري في منزلي . . التفت يمنة ويسرة، وكررت النظر وجاهدت الفكر . . أين أصلي؟!

ولكن الزوجة الصالحة سألتني . . من أين تأتي بالخبز؟! قلت: من المخبز على بعد نصف ميل من هنا؟!

قالت: معنى ذلك أنك تذهب بالسيارة؟!

قلت: نعم . . قالت: الصلاة أولى . .

لم تدع ـ رحمها الله ـ فرصة للكسل . . ولا لحظة للتواني . . لابد أن تذهب للمسجد . . وأعانني الله على ذلك . .

أما هي فقد دعتها إحدى الجارات . . وقررن بعد زيارتين أنهن سيقترحن جميعًا على أزواجهن شراء «دش» للعمارة ويكون مشتركًا للسكان . . فتكون التكلفة يسيرة على الفرد . .

قالت زوجتي . . هذه «المجورة» التي تباع ولا تشترى . . قلت لها: لماذا لا تحاولين وتأكدي أن صلاح أزواجهن من صلاحهن . .

قالت: ولكني أخاف على ديني . . أحتاج إلى من يعينني . .

قلت لها: جربي لمدة شهر . . إن كان هناك بوادر خير وعلامات تغير وإلا فاتركيهم . .

وسأحضر لك في الزيارة القادمة كتبًا وأشرطة من كل كتاب نسخة واحدة..

وكان كذلك.. فإذا بحديثهن عن الكتب والأشرطة.. وسؤال كل واحدة الأخرى ما اسم الكتاب الذي أهدي إليك.. والشريط..

وفي زيارة تالية.. فإذا بغالبهن قد استعرن كتب وأشرطة بعضهن، بل وسمعنها كلها.. فكان المجلس حديثاً عن الكتاب الفلاني وماذا قال؟! والشريط وبماذا تحدث الشيخ؟!

شهور.. فإذا بأغلب نساء العمارة بدأن حلقة لحفظ القرآن..

استرجعت الذاكرة.. قبل شهور.. اجتماع لشراء «دش» مشترك للعمارة.

واليوم يحفظن القرآن!!

هل من مشمر؟!

التشميرة الثالثة عشرة

في زمن الإعلام وطغيان المادة . . غزو فكري من جميع الجهات . . صحف يومية . . ومجلات أسبوعية وشهرية . . محطات فضائية لا عد لها ولا حصر . . ومحطات إذاعية تصم الأذن . . هذا هو الغزو الفكري الذي اخترق صفوف المسلمين . . فبدأ البعض ينزل من عليائه درجة . . درجة . . ويتعثر خطوة . . خطوة . .

سقطت بعض القيم . . وهانت السنن وأصبح المنكر معروفًا . . والمعروف منكرًا . .

في مجلس حافل بحماس الشباب . . تحدث . . وقال: أخصكم بالحديث لأن حماس الشباب في عيونكم . . وهم الأمة في قلوبكم . .

لن أشرح طويلاً . . ولن أذهب بكم بعيدًا . . ولعل الله يرزقني الإخلاص في العمل . .

بدأت منذ سنوات . . ولكن أيها الأحبة . . هذا جهد فرد واحد . . ربما أسافر أو أمرض . . بل ربما أقصر . . وتضعف همتي . . ثم إن طاقتي محدودة وجهدي متواضع .

ولكن الأهم أن نكون شركاء في العمل . . إخلاص النية والتشمير في العمل وعدم الفتور والتقاعس أمور مهمة . . فعملنا يحتاج إلى سرعة ومتابعة . . وحرص . .

أنصت الجميع وهو يطرح فكرته ويقول :

* كما تعلمون فإن متابعة الصحف والمجلات وما يصدر منها يحتاج إلى أمرين:

الأول: شكر من أجاد وتهنئته وتثبيته وتشجيعه ومشاركته في الآراء والملاحظات.

الثاني: من زل بقلمه وسقط لسانه.. فهو يحتاج إلى نصح وإرشاد لعل الله أن يهديه إذا كان عن سهو وغفلة وإذا كان عن مبدأ ومعتقد فإننا نحجم فكره ونبين معتقده، ولا ندعه يلوث مجتمعنا.

كما أن هناك أمورًا نرى أنها تحتاج إلى إشهار وتوضيح وحث الناس على التمسك بها.

نثبت الكاتب.. ونشد من أزره ونصحح الخطأ ونحيي الأمور الطيبة.

أرأيتم إنه عمل ممتع وقبل ذلك ثغرة من ثغور الإسلام يحب الوقوف عندها والأخذ بزمامها.

الأمر يحتاج إلى متباعة ولكم أن تروا النتائج السريعة، فالقبول ولله الحمد كثير والخير باق.. فقط نحتاج إلى جهد يسير خاصة أننا مجموعة كاملة نستطيع أن نقرأ الصحف والمجلات جميعها ونرى ما بها من الإيجابيات والسلبيات..

قرر الجميع البداية في هذا العمل الخيري التطوعي.. وتم توزيع الصحف والمجلات على الحضور.. فكان من نصيب البعض مجلة وصحيفة والآخر صحيفة.. كل بحسب ظروفه ومشاغله.

وتم اختيار يوم في الأسبوع يكون بمثابة لقاء لهم.. يعرضون فيه ما يرون ويقرأون.. ويحررون رسائل شكر أو عتاب أو مناصحة.

إنها محاولة بسيطة في الطريق الطويل . .

إنها ثغرة يُدخل على الإسلام منها . . قاموا بمحاولة لسدها . . فهل من مشمر ليساعدهم ويعينهم .

الأمر يحتاج إلى ورقة وقلم من كل فرد . .

إنه الجهد النافع . . إنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

إنه التواصي بالحق . . هل من مشمر ؟ !

ورقة وقلم . . واحتساب ! !

شمر!! ماذا تنتظر؟!

التشميرة الرابعة عشرة

* قال محدثي: ما زرت مديري في الإدارة في منزله إلا رأيت العجب. . رأيت كيف يتحول ذل الآمر الناهي في إدارته إلى خادم لذلك الرجل العجوز. . إنها تحول عجيب أليس كذلك؟! ما زاد في عيني إلا رفعة ولا في نفسي إلا علوًا. .

كأنه خادم بين يدي والده. .

قلت له: هذا الرجل قربه خير، ومعرفته مكسب. . كل يوم نرى من حسن خلقه وبره بوالده ما نعجب منه نحن الشباب!!

قال من يستمع الحديث وهو يهون الأمر. . لماذا تستغرب؟! إنه والده!!

أطلقت بصري نحوه ولساني يردد. . هل تعامل والدك بجزء من هذه المعاملة أو بعضها؟!

* تحدث وزير من دولة عربية عن أمور بسيطة في حياته فقال: إنني قبل أن أخرج من باب المنزل أخبر والدي أين أذهب ومتى أعود؟

هذا مع أن عمري جاوز الخمسين ومرتبتي الوظيفية وزير!! ولكن هذا اعتدت عليه منذ أن كنت طفلاً وشابًا وأبًا. . وحتى أصبحت وزيرًا. . وأفرح بهذا الأمر وأسر به لعلمي حرص والدي عليَّ. .

وهاأنذا أكرر السؤال على أبنائي كل يوم. .

أين تذهب؟! ومع من تذهب؟! ومتى تعود؟!

* يتلطف مع والده ويروي له بعض الأحداث والمستجدات على هذا

الكون . . ويحكي له بعضًا مما حصل له من الطرف . . أو مما سمعها . . يحكي كل ذلك بأدب جم وخلق رفيع . . جعل والده يبادله الحديث بضحكة وابتسامة . . ودعاء!!

* يستشير والده في أشيائه الصغيرة وفي أمور ربما أن والده لا يحيط بها ولا يتصورها ولكن رغبة منه ـ حفظه الله في إشعار والده بأهميته ومكانته . . يكرر على والده كل يوم . . ما رأيك بكذا وكذا . . وأيهما أفضل؟! وما البديل فرأيك هو المقدم!!

* ترددت أصوات الجميع في الحفل ينادونه لقبول دعوتهم إلى حفل الغداء . . ولكن الرجل ـ المسؤول الكبير ـ أجاب بهدوء وهو يلتفت نحو والده . .

هذا هو الوالد ـ حفظه الله ـ إن وافق وسمحت ظروفه فنحن تحت مشورته وأمره!!

* يبحث عن ما يحب والده وما يحتاج إليه . .

إجازته يقضي جزءًا منها للذهاب به لأداء مناسك العمرة . . ويعرج به إلى المصايف الجميلة . . يأنس به ويحاول أن يلبي طلباته ولو على حساب نفسه .

* لسانه عذب . . وحديثه يدخل السعادة على قلب والده . . أبشر يا أبي . . وأبشرك يا أبي . .

حديثه يوآنس الوالد، ويدخل السرور على نفسه . . ألا بشرك الله بالجنة يا فتى!!

* يفرح إذا رأى غيمة في السماء . . ويهرول مسرعًا إذا علم بنزول المطر على مناطق قريبة . .

يعلم أن ذلك يفرح والده ويجدد شبابه.

ويومًا أخبره بنزول المطر وقال لوالده سالت الأودية والشعاب.. ففغر الأب فاه فرحًا، وكانت نفسه تحدثه رؤية ذلك الخير.. ولكنه قبل أن يكمل تفكيره فإذا بالابن يقول له..

متى نذهب يا أبي؟!

* اختار لوالده أشرطة متعددة لعدد من المشايخ.. حتى رأى أنه يتأثر ويتابع قراءة أحدهم.. هب مسرعًا واشترى ما وجد لديهم من أشرطة لذلك الشيخ.. وقال: يا أبي هذا ما وجدت فأعذرني!!

* يقدم مقدمة طيبة عن المحاضر وموعد المحاضرة وأنه مناسب ويتحدث عن موضوع المحاضرة وفضل الجلوس في حلق الذكر.. حتى يرى القبول في عين والده..

ثم يسأله: ما رأيك يا أبي نذهب سويًا!!.

في الحرم المكي.. يرفق بوالده، ويحنو عليه، ويتفقد حاجته.. ماذا يريد.. وأين يجلس، وماذا ينقصه؟!

إنه رجل تحت الطلب، يهفو إلى خدمة والده.. ويفرح بنداء صوته.

* ما دخل المنزل أو خرج إلا قبل رأس والديه، ودعا لهما بالبقاء وطول العمر وحسن الختام.. إظهارًا للفرح بوجودهما وسرورًا بحديثهما..

ولسان عذب لا يتأخر عن قول الخير لهما..

* لا تمر مناسبة إلا ويقدم لوالديه هدية.. دهن عود أو دهن ورد أو مسواك وبين حين وآخر يأتي لوالده بمبلغ من المال على شكل ريالات لكي يوزعها على

الأحفاد والأسباط!!

* خصص وقت ما بين المغرب والعشاء لجلسة طويلة مع والديه يتجاذب معهما أطراف الحديث ويأنسهما ويستفيد من خبرتهما ويفرح بسماع دعوتهما.

* إكرامًا لوالده لا يترك مناسبة يدعى إليها والده إلا كان بجواره حتى وإن كانت في أوقات راحته.. يقدم رضا والده على راحته ونفسه، ويعلم أن والده يسر بهذا.

* أسقط كلمة «لا» من لسانه، وكأنه انتزعها من بين فكيه.. حمد الله وهو يتذكر أنه ما قال لوالديه هذه الكلمة أبدًا.. فهما لم يأمراه بمعصية..

* لا يلح على والديه بطلب أو رغبة.. بل يعرض الأمر عرضًا هينًا لينًا.. فإن وجد الموافقة والقبول.. وإلا «الخير فيما اختاره الله» ويحمد الله أنه نال رضا والديه.

* حفظك الله.. سلمك الله.. رعاك الله.. حرم الله وجهك عن النار.. بارك الله في أيامك.. تقبل الله دعاؤك.. أبشر بالخير.. رحمة الله واسعة..

هذا لسانه مع والده.. ما أسمعه إلا ما يحب!!

* يتعاهد أصدقاء والده.. يزورهم، ويحتفي بهم، ويدعوهم لبعض المناسبات، ويفرح وهو يسمع الدعاء لوالده بالرحمة والمغفرة.

* لأن والده يحب القرية ولا يريد أن يبتعد عن مزرعته.. ضحى الابن البار بوظيفته في المدينة واستقر في القرية بوظيفة أقل.

هل من مشمر؟!

لو خدمك إنسان وأكرمك يومًا أو اثنين.. لبالغت في الثناء على كرمه وخدمته، وتمنيت أن تسنح الفرصة لرد جميله ومعروفه.. أليس كذلك؟!

هناك.. من خدمك سنوات، وضحى لأجلك سنوات.. يطعمك في صغرك، ويذهب بك سنوات للمدرسة.. وسنوات وهو يربي ويجهد نفسه لأجلك.. ما مرضت يومًا إلا حملك على ظهره إلى المستشفى.. وما بكيت يومًا إلا تألم قلبه.. ولربما دمعت عيناه..

يدعو لك في سكون الليل.. ويكد لك في النهار.. سنوات طوال.. وهو سعيد بذلك.. ما جزاؤه؟!

هل من مشمر؟!

التشميرة الخامسة عشرة

فكر يومًا وسأل نفسه: منذ متى وأنا لم أدرك تكبيرة الإحرام؟! بل منذ متى ذهبت إلى المسجد قبل سماع الإقامة؟!

قرر وجاهد نفسه مجاهدة حتى استقامت..

منذ أن يسمع الأذان وهو يتأهب للصلاة حتى اعتادت نفسه على ذلك.. ما إن يطرق أذنه صوت المؤذن حتى يلقى ما في يديه، ويسارع إلى المسجد..

رأى العجب بين حاله اليوم وحاله بالأمس.. ما تعطلت مصالحه.. وما نقص ماله، بل إنه يقرأ بين الأذان والإقامة كل فرض ما لا يقل عن جزء كامل.. هذا إضافة إلى محافظته على السنن الرواتب.

جاهد وصبر.. فنال وظفر.. تقبل الله منا ومنه..

ونحن هل من مشمر؟!

التشميرة السادسة عشرة

إنه تشمير عن ابتسامة صادقة مشرقة.. تفتح القلوب.. وتستأنس بها النفوس..

إنه التشمير الأول، والمدخل الصادق، والعنوان الواضح لما في الأفئدة والصدور..

إنه تشمير سهل.. وأمر يسير..

في كل وقت.. وفي كل لحظة.. في كل مكان وفي كل زمان..

إنها ابتسامة صادقة مدخل للقلوب الحائرة.. وطريق إلى النصح والمفاهمة..

إنها مفتاح للنفوس المغلقة.. ومعبر للقلوب الكارهة..

إنه التشمير بلا كلفة.. والابتداء بلاعناء..

إنه التشمير السهل..

ولكـــن!!

كم هناك من محروم؟! وكم هناك من مقصر؟!

هنا من لم ير والده ابتسامته.. ولم تر والدته صفاء وجهه.

زوجته لم تر إلا العبوس.. ولا يعرف أطفاله أن الأب يبتسم ويتلطف!!

زميله في العمل ما رأى لطفًا ولا لينًا.. يمشي في الطريق وفكره في عالم آخر..

لا يسلم على من يرى، ولا يلقي بالاً إلى من بجواره..

ألا هل من مشمر؟!

عن بشاشة وطلاقة وجه و.. ابتسامة!!

هل من مشمر؟!

التشميرة السابعة عشرة

ارتبط اسمه بالعيد.. ما ذُكر العيد إلا كان اسمه يترادف مع بهجته وفرحته..

تأملت كثيرًا.. سبحان من هيأه وسخره وجعل له محبة في القلوب وقبولاً في النفوس..

مع إطلاله يوم العيد واجتماع الأطفال.. يبدأ برنامجه الذي لا يتجاوز الساعتين.. مسابقات.. أناشيد.. وقبل ذلك قراءة للقرآن..

ثم كل ينال نصيبه من الهدايا.. للطفل ما يناسب ميوله ورغبته من الألعاب.. وللطفلة ما يناسب رغبتها وميولها من الهدايا..

وفي أثناء المسابقات يقدم لهم مشروبًا باردًا.. يجدد به نشاطهم ويستحثهم لمواصلة البرنامج الذي أعده.. ويقدم من حفظ الكثير من القرآن ليكون قدوة للأطفال.

حمد له صنيعه الآباء والأمهات.. أما الأطفال فما رأوه إلا سألوه متى يأتي العيد؟!

أدخل الفرح والسرور على أطفال المسلمين.. وجعل من العيد يومًا حافلاً بالمسابقات والأنشطة.. ثم ختم كل ذلك بالهدايا..

سألني أحد الأقارب: كم يكلف شراء هذه الهدايا والجوائز؟!

قلت له: مبلغًا يسيرًا لكن من ينتبه لهذا الأمر؟!

إنه يحتاج إلى من يشمر؟!

فهل أنت منهم؟!

التشميرة الثامنة عشرة

* يقول الناصح المشفق . . ما رأيت شابًا إلا رأيت أمل الأمة في عينيه . . ويحزنني أن أرى في بعض العيون غشاوة الذنب وذل المعصية . .

وأشد ما يؤرقني هو رؤية تلك التجمعات الشبابية على الأرصفة وفي الشوارع . . وقد احتضن أحدهم عودًا والآخر مزمارًا والثالث يتمايل ويصفق . .

ورغم اجتماع كل ذلك إلا أنك تأمل الخير في قلوبهم . . ربما بكلمة بسيطة تغير مجرى حياتهم وتنقذهم مما هم فيه .

قال أحد المتشائمين : هؤلاء لا ينفع فيهم النصح ولا تؤثر فيهم الموعظة؟!

قال له الناصح بحنق وغضب : هل جربت ولو مرة واحدة ونصحتهم وجلست معهم؟!

قال : لا .

قال : جلست مع بعضهم دقائق . . نعم دقائق!!

فإذا بهم يستبدلون المضحف بالعود وحلق العلماء بجلسات الأرصفة السؤال : هل فعلت شيئًا لهم؟! .

* خاطبه بصوت هامس بعد السلام والترحيب : أتحب الرسول ﷺ؟!

أجاب باستغراب : نعم!!

قال له الحبيب : لماذا تخالف أمره وتعصي تعاليمه؟!

لحظات جعله يفكر ثم قال له : هذا الدخان بيدك . . وهذه لحيتك قد

حلقتها . .

هل صحيح أنك تحبه وتخالف أمره؟!

إذا كنت تحبه فاتبعه وسر على سنته .

هوت يد الرجل بالدخان تحت قدمه وقال : التوبة . . لن أعود . .

حوار بسيط تبسم الجميع بعده!!

* كثير من الموظفين حركتهم لا تهدأ . . ولكن دون نتيجة . . أما هو فعمله محدود ولكن تأثيره واضح . . يشتري الأشرطة ويوزعها كل وما يناسبه . . ويهدي الكتب المختلفة والمتنوعة . . يصور مواعيد الدروس والمحاضرات الدينية ويعلقها على لوحة الإعلانات . . ويذكر الموظفين بالصلاة وبالحرص على أوقات الدوام فهذه أمانة!!

* مع أنه موظف بسيط في إحدى المطارات إلا إن جهده متواصل وسخاؤه منقطع النظير يقول : فكرت في طول مدة الرحلات البعيدة وحاجة المسافرين إلى ما يؤانسهم ويزيل سأمهم ومللهم الساعات الطوال في كبد السماء . .

تمنيت أن يكون لكل مسافر كتابان أو أكثر ولكن قصرت بي المؤنة فأصبح جهدي كما ترى . .

أتابع باستمرار صالات الانتظار في المطار وأضع فيها ما يتيسر من الكتب وأختار منها ما يناسب المسافر من أحكام ومواعظ وفوائد!!

* بدأ يستحث الجيران ويسألهم عن أطفالهم . . أين أطفال المسلمين . . لا يعرفون المساجد ولا يحضرون الصلاة؟! .

وتحول ذلك النداء إلى متابعة جادة لأطفال الحي فبدأ الأطفال يتوافدون على

المسجد حتى أصبحوا ضعف أعداد المصلين.

* قال لمحدثه بفخر وسعادة.. ابني الصغير لديه ذاكرة عجيبة وقوة حفظ باهرة..

وضرب أمثلة لذلك وعندما انتهى من حديثه سأله صاحبه: كيف عنايتك به وهل استفدت من ذلك بتوجيهه إلى حفظ القرآن وطلب العلم؟

سكت الرجل وكأنه أول مرة يسمع بهذا الأمر؟!

* قال لزوجته: جعلت نصب عيني أبنائي الثلاثة، وأنهم سيكونون من رجال المستقبل، ولذلك سأعلمهم من هذا المنطلق وأربيهم على هذا الأساس لماذا أتركهم هملاً.. لا رعاية ولا تربية ولا علمًا؟!

أخي الحبيب: هل من مشمر؟!

التشميرة التاسعة عشرة

تسامع أبناء الحي بمصاب جارهم . . فقد توفيت والدته مساء البارحة . . وبعد صلاة الفجر تقدم أحدهم إلى الجار وسأله متى ستصلون عليها رحمها الله؟!

قال والأسى في عينيه : حتى الآن لم نجد من تغسلها!! تعجب الجميع من هول الأمر . . وتساءلوا: هل عدمت ديار المسلمين من امرأة مسلمة تغسل الأموات!!

تناقلت الألسن الخبر المدهش والحقيقة المروعة . .

تموت المسلمة فلا توجد امرأة تغسلها!!

وكان نهاية الحديث أن طرقت مسامع رجل الخير . . اعتصر الألم قلبه ولكنه جد في الأمر . .

أخذ الحديث إلى زوجته وكيف أن المسلمة لا تجد من يغسلها . . ثم طرح عليها سؤالاً وهو يلمح الرفض منها والخوف في عينيها . .

إذا مت من يغسلك يا مسلمة!!

وافقت وهي ترى الواقع المرير . . وبدأ يدربها على كيفية غسل الميت وعلمها شروط الغسل وما يجب عليها . . وعندما حان التطبيق العملي إذا بها تشمر عن ساعدها وتطبق ما عرفته .

تلقى الآباء والنساء الأمر بفرح حتى بدأت تعلم كبيرات السن تغسيل الأموات . . تتابعت الخطى وانتشر الخير حتى أصبح في بعض الأحياء عشرات

النساء ممن تأهلن لهذا الأمر العظيم!!

ولكن بقيت مناطق أخرى ومدن نائية تحتاج إلى مشمر!!

فهل من مشمر؟!

التشميرة العشرون

* منذ أن سمع ووعى حديث الرسول ﷺ الذي رواه الترمذي: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة**» إلا استبشر بهذا الخير العظيم.. سبعون ألف ملك!! خصص يومًا في الأسبوع لزيارة المرضى..

إنها ساعة واحدة في الأسبوع.. يزور المرضى ويواسيهم ويدعو لهم بالشفاء..

يسأل عن حالهم وماذا ينقصهم.. يحمل كتبًا.. وبعض المشروبات لمن هم في الغربة ولا يزورهم أحد.. وبدأ يوزع في أروقة المستشفى وممراته كتبًا عن كيفية صلاة المريض والتيمم.. يواسي أحدهم وكأنه والده.. ويمسح على رأسه ويسأل أين الألم؟ وهل ينام الليل أم لا؟

ثم ينفث عليه بعضًا من آيات القرآن؟!

كم من الساعات الضائعة في أيامنا لم نستفد منها؟!

التشميرة الحادية والعشرون

كلما سأله زميله بعد صلاة الجمعة إلى أين أنت ذاهب اليوم؟!

قال: إلى جدتي في القرية.

ثم تثاقل به السؤال لعلمه تكرار الجواب.. ولكنه يومًا مر من أمام منزل صاحبه فإذا به يحمل أكياسًا ثقيلة فاقترب منه وطلب أن يأذن له في مساعدته..

فأذن له.. الأكياس كثيرة.. سكر وأرز وهناك كراتين الزيت والشاي وغيرها.. وطال به التعجب.. وصمت..

ولكن صمته لم يطل فسأل زميله: كل هذه لجدتك؟!

قال: لا ولكن هناك فقراء وأيتام..

فهذه قرية بعيدة عن أهل الغنى والثروة.. وبدأ يعدد له ويحكي له عن بعض الفقراء والأيتام في تلك القرية..

سأله وقال: متى تعود؟!

قال: أذان العشاء إن شاء الله.

قال: أأذهب معك؟!

وافق وبدأت السيارة المحملة تسير الهوينا وصوت الشيخ يرتفع من شريط في جهاز التسجيل في السيارة.

وعند العودة قال صاحب السيارة وهو يتأسف من تأخرهم..

هناك أغنياء وهم ولله الحمد منفقون، ولكنهم يبحثون عن الإنفاق السهل

المريح . . لم يكلفوا أنفسهم الخروج إلى القرى والمناطق النائية حتى تكون صدقاتهم وزكواتهم في أماكنها الصحيحة وتصل إلى المستحقين فعلاً . .

قال له : نعم . . ماذا يكلف البعض ذهاب ساعة أو ساعتين ويصل الحق إلى أهله . .

هل من مشمر؟!

التشميرة الثانية والعشرون

في ليلة مقمرة.. قال له: لدي قريبات في إحدى القرى لم يتزوجن، وأخاف عليهن من المزالق.. أفلا تعرف أحدًا يبحث عن زوجة.

قال له: بلى!!

استبشر الرجل واعتدل في جلسته..

قال له: من ولي هؤلاء النساء؟!

قال: والدهم فإنه معهم وهو كبير في السن ولكن حواسه معه وذاكرته..

قال له: ناولني رقم هاتفهم.

في الليلة التالية.. وهو يبتسم قال لصاحبه.. وجدنا لهن أزواجًا.. وسيتحدثون مع والدهن غدًا إن شاء الله.

تعجب وقال بهذه السرعة.. توقعت أن الأمر بعد شهور..

قال: لا تعجب لقد هاتفت فلانًا وأخبرته فقال: أبشر لدي الأزواج الأخيار..

ثم عقب على الحديث وهو يضغط على يد صاحبه: تعرف فلانًا جزاه الله خيرًا لقد فرغ نفسه لتزويج الشباب والشابات، ويبدأ بكبيرات السن والمطلقات والأرامل.. وتزوج على يديه في شهور أعداد كبيرة.. والدال على الخير كفاعله.. فهو يبحث ويدقق، ثم ينظر كل ما يناسبه..

إنه جهد زوج وزوجته!! رجاء دعوة صادقة.. ورجاء ما عند الله..

هل من مشمر؟!

التشميرة الثالثة والعشرون

يعتبر المسجد في الإسلام مهد الانطلاقة الأولى.. فقد كان ﷺ يؤم المسلمين جماعة في المسجد ويعلم ويدرس ويربي ويعقد الألوية ويسير الجيوش ويقابل الوفود.. أعمال لا حصر لها.. وأمور لا حد لها كل ذلك في المسجد.

الآن لم يبق من ذلك شيء نراه سوى صلاة الجمعة والجماعة وصلاة التراويح والقيام..

اختفى دور المسجد أو كاد.. ولكن بقي بعض من في قلبه حياة ممن لم تأخذهم الدنيا ولم تلههم المشاغل.. يعقد حلق حفظ القرآن للأطفال بعد صلاة العصر وهناك من يعقد بعد مغرب كل يوم درسًا لحفظ القرآن للناشئة..

أما من جمع الله له من الخير أكثره فقد عقد درسًا للتوحيد وآخر للفقه وحرص على أن يزور العلماء والدعاة مسجده لإلقاء الدروس والمحاضرات.. فكان المسجد بحق منارة يهتدى بها، ومعلمًا يقصده المسلمون، ومكانًا يتقاطر عليه المجدون..

وفي الذهن أسماء مساجد لم تتميز بسعة في أروقتها ولا في ساحاتها الخارجية.. بل تميزت بهمة ونشاط الإمام والمؤذن ومن حولهم من أهل العزم والحركة وحب الخير..

فمسجدهم مثل خلية النحل.. حلق لتحفيظ القرآن ودروس للعلماء وزيارات للدعاة.. محاضرات ودروس ولقاءات.. هذا في داخل المسجد وما يدور في أروقته..

أما عند الأبواب فهناك مجموعة من الرفوف الخشبية أحدها وضع عليه

أشرطة، وآخر بعض الكتيبات بعضها باللغة العربية والبعض باللغات الأخرى، وهناك بجوار الباب مباشرة رف صغير كتب عليه: «خذ هديتك» ويوضع فيه بصفة مستمرة النشرات الموسمية والأسبوعية..

وفي أقصى الزاوية الأخرى صندوق لجمع التبرعات.. وبجوارها لوحة إعلانات كبيرة عليها بعض أقوال أهل العلم وفتاواهم.. تجدد كل أسبوع أو حسب الحاجة..

ونحن لا نزال في داخل المسجد كل هذا الخير في جنباته، أما في الخارج فالنشاط متوالٍ ومستمر.. فمن زيارات للجيران، وتوزيع للكتب والأشرطة على المنازل، إلى تفقد لأبنائهم وشبابهم.. ومناصحتهم وحثهم على الخير. ويتوج ذلك باجتماع شهري لجماعة المسجد في أحد المنازل يتم فيه التعارف والألفة والاتفاق على زيارة جار جديد لتهنئته والتعرف عليه أو جار مقصر ومتهاون في الصلاة لحثه والتنبيه عليه..

وهناك مسابقة شهرية للأطفال وأخرى لربات المنازل من الفتيات..

إنه مسجد يذكرك بقطرات من بحر ما كانت تقوم به المساجد في السابق.. إنها همة الإمام واجتماع الشباب حوله والاستعانة بالله قبل ذلك..

بعض المساجد لا يرى فيها أي نشاط ولا حلقات لتحفيظ القرآن ولم تقم فيه محاضرة منذ أن أنشيء، ولو سألت الإمام لأجاب: الأمر صعب، ولا أعرف طلبة علم ولا دعاة ولا..!!

وأهل العلم جزاهم الله خيرًا بذلوا أنفسهم للناس فما ردوا سائلاً ولا صدوا طالبًا، فهل طلبت وسعيت وحاولت!!

هل من مشمر؟!

التشميرة الرابعة والعشرون

لهف وترقب في ذلك الجمع الكبير من المدرسين . .

أين تم تعيينك؟! وفي أي قرية؟! وأين تقع؟! وكم تبعد؟!

اجتمع زملاء الدراسة وحديثو التخرج أمام لوحة الإعلانات . . والسؤال على كل لسان . . أين تم تعيينك؟! في أقصى الشمال!! في قرية نائية . . لا يوجد فيها خدمات . . ولا هاتف . . كيف أذهب؟!

قال الآخر: تم تعييني في أقصى الشرق . . كيف أترك أهلي . . بل كيف أفارق مدينتي؟!

من يطبخ لي . . ومن يكنس لي؟! بل من يغسل ثيابي؟! ضحكة سبقت أحدهم وهو يقول: تم تعييني في أعالي الجبال، وقيل لي: إنها مناطق نائية، ذات طرق متعرجة، وارتفاعات شاهقة . .

أتبع ذلك بتعليق ساخر . . سأشتري دابة لتنقلني من المنزل إلى المدرسة . .

* بعد كل سؤال . . ترتفع الأصوات، وتتداخل الضحكات . . يعقبه إظهار للتسخط والتذمر وعدم الرضا . .

* لله در أبي عبد الله . . حمل هم الدعوة . .

تاه فكره وأطرق في سكوت . .

وقال بحرقة: لقد تم تعييني في الرياض!

أتته الأصوات مستبشرة . .

مرحى لك . . حظك طيب!!

ولكن من حمل هم الأمة بين جنبيه.. ونفض غبار العجز والكسل والراحة..

توجه من الغد بخطاب يطلب فيه تعيينه في قرية (.....) على بعد أكثر من مائة وعشرين ميلاً..

وقال وهو يحدث زوجته.. ويوضح لها الأمر..

هناك أرض خصبة للدعوة..

وهناك الفطرة السليمة النقية.. ولكن يا زوجي الجهل ضارب بأطنابه..

وبدأ يعدد لها المزايا..

أوقات الفراغ نستفيد منها في حفظ القرآن ومراجعته.. وقراءة أمهات الكتب..

هناك لن نضيع ساعة أو اثنتين كل يوم عند إشارات المرور..

وافقت الزوجة المؤمنة.. بل وتحمست للأمر.. ولكن العقبة الأولى ظهرت منذ وصولهم إلى تلك القرية..

لم يجد مدرسة لزوجته في القرية لتدرس فيها..

قال صاحب الهمة والعزيمة.. من وهبه الله صبرًا واحتسابًا في سبيل الدعوة..

أذهب بك للقرية المجاورة على بعد ثلاثين ميلاً..

كل منا يكون داعيًا إلى الله في قريته..

لله در أبي عبد الله ولله در أم عبد الله.

لا تراخي ولا كسل ولا عجز ولا ضعف.. بل همة عالية.. ومثابرة ومجاهدة..

تربية إسلامية في المدرسة.. ونشاط في المنزل والمسجد.. حلقات لتحفيظ القرآن.. توزيع للأشرطة والكتب.. مسابقات وجوائز..

بل إن أم عبد الله جعلت درسًا لكبيرات السن تعلمهن ما يلزم من الدين معرفته بالضرورة.. بل رددت على مسامعهن قصار السور عشرات المرات حتى حفظنها..

لم يمنعها الحمل والإرهاق من زيارة الجيران وقراءة الفتاوى النسائية عليهن..

أما أبو عبد الله فجعل للكبار درسًا لحفظ القرآن بعد صلاتي العصر والفجر.. ودرسًا للناشئة بعد العصر.. أما بعد المغرب فدرس عام.. لم ينس رحلات الحج والعمرة.. وإمامة المسجد..

حيوية ونشاط ومسارعة للخير في كل مكان.. بل امتد نشاطه من محاضرات وزيارات.. إلى قرى مجاورة..

* مضت ثلاث سنوات..

وأبو عبد الله يسخر منا حينما نستحثه للقدوم إلى المدينة..

قال: كم نضيع من أعمارنا عند إشارات المرور.. وأخفى عن الجميع نتائج دعوته وثمار صبره..

أضاء بنشاطه سماء الغفلة.. وأنار علمه قلوب أهل القرية..

تخرج على يديه الكثير.. وتربى على يديه الكثير..

أما أم عبد الله فقد أخرجت جيلاً يحمل هم الإسلام.. وأمهات يحفظن نصيبًا من القرآن..

* ثلاث سنوات زال الجهل وانقشعت الغشاوة..

* وكل سنة عند لوحة الإعلانات..

تسمع الصوت الضعيف.. وترى من همه راحته ونومه.. وأكله وشربه..

ترى أصحاب الضعف والخور..

وتسمع أصواتهم كل يوم..

أين تم تعيينك؟!

يا شباب الإسلام: هل من مشمر؟!

[من كتاب: صوت ينادي]

التشميرة الخامسة والعشرون

* ببشاشة وسماحة نفس . . أبشري ماذا تطلبين؟! ماذا تريدين؟! ماذا تحبين؟! وقبلات على رأسها بين حديث وآخر . . هذا حديثه وفعله مع والدته .

* ألا تريدين أن تذهبي لآل فلان تسلمين عليهم؟! لا يدع والدته تطلب منه ذلك . . بل هو يعرض الأمر . . فلربما كانت محرجة من طلبه . .

* لرغبة في نفس والدته قرر القيام برحلة إلى القرية التي تربت ونشأت فيها والدته . . فرحت والدته وهي ترى مراتع الصبا وتجدد له الدعاء وهي تستعيد الذكريات .

* بين حين وأخر يناول والدته مبلغًا من المال . . سنوات وهو يفعل ذلك . . ما نقص ماله . . وما تأثرت تجارته . .

* يتحين الفرص . . متى تريدين الذهاب إلى مكة . . الجو يا أمي هذه الأيام معتدل وليس هناك زحام . . الحمد الله الأمور متيسرة والسبل متوفرة . . هيا يا أمي .

* ما دخل المنزل أو أراد الخروج منه إلا قبل رأس والدته ودعا لها بطول العمر والبركة في العمل . .

* تعجب يومًا وهو يستمع إلى والدته تقرأ سورة الفاتحة ، وانتبه على صوت في داخله يؤنبه . . أنت مدرس . . تمنح العلم للتلاميذ . . ووالدتك تخطيء في قراءة سورة الفاتحة؟! ألزم نفسه بساعات يقضيها بجوار والدته حتى حفظت قصار السور وأجادت قراءة الفاتحة . .

* رحم ذلك الضعف من والدته ، وتذكر كيف كانت عنايتها ورعايتها

له . . وقال : بماذا أجازيك . . وكيف أقضي بعض حقك؟!

قال الشاب الذي لم يتجاوز العشرين من العمر . . الحمد لله لم آمر والدتي بطلب منذ أن عقلت حق الأم . .

قال : منذ ثلاث سنوات استمعت إلى محاضرة عن حقوق الأم . . وبعدها عقلت الأمر وسعيت في برها . .

جعلت حديث الرسول ﷺ : « . . . **ففيهما فجاهد**» أساسًا لتعاملي مع والديَّ . . أقدم رغباتهما وألبي طلباتهما . . وأعلم بعد ذلك وقبله أني لم ولن أوف حقوقهما . .

* قال لزوجته . . هذه أمي . . وأنت يا زوجتي العزيزة مثلما تحبين أمك فأنا أحب أمي ورضاي في رضاها . . أنت المرأة العاقلة . . لا تغضبيها ولا يكن في قلبك عليها شيء . . عندها تأكدي يا زوجتي . . أنه سيصفو لك قلبي . . وتهنأ بك نفسي . .

* لأنه الأخ الأكبر أصر وبشدة أن تبقى والدته عنده، وقال لها : سأجعل بيتي مفتوحًا للزائرين والمسلمين . . هنا يا أمي سترين الأبناء والأحفاد فلتهنأ عينك وتقر نفسك . .

* يجلس مع والدته ساعة أو تزيد كل يوم . . يسمع حديثها، وتبث شكواها، وتذكره بأيامه الأولى . . وهو يستمع في دعة وحبور . . ويزيد فرحه ما يراه من سرور والدته . .

ما قام أو جلس إلا دعت له . . وما غاب إلا أتبعته الدعاء بالصحة والعافية والستر . . تتلهف لعودته وتسر برؤيته . . إنه رجل عرف حق الوالدين . . ويحاول أن يجازي من أحسن إليه ولو ببعض الوفاء . .

التشميرة السادسة والعشرون

اختار أربعة كتيبات: أحدها: في العقيدة، والآخر: فتاوى نسائية، والثالث: في التحذير من البدع، والرابع: في أذكار اليوم والليلة، وبدأ يعرض على أقاربه مشروع طباعة واحد من هذه الكتب.. مدة يسيرة فإذا بالمبلغ يتيسر جمعه..

إنه مبلغ أربعة آلاف ريال.. طبع به ما يزيد على عشرة آلاف كتيب في العقيدة..

وبدأ بين حين وآخر يعرض الكتاب الثاني والثالث والرابع.. أما الزملاء في المدرسة فقد رحبوا بذلك.. وزوجته طرحت الأمر على زميلاتها المدرسات ففرحن بذلك.

تم الأمر وأهدي كل من شارك في طبع الكتاب مائة نسخة ليوزعها لمن يراه..

رأى تهافت الناس عليه، وكثرة طلب العامة لهذه الكتب..

قابل أحد الموسرين، وأراه الكتب وتكلفتها اليسيرة فوافق على طبعها..

أصبح هذا العمل طريقه والبحث عن الكتاب المناسب ديدنه.. أحيا الله به أمة جاهلة..

ووصلت كتبه التي قام بطبعها إلى أقصى الأرض..

جهد فردي.. ولكنه يسير..

إنه جهد رجل واحد فقط..

أين أنت يا مشمر؟!

التشميرة السابعة والعشرون

* هز رأسه وكأنه يستدرك غفلته وتقصيره.. هناك إخوة لنا بين جدران أربعة ربما لا يزورهم أحد.. ولا ينبههم أحد!! من يعلمهم بأننا نحبهم ونرى ما أصابهم تكفيرًا لهم.. إنهم إخوة في السنجون يقبعون خلف القضبان.. ينادون!! أين أنتم؟!.

لبى النداء وحمل كتبًا وأشرطة وزارهم ونصحهم ودعاهم إلى التوبة والندم وهز قلوبهم وهو يقول: ربما تكون هذه الزلة منطلقًا للفلاح والصلاح..

أحبوه من خلال زياراته المتكررة.. يفرحون بلقياه وينصتون لحديثه..

* أشار هناك.. ودمعة من عينه تسقط.. دار أهلها لا يتكلمون..

قال له صاحبه.. إنها المقبرة.. أليس كذلك؟!

قال: لا.. ليت الأمر كما قلت ولكن..!!

هيا لترى معي.. لترى دارًا أهلها أحياء ولكن لا يتكلمون.. لا يتحركون.. إنها كتل لحم لا تتحرك..

ترى الدمعة في العين.. تنحدر منها.. ولا يستطيع إزالتها..

وحديث المكلوم ينطلق عبر حركة بطيئة تبث الشكوى وتحكي الحال.. إنهم نزلاء دار النقاهة..

ذهب إليهم وزارهم.. ورأى.. ولم تتوقف أحزانه أيامًا ولم تفارق عينه تلك العبر والصور..

قرر.. سأتفرغ لأمرين: الدعوة إلى الله، وإدخال الفرح والسرور على

قلوبهم . . إنهم محرومون . . مقطوعون . . أسعدهم من يرى قريبه كل شهر أو شهرين . . ولمدة دقائق فقط . .

إنهم أحياء . . أموات ! !

هـل مـن مـشمـر؟!

الخطوة الأخيرة

أخي الحبيب:

لا تبرأ ذمتك . . وأنت تقلب الصفحات . . ثم تلقي بالكتاب جانبًا . .

حاول في خطوة واحدة . . شمر ولو مرة واحدة . .

لا تتأخر عن الركب، لا يكن أبناء النصارى واليهود والبوذيين خير منك همة وأشد حماسًا . . وأكثر صبرًا . .

استعن بالله ولا تعجز.. وكن في أول الركب.

وحتى يستمر التشمير

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به».

***

صوت ينادي

الصوت

صوت ينادي:

في ليل ادلهمت فيه الخطوب . . وتاهت به الدروب في زمن تكدرت فيه المشارب . . وتلونت فيه المذاهب .

صوت ينادي:

يفيض قلبه بالمحبة . . وينبض فؤاده بالمودة .

يعرف دربك . . ويلمح قسمات وجهك .

صوت يناديك أيها الحبيب:

يا من يشع بريق الإسلام من عينيه . . وهم الأمة لظى في كبده ، يا حفيد أبي بكر . . وعمر . . وعثمان . . وعلي .

صوت يناديك:

أنت يا من صبرت في هجير الشمس صائمًا محتسبًا أنت يا من وقفت في هدئة الليل خاشعًا مصليًا . .

صوت ينادي:

يقود زمام القلم ويمسك بخطام الكلمة ويعتلي صهوة الحرف أتعبه المسير . . فقف معه واسمع كلمته . . وأقبل حديثه . .

صاحب الصوت على ضعف وتقصير منه . . وعلى عجز فيه وقصور هفواته متتالية . . وعثراته متتابعة .

ولكنه يناديك:

يا سامع الصوت . .

أنت كالنهر صاف رقراق . . لا تؤثر فيه أوراق الشجر المتساقطة ولا أعواد القش اليابسة .

أيها الحبيب في كل مكان:

صوت يحبك في الله . . فأرهف سمعك وأعره قلبك، صوت ينادي . . ألا فاسمع حديثه . .

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

الصوت الأول

نشأت في بيت لم يكن للتربية الإسلامية نصيب كبير فيه . . وشاء الله أن بدأت الهداية تخطو نحو منزلنا . . فاهتدت أختي على يد زميلة لها في الكلية . . ثم تبعتها الصغرى . . ولكن شعاع الهداية بدأ يخبو والأولى تغادر المنزل متزوجة . . ثم انطفأ مع زواج الأخرى . .

نشأت لاهيًا عابثًا وإن كان في قلبي بعض الخير . . فليس فيه ولله ـ الحمد لله ـ شبة أو تلبيس . . بل تراكم عليه ران المعصية وشهوات النفس . .

فترة من الوقت كان حديث والدي ووالدتي عن زواجي . . وعندما ألزمني والدي بذلك لم يكن ثمة خيار أمامي سوى الموافقة والقبول . . عندها بدأت والدتي وأختي البحث عن زوجة لي . .

الزوجة بالنسبة لى لا يعدو أن تكون جميلة . . وجميلة جدًّا . . ولكن الله يسر لي من كانت نظرته أعمق وأصوب . . فحرصوا على ذات الدين أولاً . . وهو ما رأيته في زوجتي التي جمع الله لها خصالاً حميدة ونفسًا طيبة ونصيبًا من الجمال . . وأكبر من ذلك وأظهره في شخصيتها رجاحة عقلها وصبرها .

فقد بدأت معي خطوات الدعوة . . خطوة . . خطوة . . وتدرجت معي من البداية درجة . . درجة . . رأتني كالطفل لابد أن يمر بأطوار ومراحل حتى يكتمل . . يجلس ثم يحبو . . ثم يقف بعدها يمشي . .

ما إن تسمع المؤذن حتى تهرع إليَّ . . لقد أذن . . نحن الآن على وشك الإقامة . . لا تفوتك تكبيرة الإحرام . .

سنتان كاملتان . . حتى بدأت أموري في الصلاة تستقيم . . وألزمتني بعدم

السهر لأستيقظ لصلاة الفجر.. حثتني على مصاحبة الأخيار.. وعلى قراءة القرآن والكتب النافعة.. وكانت تتحين الفرص لنسمع شريطًا لأحد العلماء ونحن في الطريق..

في سنوات زواجي.. تقلبت في دنياي من غنى إلى فقر.. ومن صحة إلى مرض.. بل لقد تحملت من البعد عن أهلها ووطنها سنوات.. وهي صابرة.. ما تبرمت ولا تضايقت.. ولا أعانت النوائب والمصائب..

كانت نعم المرأة.. تبدلت حالي بفضل من الله على يديها..

أعرفت أخي الحبيب من هذه..

إنها التي قال فيها الرسول ﷺ: «**عليك بذات الدين تربت يداك**».

قد يغيب عن من أراد الزواج ذلك التوجيه.. ولكنه حتمًا سيراه في واقع حياته يومًا ويرى أثر الحديث في استقامة الأسرة وهنائها وسعادتها..

ألا يا أخي لا تتردد ولا تؤجل.. أقدم.. و«**عليك بذات الدين تربت يداك**».

ما بعد الصوت:

قال يحيى بن يحيى: كنت عند سفيان بن عيينة إذ جاء رجل فقال: يا أبا محمد أشكو إليك من فلانة ـ يعنى امرأته ـ أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان مليًا ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبت إليها لتزداد عزًا.

فقال: نعم، يا أبا محمد!! قال: من طلب العز ابتلي بالذل ومن طلب المال ابتلي بالفقر، ومن طلب الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين.

ثم أنشأ يحدثه فقال: كنا إخوة أربعة محمد وعمران وإبراهيم وأنا. فمحمد

أكبرنا وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسبًا فابتلاه الله بالذل، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالاً فابتلاه الله بالفقر أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئًا.

فقدم علينا معمر بن راشد، فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة قال النبي ﷺ: «**تنكح المرأة على أربع: على دينها وحسبها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك**»، وحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة**» فاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة الرسول ﷺ فجمع الله لي العز والمال مع الدين[1].

(١) حلية الأولياء: ٧/ ٢٨٩.

الصوت الثاني

تصرمت الأيام وانقضت الليالي. . ولكن لا يزال الشهر الكريم يلقي ظلاله وتهب نفحات نسماته، فهناك من يصوم ستة أيام من شوال والبعض حافظ على قيام الليل. . وآخرون تعاهدوا صلاة الجماعة.

أما الصالحون والأخيار فإن رب رمضان عندهم هو رب الشهور جميعًا. . ما زادهم رحيل رمضان إلا ثبوتًا ورسوخًا في الطاعة وبعدًا عن المعصية.

في أيام العيد الأولى صوبت زوجته سهامًا شتتت ذاكرته ومزقت قلبه. . وأعادته سنوات إلى الوراء. .

قالت له: تزوجتك منذ خمس سنوات أو تزيد. . كم سورة من كتاب الله حفظت؟!

بل كم آية حفظت؟!

بهت الرجل وأسقط في يده. . لي هربًا من الجواب. . ولكن من ندمٌ طرقه وتفريط أرقه!!

استدرك. . نعم خمس سنوات لم أحفظ آية من كتاب الله، بل وأُنسيت ما حفظته في السنوات الأولى من عمري. .

قالت وهي تزيد ألمه وحسرته: هناك من أصحاب الهمم العالية والنفوس القوية من حفظ القرآن في سنتين!! بل والبعض في سنة!!

بل هذا أبو عبد الله حفظ كتاب الله كاملاً في ستة أشهر!!

جددت أحزانه ونكأت جراحه وهي تسترجع تقصيره وتفريطه، وكأنه لا

يعرف الله إلا في رمضان!!

بعد صمت الندم.. رفعت صوتها بقوة فيه علامات الفرح.. وهي تناديه: ولكن بقي في الحياة متسع.. تستطيع أن تدركهم وتقتفي أثرهم.. هب من غفلتك وأرنا همة أبي عبد الله.

أخي المسلم:

يطرح سؤال سهل.. ولكن مع الأسف إجابته محزنة مبكية.

كم آية حفظت من كتاب الله في السنوات الماضية؟!

ما بعد الصوت:

كان الإمام الشافعي يقسم الليل ثلاثة أجزاء، ثلثاً للعلم، وثلثاً للعبادة، وثلثاً للنوم، وكان رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة.

الصوت الثالث

* لأنه سيخرج إلى رحلة برية مساء هذا اليوم عهد إلى السائق بأن يذهب بزوجته إلى أهلها . . وقبل ذلك إلى السوق ! !

* قدم لعبة الورق ـ البلوت ـ على الحفاظ على عرضه . . وقال لابنته المراهقة . . اذهبي مع السائق فأنا مشغول جدًّا ! !

حدث نفسه وقال : سنوات وأنا أحافظ على هذه الدرة في بيتي . . كيف أتخلى عنها غدًا عند غرفة الولادة قرر صاحب الدين والغيرة أن يدخل مع زوجته حتى باب غرفة الولادة ونفث عليها بعض الأدعية والآيات . . واشترط في إصرار لا رجعة فيه أن تكون القابلة امرأة . . أو يذهب بزوجته لمستشفى آخر .

* دولاب غرفة نومه يحتاج إلى إصلاح . . قال لزوجته ويده على مؤشر التلفاز يلتقط محطات عالمية . . نادي على السائق لإصلاح ذلك . . فالأخبار بقي عليها ثوان ! !

* في الخمسين من عمره . . أخذته الحمية والغيرة . . وصرخ في وجه الاقتراح ومزقه بصوته القوي . . لن يدخل السائق بيتنا ما دمت حيًّا . .

لن أدخل رجلاً أجنبيًّا على زوجتي وبناتي ! ! شهور ثم وافق بشروط قاسية . . لا تذهب معه امرأة إلا مع محرم ! !

شهور . . فإذا به يتنازل عن ذلك ويشترط وجود الوالدة مع البنات . .

شهور . . فإذا به يشترط أن تكون امرأتان على الأقل مع الرجل الأجنبي . .

ثم سقط الشرط الأخير . . وذهبت ذات الستة عشرة عامًا بمفردها مع الرجل الأجنبي ! !

شهور . . فإذا بدمعة الرجل تسقط على لحيته ! !

* أمام بوابة الكلية . . رفع صوته حتى أسمع من في الداخل ومن في الخارج . . لماذا تأخرت علي ! !

وأخذ يصرخ ويرفع صوته . . حتى توقع الجميع أن يرفع يده . . وعندما سأل أحدهم جاره . . منذ كم ساعة فتح الباب . . قال : منذ ثلاث دقائق فقط ! !

* لفارق نصف ساعة بين خروج أخته وخروجه من كليته . . استأجر لها سيارة أجرة لتوصلها إلى بيتهم كل يوم . . فالوقت لديه ثمين ! ! وأين يذهب في هذه ـ النصف ساعة ـ ! ! هل ينتظر في الشارع ! !

* يفتعل الضحكات ويصر على بعض الطلبات . . لكي يسرق نظرة من خادمته ! !

وهو يهدي أحلى الأخبار كما قال لزوجته . . غدًا يصل السائق . .

إنها يا زوجتي أحلى الأخبار أردفت في نفسها . . حرية وانطلاق . . بدون قيود ولا حدود . . إنها أحلى الأخبار يا رجل ! !

* تحاول معه أخته أن يذهب بها إلى قريبتها . . ولكنه هدد وتوعد . . سأذهب بك . . ولكن من يرجعك . .

سأذهب لمشاهدة مباراة في كرة القدم . . ولن أعود إلا متأخرًا . . عليك أن تأتي مع السائق . . حتى وإن كان الوقت متأخرًا . . فالمباراة مهمة ! !

ما بعد الصوت:

أرى حللاً تصان على أناس وأخلاقًا تداس فلا تصان
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

الصوت الرابع

لهف وترقب في ذلك الجمع الكبير من المدرسين . . أين تم تعيينك؟! وفي أي قرية؟! وأين تقع؟! وكم تبعد؟!

اجتمع زملاء الدراسة وحديثي التخرج أمام لوحة الإعلانات . . والسؤال على كل لسان . . أين تم تعيينك؟!

في أقصى الشمال!! في قرية نائية . . لا يوجد فيها خدمات . . ولا هاتف . . كيف أذهب؟!

قال الآخر: تم تعييني في أقصى الشرق . . كيف أترك أهلي . . بل كيف أفارق مدينتي؟!

من يطبخ لي . . ومن يكنس لي؟! بل من يغسل ثيابي؟!

ضحكة سبقت أحدهم وهو يقول: تم تعييني في أعالي الجبال وقيل لي إنها مناطق نائية ذات طرق متعرجة وارتفاعات شاهقة . .

أتبع ذلك بتعليق ساخر . . سأشتري دابة لتنقلني من المنزل إلى المدرسة . .

بعد كل سؤال . . ترتفع الأصوات وتتداخل الضحكات . . يعقبه إظهار للتسخط والتذمر وعدم الرضا . .

* لله در أبي عبد الله . . حمل هم الدعوة . .

تاه فكره وأطرق في سكوت . .

وقال بحرقة: لقد تم تعييني في الرياض!

أتته الأصوات مستبشرة . . مرحى لك . . حظك طيب!!

ولكن من حمل هم الأمة بين جنبيه.. ونفض غبار العجز والكسل والراحة..

توجه من الغد بخطاب يطلب فيه تعيينه في قرية (.....) على بعد أكثر من مائة وعشرين ميلاً..

وقال وهو يحدث زوجته.. ويوضح لها الأمر: هناك أرض خصبة للدعوة..

وهنا الفطرة السليمة النقية.. ولكن يا زوجتي الجهل ضارب أطنابه..

وبدأ يعدد لها المزايا..

أوقات الفراغ نستفيد منها في حفظ القرآن ومراجعته.. وقراءة أمهات الكتب..

هناك لن نضيع ساعة أو اثنتين كل يوم عند إشارات المرور..

وافقت الزوجة المؤمنة.. بل وتحمست للأمر.. ولكن العقبة الأولى ظهرت منذ وصولهم إلى تلك القرية..

لم يجد مدرسة لزوجته في القرية لتدرس فيها..

قال صاحب الهمة والعزيمة.. من وهبه الله صبرًا واحتسابًا في سبيل الدعوة..

أذهب بك للقرية المجاورة على بعد ثلاثين ميلاً.. كل منا يكون داعيًا إلى الله في قريته..

* لله در أبي عبد الله ولله در أم عبد الله..

لا تراخي ولا كسل ولا عجز ولا ضعف.. بل همة عالية.. ومثابرة

ومجاهدة . .

تربية إسلامية في المدرسة . . ونشاط في المنزل والمسجد . . حلقات لتحفيظ القرآن . . توزيع للأشرطة والكتب . . مسابقات وجوائز . .

بل إن أم عبد الله جعلت درسًا لكبيرات السن تعلمهن ما يلزم من الدين معرفته بالضرورة . . بل رددت على مسامعهن قصار السور عشرات المرات حتى حفظنها . .

لم يمنعها الحمل والإرهاق من زيارة الجيران وقراءة الفتاوى النسائية عليهن . .

أما أبو عبد الله فجعل للكبار درسًا لحفظ القرآن بعد صلاة الفجر . . ودرسًا للناشئة بعد العصر . . أما بعد المغرب فدرس عام . . ولم ينس رحلات الحج والعمرة . . وإمامة المسجد . .

حيوية ونشاط ومسارعة للخير في كل مكان . . بل امتد نشاطه من محاضرات وزيارات . . إلى قرى مجاورة . .

* مضت ثلاث سنوات . . وأبو عبد الله يسخر منا حينما نستحثه للقدوم إلى المدينة . .

قال: كم نضيع من أعمارنا عند إشارات المرور . . وأخفى عن الجميع نتائج دعوته وثمار صبره . .

أضاء بنشاطه سماء الغفلة . . وأنار علمه قلوب أهل القرية . .

تخرج على يديه الكثير . . وتربى على يديه الكثير . .

أما أم عبد الله فقد أخرجت جيلاً يحمل هم الإسلام . . وأمهات يحفظن

نصيبًا من القرآن . .

ثلاث سنوات زال الجهل وانقشعت الغشاوة . .

* وكل سنة عند لوحة الإعلانات . .

تسمع الصوت الضعيف . . وترى من همه راحته ونومه . . وأكله وشربه . .

ترى أصحاب الضعف والخور . . وتسمع أصواتهم كل يوم . . أين تم تعيينك؟!

ما بعد الصوت:

عن رجل قال: رأيت أثر الغم في وجه أبي عبدالله ـ أحمد بن حنبل ـ وقد أثنى عليه شخص وقال له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، قال: بل جزى الله الإسلام عني خيرًا، من أنا وما أنا[1]؟!

(١) السير: ١١/ ٢٢٥.

الصوت الخامس

ما إن خرج من المجلس صاحب الوجه المضيء واللحية الكثة . . صاحب التوبة والعودة . . صاحب القلب الرقيق والدموع التي لا تنقطع . . حتى لاحقته النبال وأطلقت نحوه السهام . . وتناولته الألسن . .

تندر بتوبته . . وتهكم على عودته . . منهم من عدد مثالبه وأيام سفاهته . . ومنهم من أظهر الشفقة عليه وقال : لن يصبر . . سيعود إلى حالته السابقة ! !

وتحول المجلس إلى حديث عن الرجل . . إظهار للشفقة . . وتنبؤ بالنكوص . .

هز كبيرهم رأسه وهو يسمعهم صوته البغيض وكأنه يطمئنهم . . لن يصبر . . سيعود . . أيام وأسابيع ثم يرجع إلى سابق عهده . .

اطمأن الجميع . . وربما أظهر البعض فرحًا بذلك . .

أخي المسلم:

التندر بالتائبين وغيبتهم شاع في مجالس كثيرة . . فما إن ترى الشاب الموفق يتلمس الخطى ويلتزم الجادة . . ويطيع ربه . . وتظهر عليه آثار الخير والصلاح حتى تسمع من يطلق لسانه يعدد عيوبه ومثالبه وزلاته قبل التوبة . . بل وبعدها إن وُجدت ! !

أين الفرح بعودته إلى الله ؟ ! أين الفرح بلزومه الطريق المستقيم ؟ !

بل أين الفرح لهذا الدين بعودة أبنائه ؟ !

ثم انظر من تغتاب ؟ ! أتغتاب وتطلق لسانك على من أرسل دموع عينيه

وبكى على نفسه . . يرجو رحمة ربه ويخشى عقابه؟! أيسلم منك الكافر والفاجر ولا يسلم منك من يحتاج إلى وقفة تثبيت وشد أزر؟!

الكثير بحديثه عن التائب . . تراه ينفر عن التوبة وكأنه والعياذ بالله يقول: عد إلى حالتك السابقة . . لماذا تتوب؟! لست أهلاً للتوبة!!

وربما أن هذا المغتاب حالته الآن أقل من حالة التائب فيما سبق . . بل ربما أنه مقيم على كبائر وصغائر لم يتب منها . . وتكفيه الغيبة جادة وطريقًا؟!

كان الإمام أحمد يفرح إذا رأى لحية مسلم محناة وذلك فرحًا بإحياء السنة!!

ويكفي التائب فرحًا أنه يقف موقفًا يفرح الله فيه بعودته . . ومن كان الله يفرح بعودته ويبسط يده ـ جل وعلا ـ له هل تكره عودته . . وتبغض توبته . . إذا لم تكن التوبة لي ولك وله . . فلمن تكون؟!

ما بعد الصوت:

روي عن مالك بن دينار[1]: أنه سئل عن سبب توبته؟ فقال: كنت شرطيًا وكنت منهمكًا على شرب الخمر، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة، ووقعت مني أحسن موقع، فولدت لي بنتًا، فشغفت بها، فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حبًا، وألفتني وألفتها . .

قال: فكنت إذا وضعت المكسر بين يدي جاءت إليَّ وجاذبتني إليه وهرقته على ثوبي فلما تم لها سنتان، ماتت، فأكمدني حزنها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة الجمعة، بت ثملاً[2] من الخمر، ولم أُصلِّ فيها عشاء

---

(١) هو مالك ابن دينار البصري من رواه الحديث كان ورعًا يأكل من كسب يده ويكتب المصاحف بالأجرة، توفي رحمه الله سنة ١٣١هـ.

(٢) الثمل الذي قد أخذ منه الشراب والسكر.

الآخرة، فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، ونفخ في الصور، وبعثرت القبور، وحشر الخلائق، وأنا معهم، فسمعت حسًّا من ورائي، فالتفت، فإذا بتنين[1] أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعًا نحوي فمررت بين يديه هاربًا فزعًا مرعوبًا، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة، فسلمت عليه فرد السلام فقلت: أيها الشيخ، أجرني من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه، فوليت هاربًا على وجهي، فصعدت على شرف من شُرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرت إلى هولها، وكدت أهوي فيها من فزع التنين، فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها!! فاطمأننت إلى قوله ورجعت، ورجع التنين في طلبي، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ: سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل، فبكى الشيخ، وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك، فقال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة، وفيه كوى مخرمة وستور معلقة، على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدر، على كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربًا والتنين من ورائي، حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا!! فلعل لهذا البائس منكم وديعة تجيره من عدوه، فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت، فأشرفت علي من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني، فتحيرت في أمري فصاح بعض الأطفال: ويحكم!! أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه، فأشرفوا فوجًا بعد فوج، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي

---

(١) التنين: ضرب من الحيات من أعظمها كأكبر ما يكون منها.

معهم، فلما رأتني بكت، وقالت: أبي والله! ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي. فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتلعقت بها، ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربًا.

ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي، وقالت: يا أبت ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦] فبكيت وقلت: يا بنية، وأنتم تعرفون القرآن.

فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم.

قلت: فأخبرني عن التنين الذي أراد أن يهلكني؟

قالت: ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم.

قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي. قالت: يا أبت، ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء.

قلت: يا بنية: وما تصنعون في هذا الجبل؟

قالت: نحن أطفال المسلمين قد أُسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم.

قال مالك: فانتبهت فزعًا، وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله عز وجل وهذا كان سبب توبتي[1].

---

(١) كتاب التوابين ص ٢٠٢.

الصوت السادس

* يتحدث في كل مجلس.. أنا فعلت.. وأنا مرهق من كثرة العمل.. وأنا قدمت للإسلام.. وفعلت.. وفعلت!! بجواره من عمل أضعاف أضعاف عمله وتحمل الجهد الجهيد في سبيل الله ولكنه قال: رحم الله حالنا ليتنا مثلك.. ما قدمنا شيئًا!! وما فعلنا شيئًا!!

* ما جلس في مجلس إلا رأى الانتصار لنفسه.. ما طرحت فكرة أو تحدث بحديث إلا كان رأيه الصواب وحديثه الصحيح.. فقد أدب الحوار وفقد احترام الآخرين!!

* تتبع عجيب لأحوال الناس وتفقد لأمورهم.. هذا لماذا طلق؟! وتلك لم طلقت؟! وهذا أين يعمل؟! وذاك أين تم تعيينه؟! سنوات وهو يتابع وسنوات وهو يرصد من حوله ومن عرفهم.. ولكن في النهاية ماذا استفاد؟! وماذا جنى!!

* لا يقيم وزنًا لمعلمه ولا لشيخه.. يتتبع السقطة ويتحدث عن الزلة.. ويدعى أنه من تلاميذ الشيخ.. وممن درس على الشيخ!!

* ما شاء الله زوجتي مؤدبة.. ومطيعة.. وتتجمل لي.. و.. وفي كل يوم يأتي بقصة عن زوجته وماذا فعلت وكيف لبست وأين تذهب؟! إنها دياثة صغرى!!

كلما دعته والدته ليذهب بها.. صرخ في وجهها وكأنه يهددها.. لدي محاضرة!! لدي درس!! لدي..!!

نسي الأخ الحبيب قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ [الإسراء].

* يخرج من الباب الخلفي حتى لا يراه والده ويطلب منه شراء بعض اللوازم.. وهو في نفس الوقت يذهب لزميله ويصر على سؤاله.. توصي على حاجة أو غرض؟!

وترك والده الشيخ الكبير وعيناه تترقبان خروج الابن الذي هرب من الباب الخلفي!!

* يبدأ المجلس بالتعليقات والنكات.. تتوالى الضحكات.. والحديث كله عن البطن والفرج.. تعليقات سمجة وحديث مكروه.. فيه إشاعة للفاحشة وذكر للمساوىء!! هل هذا مجلس خير؟!

ما بعد الصوت:

حكي عن بعض الصالحين أنه رأى رجلاً وهو يضحك ضحكًا شديدًا، فقال له: يا هذا!! هل ذقت الموت؟ قال: لا، قال: فهل رجح ميزانك؟ قال: لا، قال: فهل جزت الصراط؟ قال: لا، قال: فلأي شيء هذا الضحك والفرح؟ قال: فبكى الرجل وقال: لله علي نذر أن لا أضحك بعدها أبدًا.

الصوت السابع

مجلس خاص ضم الكثير من التائبين . . وأصحاب الوجوه المشرقة والجباه النيرة . . تحدثوا فيه عن أعظم الأمور تأثيرًا في حياة الإنسان . . وأكبرها أثرًا في حياته ! !

بصفاء نفس وبرغبة صادقة في أن تعم الفائدة . . كل أدلى بدلوه . . ورمى بسهمه . .

منهم من ذكر صديق السوء وأثره . . ومنهم من تحدث عن أثر الأشرطة في حياته . . وآخرون تحدثوا عن لحظات السعادة تقبل عليهم . . بعد توبة صادقة . .

وعندما أتى الحديث إليه . . قال : أكبر الأمور تأثيرًا في حياتي . . هو إطلاق لحيتي . . فإنني منذ أطلقتها رأيت في نفسي العجب . . وفيمن حولي ! !

لا شك إنني ـ ولله الحمد ـ تركت محرمًا وتجنبت معصية . . ولكن وجود هذه اللحية جعلني أفعل الكثير من الخير وأترك الكثير من الشر . .

لا أطلق بصري على النساء خوفًا من الله جل وعلا وترفعًا أن يقال هذا ملتزم وينظر إلى ما حرم الله . . بل إن النساء عندما يرين صاحب اللحية يتسترن ويتحشمن في لباسهن . .

في المحلات والأسواق والمجالس لا أجادل كثيرًا وأحسن خلقي وأتأدب في حديثي رغبة في أن لا أكون مسبة للملتزمين وعارًا عليهم . .

في كل مكان وفي كل حين . . أحاول أن أرسم الصورة الحسنة عن

الملتزمين . . رغبة فيما عند الله وترفعًا أن أكون صورة سيئة في أعين الآخرين .

والأعجب من هذا . . معاملة عامة الناس لصاحب اللحية . . فإن أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر سمعوا منك واستجابوا لك . . وإن كنت حكمًا بين خصمين رضيا حكمك . . وإن تحدثت أنصتوا . .

ولعلي أذكر لكم طرفة وقعت لي منذ فترة . .

فقد دخلت إلى أحد الأسواق المكتظة بالعمالة . . وكان المؤذن قد فرغ من الأذان لتوه . . وعندما أقبلت على أحد ممرات السوق الطويلة التي امتلأت بالعمالة يمنة ويسرة وهم جلوس . . رأيت العجب . .

انطلق الأول . . ثم الثاني . . وتبعه الآخرون في حركة سريعة تدعو للريبة والخوف ! !

التفت خلفي لأرى ما الذي دعاهم إلى ذلك الهروب ! ! ولكني لم أر خلفي أحد . .

لحظات . . فلم يكن في الممر سواي . .

فكرت في الأمر . . لماذا الفرار ؟ ! ومن أي شيء هربوا ؟ ! !

أسرعت الخطا . . قررت أن أهرب مثلهم . . ولكني تراجعت . . فلقد هربوا عندما رأوا لحيتي الكثة وظنوا أنني من رجال الحسبة . .

تأملت الأثر الطيب لهذه الطاعة الظاهرة . . إنها طاعة تعين على التثبيت والبعد عن المعصية . . كلما همت نفسك بمعصية تقف أمامك ! !

إنها كالرفيق . . تعين على الطاعة وتصد عن المعصية . .

بهت الجميع . . وقال أحدهم : نبهتنا لأمرٍ نحن عنه غافلون . . وخير نحن

له حاملون . .

ما بعد الصوت:

عن عوف بن عبدالله قال: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب، فداووا القلوب بالتوبة، فلرب تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب[١].

(١) صفة الصفوة: ٣/ ١٠٤.

الصوت الثامن

لا أخفيك . . ولا أخبىء عنك . . أنا مفتون ! !

سأله في استغراب . . كيف يكون ذلك ؟ ! هل في قلبك شك ؟ ! أم ماذا ؟

هز الناصح رأسه وقال : هات كأسًا واملأه ماءً . . ثم ضع نقطة من السم عليه ! ! هل يجتمعان ؟ ! كيف تريد أن يجتمع في قلبك حب الغناء وحب القرآن ؟ !

وتابع وهو يشير بيده : حتى ومن قال بإباحة الغناء من بعض العلماء فإنه قصد الغناء بالصوت وحده دون آلة لهو أو طرب . .
أما بآلات اللهو . . فلم يقل أحد بجوازها ! ! لا تتعجب . .

أرأيت ما تتكيء عليه وتضعه حجابًا لك عن النار ! ! وتقول إن العلماء أجازوا ورخصوا ! ! إنه الصوت فقط . .

ثم إني سائلك ومستفتيك مثل ما استفتى ابن عباس أحدهم وهو يسأل عن الغناء . .

فقال : أرأيت إذا كان يوم القيامة أين يكون الغناء ؟ ! في ميزان الحسنات أو السيئات ؟ !

رفع صوته نحو رفيقه وهو يلح عليه . .

أجبني أنت . . أين يكون ؟ !

هل هو زاد تتقرب به إلى الله أم هي أوزار وسيئات تحملها على ظهرك يوم القيامة ! !

إنها ذنوب ومعاص تدون في صحيفتك . . تراها إذا نشرت لك يوم

القيامة . .

يوم تكون في حاجة إلى حسنة . . نعم إلى حسنة واحدة . . إنه يوم الفقر الشديد . .

أخي الحبيب:

هلا استبدلت شريط الغناء بشريط قرآن أو محاضرة . .

استمع حفظك الله ولو مرة واحدة شريطًا لأحد أئمة الحرم . . لترى كيف يفيض دمعك وتتغير نبضات قلبك . .

لكم حرمت من الخير بسبب ذلك التفريط . . فالمعصية وراءها معصية والحسنة تتبعها حسنة . .

ما بعد الصوت:

يروى أن ابن المنكدر ـ رحمه الله ـ عندما نزل به الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته، ولكني أخاف أن أكون قد أذنبت ذنبًا حسبته هينًا وهو عند الله أعظم[1].

---

(١) الثبات عند الممات: ٩٤.

الصوت التاسع

* التفت يمنة ويسرة بحركة سريعة . . وهم بما يريد . . وضع لثامًا على وجهه ثم أطلق لسيارته العنان متجازوة إشارة المرور الحمراء . . التي يعرف منذ الصغر أنها تعني التوقف . . هز رأسه فرحًا بهذا الانتصار وتجاوز الإشارة . . كأنه دخل القدس فاتحًا ! !

* أوقف سيارته عند الإشارة وتنحنح . . ثم عدل من وضع رأسه . .

بدأ بمن عن يمينه . . التفت إليهم برأسه كاملاً حتى رأى كل من في السيارة المجاورة . . ثم التفت إلى السيارة التي خلفها . . ثم التفت يسرة ليفعل مثل ذلك ! ! ولم تفته السيارة البعيدة فقد أصلح من جلسته وأمال جسمه حتى يرى من بداخلها ! !

* ارتفع صوته داخل إحدى محلات الملابس وبدا له أنه ـ ملك الغابة ـ أخذ يفاصل من أجل ريالات بسيطة . . وأسمع كل من في المكان صوته . .

لحظات ثم . . هدأت الأمور . . وأرجع له البائع بعد جدال طويل ريالين . . وخرج .

قال صاحبي : هذا يشتري سكوته بمئات الريالات . . لا بريالين ! !

* هز رأسه فرحًا بعد أن انتهى من وضع جدول كامل لمدة شهر . . يزور فيه الزملاء والأصدقاء . . وطلبة العلم . . وقال : الآن ترتب وقتي . . أعرف أين أذهب ومتى أذهب ! !

نسي عمته العمياء العجوز التي لم يرها منذ شهور ! ! وتناسى أخته المتزوجة

التي لم يدخل منزلها منذ ما يزيد عن عام . .

لم يكن للأقارب نصيب في وقته . . ولم يكن للجيران ذكر على لسانه . .

لقد نسي الكثير ! !

* له سهم في كل حديث . . وله مقالة في كل علم . . لا يترك مجلسًا دون أن يطلق للسانه العنان . . يأخذ من هذا ويقع في هذا . . ويدعي معرفته بهذا ! ! لم تحدثه نفسه يومًا بمراجعة حساباته . . ليرى وينظر في أقواله ! !

* يسافر في العطل والمناسبات مع جمع من أصحابه . . يمر الأسبوع والأسبوعان بدون فائدة . . رياضة . . ضحك . . مزاح . . قراءة في كتب الطرائف والقصص . .

يمضي أسبوع أو أكثر في رحلة لم يقرأوا فيها كتابًا مفيدًا ! !

* صاحب النفس الخفيفة . . هذا ما يطلق عليه . . فهو يرتب لهم نهاية كل أسبوع رحلة برية . . يتولى الإعداد لها وشراء متطلباتها و . . ! !

صاحب النفس الخفيفة هذا . . ثقيل في بيته . . لا يرفع كأس ماء . . ولا فنجان شاي أو قهوة . . بل ما عرفت زوجته وأبناؤه أن الأب يخرج مع عائلته . .

بل كل ما تعرفه وتشاهده . . أن الأب يخرج منذ سنوات مع شباب مثله ! ! أم هم في المنزل نهاية كل أسبوع بدون أب ! !

* تمر أمامه امرأة مسلمة لم يظهر منها شيء . . ولكنه ترك لعينيه العنان . . تتابع خطواتها وتلحظ حركاتها . . أتبعها البصر . . ثم أتبعها البصر حتى اختفت ! !

* يبتسم في وجه القريب والبعيد . . والكبير والصغير . . دائم

الابتسامة . . كثير الترحيب . . باشًّا هاشًّا في وجه كل إنسان . . ولكن الأمر يختلف هناك . .

لا يهش ولا يبش ولا يسلم إلا بصوت خافت . . بل ربما لم يصافحه منذ شهور ! !

إنه ليس يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا مجوسيًّا ولا بوذيًّا ! !

إنه شقيقه من أمه وأبيه . . يفوقه علمًا ويفضله ورعًا . . ويزيد عنه تقًى . . سقطت المقاييس واختلت الموازين . .

* وهو واقف رأى من تسير أمامه كاشفة الوجه . . مظهرة اليدين . . تفرس في وجهها . . ثم فجأة تذكر . . وصرف البصر .

لكنه نسي أن يقول لها : عليك بالستر يا أختي المسلمة ! !

ما بعد الصوت:

قال الحسن رضي الله عنه : ما ضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ، ولا نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى طاعة أو على معصية؟ فإن كانت طاعة تقدمت ، وإن كانت معصية تأخرت[1] .

---

(١) جامع العلوم والحكم : ٩٣ .

الصوت العاشر

في أيام الإجازات والعطل جعلت جل وقتي للدعوة . . خاصة أنني أرى الكثير من الشباب أوقاته تهدر وأيامه تضيع . .

هنا أراهم على شاطيء البحر . . بين غناء ولعب ولهو . . إضاعة للأوقات . . وترك للواجبات . . واستهانة بالحرمات . .

في تلك الأيام . . أشعر بسعادة غامرة وصفاء لا حد له . . أحمد الله على القبول وأصبر على ما يصيبني فأنا في جهاد . . وإن كان ما يصيبني شيئًا لا يذكر ولله الحمد . .

لا أستعجل النتائج وليست مهمتي تتبع ذلك . . بل همي الأول أن أقتفي أثر الرسول ﷺ ومنهجه في الدعوة . . بجهد بسيط أنبه الغافل وأذكر الناسي . . مدخلي إلى ذلك الكلمة الطيبة . . والابتسامة المشرقة . . أستعين بأسهل الوسائل وأيسرها . . الكتاب والشريط . .

الفرح الذي يغمرني بين حين وآخر هو سرعة التأثر وقرب الاستجابة . . بل أحيانًا لا أتجاوز خطوات حتى أرى أثر الدعوة على البعض . . وتطرق أذني بين حين وآخر دعوات تهز قلبي . .

* في مساء يوم من أيام إجازة الربيع هبت فيه نسائم هواء باردة . . حملت بعض الكتب لتوزيعها على شاطيء البحر . . البعض يفترش الأرض والأرصفة والبعض الآخر مثل هؤلاء الشباب ركبوا في سيارتهم وأضاءوا مصباح السيارة الداخلي . . وهم في أشد حالات التركيز والانفعال والحرص على ما بأيديهم فهم يلعبون بالورقة . .

استعنت بالله واتجهت نحوهم . . طرقت نافذة السيارة التي أقفلت حماية من البرد . . التفت الجميع بدهشة . . ثم فتحت النافذة . . وسمعت صوت الموسيقى الهادئة ترتفع . . ابتسمت وسلمت . . وسألت عن حالهم وقلت . . هذه هدايا لكم . . يبدو أنكم من منطقة أخرى . . تقبلوا هديتنا هذه إليكم . .

تقبلوا الهدية . . ربما حياء أو حب استطلاع أو شفقة علي من البرد والجهد . . شكرتم . . وأنا أودعهم . .

سرت عشر دقائق أو أكثر . . مررت على بعض من كان على الشاطيء . . ثم عدت مع نفس الطريق راجعًا . . أسلم على من أقابله . . وتحين مني التفاتة عجلى لأرى أين وضعت الكتب . . والأشرطة . .

وعندما مررت بجوار أولئك الشباب . . فرحت . . لقد رأيت الأثر والقبول السريع . . تركت الورقة جانبًا . . وعزف عن اللهو . . وكل من أولئك الشباب انحنى برأسه إلى الخلف ورفع الكتاب بين يديه يقرأ . . مررت بجوارهم وهم مستغرقون في القراءة . .

لم يعرن أحد منهم التفاتة . . ولم ألمح منهم سوى التركيز والانتباه . . حمدت الله . . أنني بلغت ولو آية . . ولو كلمة . . وأوصلت شريطًا وكتابًا . .

* سألت نفسي بحماس : بقي من الإجازة أيام . . وتسارعت الأفكار في عقلي وتزاحمت الهواجس في خاطري . . هل تقتصر دعوتي على العطل والإجازات فقط ؟!

سؤال نفضت به غبار الكسل وأزلت به غشاوة العجز . . لا . . هنا في الحي وفي المسجد وفي المدرسة . . في أماكن التجمعات . . في الأفراح في المناسبات . .

هنا دعوة . . وهناك دعوة ! !

ما بعد الصوت:

قال السري: اجعل قبرك خزانتك، احشوها من كل عمل يمكنك، فإذا وردت على قبرك سرك ما ترى فيه[١].

(١) الزهد للبيهقي: ٢٢٩.

الصوت الحادي عشر

أغلق باب المنزل بقوة.. عندها علموا أن هذا إيذان بقدومه.. أطل عليهم وهم مجتمعون.. الزوجة والأبناء.. عبوس على وجهه.. وحركة يديه توحي بأن هناك سؤال قادم.. ومشكلة جديدة..

صرخ فيهم.. أين الغذاء؟!

قالت بضعف وهي مستسلمة لما سيحدث: إنه في غرفة الطعام..

قال لها بغضاضة وغلظة: اليوم سيزورني زميلي ومعه زوجته.. رتبي كل شيء.. لا تنسي أن تضعي كذا وتطبخي كذا.. واستمر في سرد التعليمات وإطلاق التحذيرات..

قالت برحابة صدر: حياهم الله.. متى سيأتون؟!

قال: بعد صلاة العشاء غدًا..

بدأت الاستعداد والترتيب.. أجهدت نفسها.. وأرهقت جسمها..

استعدت وأعدت الأبناء والعشاء.. والمنزل.. وحين أطلت الزائرة أخذتها بالترحاب والبشاشة.. وأجلستها في مكانها..

قالت: الزائرة: أنت تشبهين زوجك؟

قالت وابتسامة تزين محياها.. في ماذا أشبه زوجي؟!

قالت: في البشاشة وحسن الخلق.. وخفة النفس.. فزوجي يذكر أن زوجك صاحب نكتة مليحة وابتسامة لا تفارق محياه.. وأنه يشيع جو المرح والسرور في المكتب!!

بل إنه يزيل الكآبة والسأم بمرحه ولطفه عن جميع الزملاء . .

سكتت . . وأجالت الطرف . . وحار العقل . . ربما أخطأت!! زوجي ليس كذلك . . ولا يحمل من تلك الصفات إلا ضدها . .

وقالت في نفسها : ربما تسمعين بعد لحظات صوته وغلظته وسوء خلقه . . ولكننا صابرون!! محتسبون!!

قالت الزائرة بعد سكوت : سأروي لك ما حصل لهم في المكتب اليوم . . وروت لها . . ما جرى بتفصيل دقيق . .

وعندما أتمت الحديث بضحكة قوية . . واردفت : ألم أقل لك إن زوجك صاحب طرفة ونكتة؟! وخفيف الظل . . مرحى لك كل يوم تسمعين مثل هذه الطرف والدعابات!!

تبسمت صاحبة المنزل وهي تخفي حزنًا يلازمها منذ أن تزوجت . .

وقالت لنفسها : هذا للزملاء والأصحاب . . أما الزوجة والأبناء فلا!! ما رأينا ابتسامة ولا دعابة . . ولا كلمة طيبة منذ سنوات!!

أخي المسلم:

بعض الأزواج ـ هداهم الله ـ تجده هاشًّا باشًّا في مجتمع الرجال . . يتميز برحابة صدر وحسن أدب . . وله قوة عجيبة في التحمل والصبر على الأذى . . بل وفي العفو عن الهفوات والزلات . . يجتمع له رجاحة عقل مع حسن أدب تلازمهما بشاشة ولطف . . ولكنه في منزله بين زوجته وأبنائه يتحول إلى أسد يزمجر . . يكشر عن أنيابه وينقلب إلى كتلة من الغضب والحمق . . يتحول ذلك اللطف إلى صراخ وتلك البشاشة إلى عبوس وذاك الحلم إلى طيش . .

لا يتحمل حديث زوجته . . ولا يصبر على حركة ابنه . . إن أخطأت صرخ في وجهها وإن أصابت بحث عن لوم لها . . إن تحرك ابنه ضربه وإن قام طرده ! !

وفي النهاية . . يفرح الجميع عندما يغادر المنزل . . فيسوده الهدوء . . وتسكن النفوس . . وترتاح القلوب . .

من أولى بحسن الخلق ؟ !

ما بعد الصوت:

قال إبراهيم الحربي : ما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي : حمّى قط وجدتها .

الرجل هو الذي يدخل غمه على نفسه ، ويغم عياله ، وكان بي شقيقة خمسًا وأربعين سنة ، ما أخبرت بها أحدًا قط ، ولي عشرون سنة أبصر بفرد عين ما أخبرت بها أحدًا قط ، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين ، إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت ، وإلا بقيت جائعًا عطشان إلى الليلة الثانية ، وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة ، إن جاءتني به امرأتي أو إحدى بناتي أكلته ، وإلا بقيت جائعًا عطشان إلى الليلة الأخرى[١] .

---

(١) طبقات الحنابلة : ٨٦ .

الصوت الثاني عشر

* تجادل هو وصاحبه من سيدفع لصاحب المحل . . وأصر بل وحلف بالله أن يدفع المبلغ ! ! تراجع زميله وتقدم ودفع المبلغ بسرور وفرح ! !

هناك في المنزل زوجته منذ يومين تنتظر حليبًا لطفلها ولوازم أخرى . . لم تأت حتى الآن . . ومن يأتي بها . .

إنه بخل وشح وعدم مبالاة ولكن . . أين ؟ !

في أهله وزجته . . أما صديقه وزميله فالكرم بلا حدود .

انقلبت الآية . . واختلت الموازين .

* لم يحمل هدية منذ عشر سنوات لزوجته . . فهي لا تعرف الهدايا ولم تسمع بها منذ زواجها . . بل حتى التبسم وهو أغلى الهدايا . . لا تراه ! !

ولكنه انفرجت أساريره اليوم وهو يسمع أحد زملائه في المجلس يسميه ـ أبو الهدايا ـ لكثرة الهدايا التي يقدمها لأصدقائه وزملائه ومعارفه ! !

* بعد مضي عام كامل على زواجه . . سألته زوجته : كم مرة أدركت تكبيرة الإحرام مع الإمام ؟ !

فاجأه السؤال . . واحتار في الجواب . . وقال : صدقت ! ! مرات عديدة فقط في عام كامل أدركت فيها تكبيرة الإحرام ! !

هناك في الجانب الآخر اعتذر مرة واحدة في هذا العام عن اجتماع الزملاء والأحباب الأسبوعي ! !

* حمد الله وشكره . . وقال : المصاريف تحملتها أم الأولاد . . مرتبها عال

وهي موافقة وإن كانت تغضب أحيانًا ولا ترضى بالإنفاق إلا بالضغط والتهديد!! نسي المسكين أنه ملزم بالإنفاق لا هي!!

* في مجلس مع أهله.. كلما دخلت زوجته جرحها بكلمة وألحقها مسبة.. حتى وإن قدمت طعامًا لاحقها بعلة فيه أو نقص في مذاقه.. رجل في إطلاق لسانه..

هناك في الجانب الآخر تثور ثائرته ويعلو صوته عندما قال زوج أخته معتذرًا عن التأخر.. لقد تأخرت بسبب أختك!!

* شح في الإنفاق وبخل في الصدقات.. لم يتصدق بثوب جديد أو نعل جديد ولكن قال لزوجته أنا أحب الإنفاق.. ثوبي الأبيض تصدقي به.. ونعلي الأحمر ادفعيه للفقراء..

قالت زوجته: هل بقي ثوب.. ونعل.. وأنت تلبسهما منذ سنوات!!

* كلما دخل على والدته ناولها ما تيسر من النقود.. سنوات وهو يفعل ذلك.. كل أسبوع يقدم لها مبلغًا.. لم ير قلة في ماله ولا نقصًا في رزقه.. قبل رأسها وهو يناولها ما تيسر من الخير.. وحين خرج.. حمد الله أن أبقى له والديه يبرهما ويحسن إليهما..

* على كبر سنه وضعف نظره.. وبعد المسافة ومشقة المواصلات.. لم يمنعه ذلك من ركوب الحافلات أو استئجار سيارة أجرة لزيارة قريباته.. نعم الرجل أنت.

* لا يأمر ولا ينهى في بيته.. ولا يعرف شيئًا في القوامة.. زوجته مع السائق.. هم أهل القوامة.. يشترون ويبيعون.. ويتصرفون.. ويخرجون ويدخلون!! وصاحب القوامة يحتاج إلى قوامه!!

* قالت له في لحظة استرخاء: أريد إذنًا عامًّا.. أذهب متى شئت.. وأرجع متى شئت.. هناك ظروف طارئة.. وهناك لحظات حرجة.. وهناك!!

قال: لا مانع.. لديك إذن عام.. فقد الإذن وفقد الزوجة.. يأتي فلا يجدها.. ويخرج وهي لم تأت!! أين ذهبت.. متى خرجت؟! سقطت مع الإذن العام!!

* شاركها في نصف مرتبها.. ثم أخذ الراتب كاملاً.. وبنى منزلاً.. وتزوج بأخرى وأخيرًا طلقها..

فقدت الزوج ـ الرجل ـ وفقدت جزءًا من ثمرة الجهد والعمل..

ما بعد الصوت:

قال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا ما طوي لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما حصل بينه وبين الأرض شيء قط[1].

(١) حلية الأولياء: ٢/١٤٦.

الصوت الثالث عشر

كانت المساجد في السابق تعج بالناصحين المشفقين، ممن يقفون بعد الصلاة فيذكرون القلوب القاسية وينبهون أهل السبات والغفلة..

الآن تمر فترات طويلة لا نسمع فيه صوت متحدث.. رغم كثرة المتعلمين وتعدد القادرين.. ولكن ذات مساء.. نهض شاب عليه سمات الخير.. ووقف أمام المصلين..

ابتدأ باسم الله وصلى على نبيه ﷺ، ثم وضع الجميع في مقارنة رهيبة.. وقياس عجيب.. وحال متناقضة..

عندما قال بأسى وحرقة: إن من يتجاوز إشارة المرور يستحقر فعله ويستهجن صنيعه.. وتلاحقه الأعين باشمئزاز.. وتنعته الألسن بقلة الذوق والأدب.. بل وعدم المحافظة على الأرواح والاستهتار بالقوانين.

ثم استدرك وقال: هذا قانون وضعي.. أرأيتم كيف كان مصير من خالفه.. ومن تعدى على نظامه.. جزاءًا وغرامة وسجن..

أشار بيده.. هنا في الجانب الآخر.. كم جار لكم لم يصل معكم في المسجد؟!

بل هناك من حولكم من لم يسجد لله سجدة فلا ترونهم في الجمع ولا في رمضان..

العجب أحبتي أكبر حينما نرى الحفاوة بهم والبشاشة لهم.. لم يحتقر أحدًا منهم.. ولم نسمع أحدًا ينادي بصوته.. هؤلاء خالفوا تعاليم الله واستهانوا

بأوامره . . بل لم يقل أحد بصوت ضعيف : هؤلاء مستهترون!! ومقصرون!!

أرأيتم ـ أيها الأحبة ـ وهم مخالفون لأمر الله . . متهاونون في شعيرة عظيمة . . لم يهجرهم أحد . . ولم يستهجن فعلهم أحد!! بل ولم ينصحهم أحد ويشعرهم بسوء فعلتهم ومغبة معصيتهم . .

استدرك الشاب أحزان الأمة وهو يقول : لو جعل جزاء تارك الصلاة مساويًا لجزاء قاطع إشارة المرور . . لرأيتم العجب . . و . .

ما بعد الصوت:

قال رجل لأبي عبد الرحمن زهير بن نعيم : يا أبا عبد الرحمن توصي بشيء؟

قال : نعم احذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة[١] .

(١) صفة الصفوة: ٤/٩ .

الصوت الرابع عشر

عرضت عليه زوجته ما ذكرته إحدى زميلاتها عن «المدرسة الفلانية» وحاجتها إلى مدرسة نشيطة متحمسة للدعوة.. توجه الطالبات وتنبه الغافلات.. وتعين على الخير وتكون قدوة لهم.. تشحذ الهمم وتستحث النفوس..

أجاب صاحب الهمة العالية.. والعزيمة الصادقة.. وأين هذه المدرسة؟!

أجاب صاحب الهمة العالية.. والعزيمة الصادقة.. وأين هذه المدرسة؟!

قالت: في الحي الفلاني..

قال: يا زوجي.. هذه المدرسة في الشرق ونحن في أقصى الغرب!!

ولكنه استدرك ـ وكأنه يتأسف من زلة ـ إن لم تجدي واحدة من زميلاتك تذهب لهذه المدرسة.. لا مانع لدي من أن نحتسب الأجر.. ونذهب كل يوم!!

مضت شهور.. وبدأ العام الدراسي الجديد.. وإذا بصاحب الهمة والعزيمة والصدق يفي بوعده..

كل يوم يذهب بها من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق..

قال مازحًا في اليوم الأول.. زيادة نصف ساعة ماذا تعني في العمر! بل إنها لحظات غالية ودقائق نفيسة كم مرة سمعنا فيها شريطًا!!

سنة دراسية واحدة.. فإذا أكثر من ستمائة طالبة تتبدل أحوالهن.. محافظة تامة على الأوقات.. التزام كامل بالأوامر وابتعاد عن مواطن الزلل.

سنة واحدة.. فإذا بالكثيرات منهن حفظن أجزاءً من القرآن الكريم.

سنة واحدة.. لا يحصى من اهتدين على يديها والتزمن بسببها!!

طالبة واحدة.. ثم عائلتها.. ثم صديقاتها وجاراتها.. إنه مجتمع كبير قامت بذلك الجهد معلمة واحدة.. غرست ورعت وحصدت!!

لله در أبي عبدالله!! ما تضايق يومًا ولا تأفف ساعة. بل سنة كاملة بحرها وبردها.. بصيفها وشتائها.. كل يوم يسير متجهًا إلى تلك المدرسة محملاً بالكتب والأشرطة.

* بعد سنة كاملة التفت إلى زوجته يعتذر لها عن أعطال مستمرة وإصلاحات دائمة في سيارته..

قالت له بفرح: نحتسب كل ذلك عند الله.. بل كل قطرة عرق نحتسبها..

عندها قال أبو عبد الله: انتهت سنة كاملة..

الآن يا زوجتي.. أين نذهب؟!

أخي الشاب:

نعم الرجل فرغ زوجته للدعوة.. فما صدها ولا ضيق عليها.. بل أعانها ووقف بجوارها وتنازل عن بعض حقوقه في سبيل أن تزكي علمها وتنشر خيرها!!

إنه نموذج متكرر لشباب كثر.. ما رأى موطن خير إلا سار إليه.. وما

أبصر ثغرة إلا سدها . .

هناك البعض . . يقف عثرة في وجه الداعية لأسباب تافهة وقصور واضح وعجز متراكم ! !

ماذا يضرك لو احتسبت الأجر في كل يوم . . إنها خمس دقائق أو تزيد قليلاً . . بل ما يضرك لو ضحيت بنقص في منزلك أو مأكلك ومشربك في سبيل أن تحيا أمة بسبب جهدك وجهد أختك وزوجتك ؟ !

إنها ـ أخي الحبيب ـ تخرج أمهات مستقبل وصانعات رجال الغد . .

ألا وقفة خير ؟ !

ما بعد الصوت:

كانت صفية بنت سيرين تقول : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب ، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب[١] .

---

(١) صفة الصفوة : ٤/ ٢٤ .

الصوت الخامس عشر

* المجلس يضم كثيرًا من الشباب.. ولأن الرحلة برية والدعوة مفتوحة.. كان الحديث متنوعًا وشاملاً.. تسيد أحدهم المجلس.. وبدأ يدلي بدلوه في كل بئر.. ويرمي برأيه في كل مجال.. ويجيب عن كل شيء.. ولما سئل عن مسألة شرعية.. قال: أظن أن الجواب كذا!!

هنا انبرى له صاحب الحمية والغيرة على الدين.. لم يسمع صوته أبدًا.

ولم يعرف له حديث أبدًا قال: هل الدين بالظن؟! من أجاز لك أن تفتي وتتحدث بغير علم.. تحدثت في السياسة فسكتنا.. وفي علم النفس فصبرنا.. وفي الاجتماع فضحكنا.. وفي الدين لا نسكت لك ولا نرضى ذلك..

قلت في المسألة الأولى كذا.. وهذا غير صحيح.. وفي الثانية أخطأت في كذا.. وفي الثالثة تظن!! كان عمر بن الخطاب إذا عرضت له المسألة جمع لها أهل بدر.

* مجلس يتكرر كل أسبوع.. تتداخل فيه الأصوات ترتفع تارة وتنخفض تارة..

ولكن المجلس أخذ طابعًا معينًا ألا وهو نقد المسؤولين والموظفين والبارزين من علماء وطلبة علم وأدباء وغيرهم.

فما أن يطرح اسم فلان حتى تتلاقى السهام.. وترتفع السيوف تقطع في عرضه وتنهش من لحمه!!

ثم اسم آخر.. وهكذا.. حتى من شهد لهم بالعلم والصلاح والتقوى لم

يسلموا من ذلك!!

كان في طرف المجلس مستمعًا وعندما بدأوا بأكل لحم عالم من علماء الأمة انبرى لهم على صغر سنه وقال:

تقويم الرجال أمر صعب.. ولابد أن تقع فيهم!! وما فائدة حديثكم!! تركتم أناسًا هم أحق بإظهار معائبهم ومفاسدهم وملتم إلى هؤلاء!!

* كان **الإمام البخاري** رحمه الله جامع حديث رسول الله ﷺ وعمله التدقيق في الرواة ونقدهم وتوضيح ذلك للناس تعبدًا.. كان يقول عن الرجل: متروك، ولا يقول كاذب أو مدلس!! تقويم الرجال.. يحتاج إلى رجال.. فما بالكم إذا كان الحديث غيبة.. لا تقويمًا!!

ما بعد الصوت:

قال **سفيان الثوري**: لو كان معكم من يرفع حديثكم إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قلنا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث «يعني الملكان»[1].

***

(١) السير: ٧/٢٦٨.

الصوت السادس عشر

منذ أن بدأت السير في طريق الهداية وأخي الأكبر يختار لي الرفقة الصالحة . . يشجعني على حضور المحاضرات والندوات ومرافقة طلبة العلم . . وسؤال العلماء . .

وعندما حادثته يومًا . . زف إليَّ بشرى كما أسماها . . سألته ما هي هذه البشرى؟!

قال : فلان وبرفقته بعض الأخيار من الشباب سيذهبون إلى الحج هذا العام .

وقد أخبرتهم برغبتنا أنا وأنت في الحج . . سنذهب معهم؟!

لقد رحبوا بك . . واليوم لابد أن تتخذ القرار . .

أجبته . . لم أستعد . . ولم أرتب أموري .

جاءت الأعمال من كل مكان . . وسارت نحوي الأعذار كالجبال . . ورأيت أنني لا أستطيع الحج . .

بدأت في صراع . . بين موافقة ورفض . . وقبول واعتذار قال أخي : حدد أعمالك ما هي؟!

بدأت أعدد عليه وأحدد له . . هذا كذا . . وهذا سيتعطل . . وهذا . .

وعندما انتهى حديثي . . قال : هذه أمور يسيرة لا تؤخر حجًا ولا تفوت فرصة . . هذا يؤجل . . وذاك وكِّل عليه فلانًا . . وهذا لو تأخر إلى السنة القادمة لما حصل ضرر من تأخيره!!

* إصرار أخي وثناؤه على الرفقة الطيبة زادني عزمًا وحرصًا وقررت الحج . .

فرح أخي وهو يسمع موافقتي وعقب على الموافقة : يكفيك الرفقة

الصالحة . . وسترى الفائدة بنفسك!

صدق . . وما كذب . . منذ أن سافرنا وأنا أرى الخير في أفعالهم والصدق في أقوالهم . . بل وخدمتهم ومؤانستهم .

عشت في مجلس علم متنقل طوال تلك الأيام العطرة . .

ورغم أنني أقلهم علمًا . . بل لا علم لدي . . إلا أنهم لم يشعروني بذلك . . بل كانوا يستشيرونني في أشياء كثيرة . .

كان عبد الله يتميز بصفات ظاهرة فيه . . منحه الله بشاشة وابتسامة لا تفارق محياه . . وكان كثير السؤال عني وهل تعبت؟ وماذا أريد؟ وكنت لا أنفك عن رفقته . .

يومًا . . ذهبت معه لرمي الجمرات سيرًا على الأقدام . . الحر شديد والزحام لا ترى له نهاية . . أمواج من البشر وأرتال من السيارات . . وعلى الرغم من كل ذلك فلم تفارقه الابتسامة . . ولكن موقفًا اعترضنا ورأيت أن الله جمع للرجل نصيبًا من العلم والخلق وسعة الصدر . .

* ونحن عائدون بعد أن فرغنا من رمي الجمرات وقد أخذ التعب منا كل مأخذ ولم يبق من الجهد إلا القليل . . والجو الخانق سمة لتلك الأيام . . فإذا بنا نقبل على جمع من الناس قد ارتفعت أصواتهم وعلا صراخهم وكثر لغطهم . . فما كان منه إلا أن أطلق يدي وأسرع نحوهم . . يستحث الخطا وسط الزحام حتى وصل إلى المتشاجرين . . وكانا يصرخان بكلمات جارحة وألفاظ نابية . . فأخذ برأس الأول وقبله . . ثم أخذ برأس الآخر وقبله . . وابتسم في وجهيهما . . وقال : قال رسول الله ﷺ : «**من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» .

سكت قليلاً . . ثم أمسك بيد أحد المتشاجرين وسار به خطوات أمام الجمع الذين خيم عليهم الذهول . .

جريت خلفه وسار مسافة وهو يتابعني بالتفاتة منه .

توقف . . واشترى ماءً باردًا لضيفه ولي . . ثم ودعه وأمسك بيدي . .

قلت له : ملكت قلبي وقلوب الحاضرين بحسن خلقك وجميل صنيعك . .

أجاب بهدوء : خسروا الكثير من المال . . وتركوا الأهل والأوطان . . ونتركهم للشيطان يفسد حجهم ! !

وعندما لاحظ استفهامي ودهشتي من فعله . . قال بهدوء : ماذا خسرت ! !

ما بعد الصوت:

كان عبد الله بن المبارك إذا عزم على الحج يقول لأصحابه : من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتني بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه، فيأخذ منهم نفقاتهم . ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجعلها في صندوق، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب وحسن الخلق والتيسير عليهم، فإذا قضوا حجهم يقول لهم : هل أوصاكم أهلوكم بهدية؟ فيشتري لكل واحد منهم ما أوصاه أهله من الهدايا، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبيضت أبوابها ورمم شعثها، فإذا وصل إلى البلد عمل وليمة بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكساهم ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر، ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم[1] .

---

(١) البداية والنهاية : ١٠/ ٢٠٣ .

الصوت السابع عشر

* استأجره بيت مال المسلمين ليكون أجيرًا يعمل في الدائرة الفلانية.. ولكنه غفل عن ذلك وأصبح الآمر الناهي.. عبوس في وجه المسلم المراجع.. وتعطيل لمصالح الضعيف والعاجز.. ـ وراجعنا بكرة ـ أصبحت سمة من سمات عمله..

* لا يأتي إلا متأخرًا ويخرج مبكرًا قبل نهاية الدوام.. وفرط في عقد بينه وبين من استأجره على أن يكون الدوام كاملاً بدون نقص.. وسيسأل يوم القيامة عن هذا المال الكامل الذي أخذه ولم يؤد العمل كاملاً كما اتفق!! وعلل ذلك التقصير بأن هذا عمل الحكومة!!

* استغرب أحدهم وسأل بصوت مرتفع.. الأرض صخرية والطريق وعرة.. كيف أتيت بهذه السيارة الصغيرة إلى هنا؟!

تهكم وأجاب وهو يبتسم نشوة وانتصارًا.. هذه سيارة الدولة!!

* في العشر الأواخر من رمضان.. بدأ يجهز سيارته ويأخذ عدته.. ويتفق مع أصحابه.. غدًا الذهاب ـ إن شاء الله ـ إلى مكة المكرمة لأداء العمرة.. وقد وكلت لإمامة المسجد أحد الأصحاب.

نسي الأخ الحبيب أنه ترك واجبًا ليؤدي سنة.

عدم الإخلاص في العمل، والضعف في الإنتاج.. سمات تراكمت على وجهه.. بادية على طاولته.

ورغم ذلك يبحث عن مال لا يحل له.. يذهب للمدير ويحاول ويبرر لكي يحصل على مرتب عمل «خارج الدوام» وهو لا يأتي.. ونسي أنه مال سحت..

قال له الناصح المشفق . . لتبرأ ذمتك . . ! اعمل خارج «وقت الدوام» مجانًا لكي تتدارك تقصيرك أثناء الدوام الرسمي .

* الأقلام والأوراق . . بل وكل ما خف وزنه وغلا ثمنه يحمله من مكتبه إلى منزله ! !

ونسي الموظف أن هذه الأدوات اشتريت بأموال المسلمين وسيسأل عنها ! !

أما استخدامه للعمالة والموظفين في أعماله الخاصة . . فحدث ولا حرج ! !

* همه الوحيد أثناء الدوام زيارة الموظفين ونقل الحديث . . سعي بالنميمة ، وغيبة في وضح النهار . .

ترك عمله وعطل مصالح المسلمين . . جمع أوزارًا مضاعفة ! !

* يدخل على المدير فيثني عليه في وجهه . . وينقل له أخبار الموظفين . . ثم ما إن يخرج ويبتعد خطوات حتى تسمع أقذع الألفاظ في سبه والتنقص منه ! ! هكذا يومه . .

وفي نهاية الشهر يسأل : لماذا تأخر الراتب ؟ !

* كأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدخل أبواب المكاتب وصالات الاجتماعات . . وكأن هناك حاجزًا لكي لا تطرق أسماع الموظفين النصحية الصادقة .

ها هو يرى المنكر أمامه وتحت سمعه وبصره ! ! ولكنه يشيخ بوجهه ويبعد أذنه وكأن هذا يبريء ذمته ! ! وهل وصلت الحال إلى أضعف الإيمان ! !

لا يا أخي الأمر فيه سعة . . والخير باق . . لا تشح ببصرك . . وتبعد أذنك ! !

* يتقدم يتعثر في خطواته.. ويسمع الكل صوت سعال صدره وأنين مرضه!! ولكن.. لا يتقدم له صاحب النخوة والشهامة.. بل يقف هذا الشيخ الكبير في الانتظار ساعة أو أكثر!!

ما بعد الصوت:

قال حماد بن زيد: كنت مع أبي، فأخذت من حائط تبنة، فقال لي: لم أخذت؟! قلت: إنما هي تبنة!!

قال: لو أن الناس أخذوا تبنة هل كان يبقى في الحائط تبن[1].

(١) الورع لعبد الله بن أحمد بن حنبل: ١٤٠.

الصوت الثامن عشر

في أرض مكة الطيبة . . تشعر بالقرون الماضية تطوى . . وترى تاريخ البلد الأمين . . أمامك . . يمر عبر الدهور . . والعصور . .

هذه الكعبة التي طاف بها محمد ﷺ على ناقته القصواء يوم الفتح . . يوم أن كسر الأصنام ورفع كلمة التوحيد . .

بل يعود التاريخ قرونًا أطول . . فهذا إبراهيم عليه السلام يرفع القواعد من البيت مع ابنه إسماعيل . . وهذا الصفا وهذه المروة التي سعت بينهما هاجر . .

تمر بك الأحداث سريعة . . وأنت تحمد الله على نعمة الإسلام . . أزيلت الأصنام والأوثان . . وعبد الله وحده . . لا مكاء ولا تصدية بل خشوع وخضوع لله الواحد الأحد . .

وفي رمضان يزداد فيض المشاعر وتعود النفس ذليلة خاضعة منقادة طائعة . . وتأتي دموع العين تبكي الضعف والانكسار بين يدي جبار السموات .

* في عصر ذلك اليوم من أيام العشر الوسطى من رمضان . . بقي على أذان المغرب ساعة أو أكثر . . تركت مكاني خارجًا من الحرم . .

هناك في مكان منزو . . بعيد عن الأنظار . . رأيت ما فرحت به . . أعادني فرحي قرونًا طويلة إلى الوراء يوم أن كان الحرص الشديد على حفظ القرآن وتدبر آياته . . رأيت شابًا على محياه ملامح الخير والصلاح وهو ممسك بمصحف وأمامه امرأة متحجبة الحجاب الشرعي . . فلا يظهر منها يدًا ولا عينًا . . وقد أقبلت عليه بوجهها تراجع حفظها للقرآن معه . .

تذكرت عز المسلمين ومجدهم . . هكذا يستفاد من الوقت . . وهكذا يكون

الزوج مع زوجته والأخ مع أخته . .

خرجت وأنا ألمح غدًا مشرقًا للأمة بإذن الله يخرج من بين تلك الأسر . .

مد بعد الصوت:

اختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل: من أعقلهما؟ فقيل العوراء، فقال: زوجوني إياها[١].

(١) الإحياء: ٢/ ٤٤.

الصوت التاسع عشر

هالني الأمر . . وصعقت مما سمعت ! !

هل ما ذكر صحيح . . خاصة أنني علمت أنها تعلن رأيها على الملأ . .

سرت مع هاجس طرقني وفكر أقلقني . .

لابد أن أتأكد . . ولكن . . كيف ؟ !

قررت أن أسألها مباشرة وأسمع جوابها بدون واسطة . .

ذات مساء سألتها . . لماذا ـ يا خالتي ـ لا تتزوج ابنتك فلانة ؟ !

قالت وكأنها تتوقع السؤال كل يوم . . لم يأت من نقبله . . كل من تقدم لا يناسبها ! !

قلت لها : تقدم لكم «فلان» وهو رجل ذو دين وخلق .

قالت وهي مترددة في حديثها : لم نقبله . . وأشاحت بوجهها وكأنها تعني انتهاء الجواب وعدم العودة إليه ! !

بعد مدة تأكدت من أن ما سمعته صحيحًا وأنها ترفض الكثير وتخص منهم صاحب الدين ! !

تقدم لابنتها شباب صالحون ولكنها ترفض ! !

وعندما سألت عن الأمر من تعلم خبيئتها وتبثها شجونها قالت : إنها تبحث عن زوج لابنتها مثل «فلان» مع نقص في أدائه لواجباته الشرعية وتساهله في الفرائض .

لديها ـ ردة فعل ـ كما يقال: فلقد رأت أحد أزواج قريباتها وهو ذو دين لكن يغلب عليه الحمق والطيش وسوء الخلق وتخاف من ذلك الزوج.. بل وارتبط في ذهنها أن الدين وحسن الخلق لا يجتمعان.. مع أنها امرأة كبيرة في السن صوامة قوامة؟!

أخي الشاب:

في حسن المعاملة وإعطاء كل ذي حق حقه يكون المسلم داعية بخياله الصامت ـ كما يقال ـ فالكثير ينظر إلى صاحب الخلق ولين المعشر نظرة إجلال وإكبار.. أرأيت كم أساء من تزوج «قريبتها» وجعلها تفكر في شخص غير متدين ولكنه ذو خلق!!

ما بعد الصوت:

جاءت امرأة فسألت **حسان بن أبي سنان** فقال لشريكه.. هكذا، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، فذهب شريكه يزن لها درهمين، فوزن لها مائتين، فقالوا: يا أبا عبد الله كنت ترضي بهذا، كذا وكذا من سائل.

فقال: إني ذهبت في شيء لم تذهبوا فيه، إني رأيت بها بقية من الشباب وخشيت أن تحملها الحاجة على بعض ما أكره[١].

---

(١) صفة الصفوة: ٣/٣٣٨.

الصوت العشرون

* في البداية.. تساهل في أمر تربية أبنائه.. لا توقظيهم للصلاة.. لا يزالون صغارًا..

مرت سنوات.. كبر الصغير.. وشب على الكسل.. ولم يتعود الذهاب إلى المسجد.. كبر الصغر وهو متهاون متكاسل..

عندها بدأ الأب يلوم نفسه.. ويسأل والدتهم بإلحاح: لماذا لا يصلون؟! لماذا يتأخرون!!

* ذهب بأبنائه إلى حيث المرح والسرور.. الخضرة تحف المكان.. وما ينشده الطفل من الانطلاق والحركة أمامه.. المكان فسيح والجو بديع.. ولكن صراخه أفسد السعادة والفرح..

اترك هذا!! لا تلعب في هذا!! لا تقترب من هذا!! أي فرح وأنت بجوارهم تأمر وتنهى لأمور بسيطة!!

* بدأ منذ الصغر يعطي من يصلي من أبنائه صلاة الفجر ريالاً.. نشأ الصغير وتربى في المسجد لم يترك حلقات تحفيظ القرآن.. سنوات مرت كلمح البصر أصبح الطفل شابًا حفظ القرآن الكريم.. وعندها أمَّ المصلين وكان من بينهم والده صاحب الريال!

إنها فرحة الحياة الدنيا!! بريال!

* أخرج ابنه من المجلس وعيناه تفيضان بالدمع وقال له وهو ينهره: لا تأت هنا رجال!!

ضغط على أذن الصغير حتى ارتفع صوته وهرب!!

كبر الصغير وأصبح رجلاً يخاف من الرجال!!

* كل يوم يناديه.. يا بقرة!! يا..! كبر ابنه والتفت يمنةً ويسرة وجلس بين الرجال وسار معهم..

ولكنه لا تزال في ذهنه صورة البقرة!!

* رأى كتابًا عن تربية الأبناء وتناوله بيده.. ولكنه بسرعة أعاده.. فهو بثلاثة ريالات!!

ما بعد الصوت:

كان زبير بن الحارث يجزيء الليل ثلاثة أجزاء، جزءًا عليه، وجزءًا على ابنه وجزءًا على ابنه الآخر عبد الرحمن، فكان يصلي ثم يقول لأحدهم: قم، فإن تكاسل، صلى جزءه، ثم يقول للآخر، قم، فإن تكاسل أيضًا صلى جزءه، فيصلي الليل كله[1].

(١) السير: ٥/٢٩٦.

الصوت الحادي والعشرون

بعد سنوات طويلة . . وبعد تأخر عوتب عليه من أقاربه وأصدقائه . . قرر الزواج . . وكان قرارًا مفاجئًا للجميع . .

قال لأخته في تيه وعجب بنفسه . . وكأنه يلقي خطبة أو محاضرة . .

سأتلافى جميع السلبيات التي سمعت بها . . سأدقق في الاختيار حتى لو تأخرت سنة أو أكثر . . وأُصر على رؤية المخطوبطة . . ولن أتزوج دون أن أراها . .

قال ضاحكًا : سأراها مرة وأخرى . . وثالثة . . مرة عند خروجها من الجامعة . . وأخرى في بيت والدها . . وثالثة . . !!

طال البحث عما يريد . . فالشروط والمواصفات التي وضعها صعبة . . بل نادر توفرها . . رأى أكثر من فتاة . . وطرق أكثر من منزل . . وزارت أخته الكليات والمدارس . . ولم تتخلف عن أي زواج سمعت به !!

وبعد جهد . . تم له ما أراد . . بل وفوق ما طلب من الشروط والمواصفات . . جمع الله لها بين الجمال والخلق . . كل صفة طلبها كان للمخطوبة سهم فيه وحظ وافر منه . . من بيت علم وصلاح . . تحفظ الكثير من القرآن . .

فتاة . . شهد لها الجميع بالأدب الجم والخلق الرفيع . . صفات كثيرة كملتها وجملتها . . لا تسمع صوتها إلا همسًا . . ولا حديثها إلا تبسمًا . .

رآها مرتين . . وأصر على رؤيتها المرة الثالثة . . وتم له ذلك . .

سارت الأمور على أحسن حال . . حتى انتهت ليلة الزواج . .

ولكن بدأت أسئلة كثيرة في ذهنه تدور . . وخواطر في عقله تجول . . ليست كما رأيتها . . لقد تغيرت . .

وقرر . . لم أُحبها . . بل صرح أنها لا تتوفر فيها الشروط التي طلب . . وفي نهاية الإعصار . . اتخذ داخل نفسه قرارًا حاسمًا . .

الآن خير من غد . .

وكان الطلاق بعد أسبوع ! !

في جو من الاستغراب وأسئلة تحيط حيرةً بمن حوله . .

بدأ يردد . . لا أحبها . . لم يجعل الله بيننا مودة . .

وعندما كثرت عليه الأسئلة وبدأت تحاصره . . وتنتصر للفتاة . .

قرر الهروب بعذر ربما يسكت البعض . .

لقد أصابتني عين . . الحمد لله الطلاق حل . . كبرتم الأمر وضخمتم المسألة . . الأمر بسيط . . زواج وطلاق ! !

أخي المسلم:

امرأة بحثت أنت بنفسك عنها . . وكان لك حرية الاختيار فدققت في السؤال وتفرست في الوجوه . . وطرقت البيوت . . المسؤولية تقع عليك أولاً . . فلقد سألت عن كل شيء . . حتى أقل الأمور ! ! وأدق الأوصاف ! !

ثم بعد هذا الجهد منك . . لم تمنح المسكينة فرصة لتثبت أنها زوجة ويكون رأيك فيها كاملاً ودقيقًا تراعي فيه ذمتك ! ! بل تعجلت الأمر . . وأسرعت بالفراق . . أسبوع واحد . . أو أقل أو أكثر قليلاً ! ! حتى إن كان ظاهر تلك

الأيام عدم المودة والنفور . . فلم الاستعجال وكأن تلك الزوجة عقرب تلدغ أو ثعبان سام يجب التخلص منه بأقصى سرعة وبأسرع وقت!!

ما الضرر الذي يقع لو أبقيتها شهرين أو خمسة لتبرأ ذمتك ويكون قرارك صائبًا . . وهو قرار فيه من الدموع والآلام والأحزان ما الله به عليم!!

لو فُعل بأختك أمرٌ فيه عجلة وتسرع مثل هذا . . لاستنكرت الفعل واستهجنت التصرف وثارت ثائرتك . . ما بالك تفعل ذلك بأختٍ مسلمة!!

* حدثني أحد كبار السن عن تفشي ظاهرة الطلاق والتعجل فيه . . وتحدث عن نفسه وقال لي بأن الله لم يطرح المحبة لزوجتي منذ الليلة الأولى ولكنها لم تقصر في حقي ولم تنقص قدري فقبلتها لحسن خلقها وجميل معشرها . . فرزقني الله منها أبناء تقر عيني بهم . . ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

* وحدثني أحد الإخوة عن حديث جرى بينه وبين شاب له من النضج وبعد النظر الشيء الكثير . . وقال . . إنه أسر في أذني - صاحب العقل الراجح - إذا أردت الزواج فاذهب إلى خيار وكرام الرجال . . فإن أعجبك سمته وأدبه ورجولته فتقدم له واسأله: هل لديك ابنة . . فإن أجاب فتقدم لخطبتها!!

الأب قبل البنت . . والعائلة قبل المواصفات الشخصية!!

وعندما سألته: كيف؟!

قال: ما هو هدفك من الزواج؟! إذا كان الأمر فوق متطلباتك الشخصية وحاجتك الجسدية فأنت الفائز بها وبمن تنجب!! وإن كان الأمر لجسدك وحاجتك . . فستنقضي!!

أدرك حكمة الشاب وسكت.

ما بعد الصوت:

تزوج رياح القس امرأة فبنى بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها، فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياحًا القس ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا، فلما كان الليل نام لينتهرها، فقامت ربع الليل ثم نادته، فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعري من غرني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي[1].

(١) صفة الصفوة: ٤/ ٤٤.

الصوت الأخير

صوت ينادي:

لا تنس صاحب الصوت من دعائك . .

وقبل أن تقطع الصوت: إن حرمت معرفتك في الدنيا . . فالموعد قريب جمعني الله وإياك في جنات عدن . . فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . .

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

صـــوت يـــنادي

***

إلى من حجبته السحب

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فإن شباب الأمة هم عمادها بعد الله عز وجل، وهم فجرها المشرق وأملها المنتظر.

ولقد رأيت قلة فيما كتب لهم رغم الحاجة الماسة إلى ذلك.. فسطرت بقلمي وأدليت بدلوي محبة لمن حجبته السحب وتأخر عن العودة.

وهي ورقات يسيرة متنوعة المواضيع.. أدعو الله عز وجل أن يبارك في قليلها، وأن تكون سببًا في انقشاع السحب عن عين ذلك الشاب الذي تنتظره أمة محمد ﷺ ليسير مع الركب ويلحق القافلة.

قبل البداية

أخي الشاب:

رسالتي هذه إليك قصيرة جدًّا ولا تكفي أن أبث لك فيها ما أريد . . ولكن حسبي منك نباهة وفطنة .

لقد عرفتك تحب الحوار . . وتتطلع إلى معرفة كل جديد . . امنحني عشر دقائق من وقتك وأصغ بسمعك وارعني قلبك . . ثم بعد ذلك أنت الحكم .

أخي الحبيب:

لقد احترت في نقطة البداية وأنت تضع يدك في يدي ! ! وعينك على حروفي ؛ ولذا جمعت لك شهدًا مصفى وزهرًا معطرًا بالشذا . .

إني محدثك بمجموعة من القصص قبل أن أبدأ حديثي معك . . جعلت ثلاثًا منها في البداية . . وهي قصص رأيت بعضها وسمعت بعضها ويتناقل الركبان أضعافها ! !

فلا تبخل عليَّ بقراءتها والتمعن فيها ويهمني معرفة رأيك في نهايتها . . بل وفي بدايتها . .

جعلك الله إمامًا للمتقين وقائدًا فاتحًا من قواد المسلمين ونفع بك الإسلام والمسلمين . . ومثلك لا تسقط راية الإسلام من يده . .

القصة الأولى

انتهت الإجازة والناس بين مشرق ومغرب.. وكل نفس بما كسبت رهينة.. اجتمع الأصدقاء.. كل يحكي ما رأى ويوردها رهينة.. اجتمع الأصدقاء.. كل يحكي ما رأى ويورد ما شاهد!!

أحدهم سبقت ضحكته حديثه وهو يحكي رحلته إلى أمريكا وقصة هبوط الطائرة الاضطراري!!

أما الآخر فقد كان مغرمًا بحب الرحلات والمغامرات.. وتملكه حب الصيد ومطاردة الغزلان والأرانب حتى وصل إلى القارة السوداء.. وكان حديثه متميزًا..

قال ذهبت إلى أفريقيا وسرت في أرضها وبين أشجارها وغاباتها.. مناظر رائعة وطبيعة خلابة لا تمل مشاهدتها.. وفي وسط غابة متشابكة الأطراف لاح لنا مبنى مرتفع.. وخطر في بالي أن هذا القصر لحاكم الولاية أو لغني من أغنيائها.. ولكنه خاب ظني وأخطأ حدسي.. فما أن اقتربنا منه وبدت ملامحه حتى اتضح أنه كنيسة يعتني بأمرها منصر عجوز قارب الثمانين من عمره يعيش في غرفة صغيرة في زاية منها لا تتجاوز مساحتها عشرين مترًا مربعًا.. في مجاهل مروعة وسط غابة مليئة بالوحوش واللصوص وقطاع الطرق.. وليس في هذه الغرفة أي وسيلة من وسائل الحياة المعاصرة التي نعيشها.. فلا يوجد هاتف ولا كهرباء ولا ماء.. ولا ما تراه عينك من الخدمات يوميًا!! وهذا المبنى الضخم هو الكنيسة التي يدعو فيها صباحًا ومساءً.. حتى يرهقه التعب ويدركه النوم ثم يأوي إلى غرفته الصغيرة في زاوية مجاورة لمبنى الكنيسة!! ولكن ما الذي دفع

هذا المنصر لأن يبقى في هذه الغرفة وسط الوحوش وفي ظل الخوف أربعين سنة متواصلة!!

لابد أن له هدفًا ينشده وأملاً يسير في طريقه!! أربعون سنة في مكان تختفي فيه وسائل الحياة المعاصرة.. أربعون سنة يكد ويكدح..

أربعون سنة وسط الغابات وعلى مرمى من زئير الأسد وأنياب النمر..

سأخبرك لماذا بقي أربعين سنة في وسط هذا المكان.. ولعلمي بفطرتك الطيبة وعقيدتك الصافية ستضحك على ضلاله..

إنه يدعو إلى دين محرف وطريق معوج.. ولكنه يمضي قدمًا ويسير في ثبات. يبحث عن فريسة في وسط أدغال أفريقيا.. ربما تكون فريسته شيخ مسلم جائع أو طفل يتيم أو امرأة مريضة.. وربما يمر عليه العام والآخر ولم يستمع له أحد.. ولكنه الصبر على الضلال..

هذا فرد من ملايين يدعون إلى دينهم الباطل.. وهو في هذه الغابة المنقطعة عن العالم تصله طائرة مروحية كل حين محملة بالغذاء والأدوية التي هي إحدى وسائل دعوته.. ثم تغيب الطائرة لتهبط في مكان آخر فيه عجوز أو شاب آخر في مثل سنك تفرغ للدعوة!! نعم إنها معركة طاحنة وحرب ضروس لا هوادة فيها.. لقد بذلوا أموالهم وأوقاتهم وسخروا إمكاناتهم في سبيل دينهم..

إليك معلوماتك سريعة عن جهودهم في سبيل التنصير، ففي عام واحد هو عام ١٩٩٦م وحتى لا نرى ضبابًا فحسب.. بل إنه مطر أنبت شوكًا وأرضًا جرزًا.. إليك الأرقام..

١ـ تم جمع مبلغ وقدره ١٩٣ مليار دولار أمريكي.

٢ ـ عدد المنظمات التنصيرية ٢٣٣٠٠ منظمة وأما المنظمات المتخصصة في

إرسال منصرين فعددها ٤٥٠٠ منظمة.

٣ ـ عدد المنصرين الذين يعملون داخل أوطانهم هو ٤,٦٣٥,٥٠٠ منصر، وبلغ الذين يعملون خارج أوطانهم ٣٩٨,٠٠٠ منصر، وبلغ عدد محطات الإذاعة والتلفزة التي تمتلكها المنظمات التنصيرية ٣٢٠٠ محطة. وعدد الأناجيل الموزعة ١٧٨,٣١٧,٠٠٠ كتاب.

سنخجل أنا وأنت من تلك المعلومات والأرقام، وربما لم يقدم الكثير من المسلمين ريالاً واحدًا مدى حياته!!

ألست معي في ذلك؟! وغدًا سيسألك الله عز وجل عن شبابك فيم أمضيته؟! فما هو جوابك؟!

وهاك أخي الحبيب معلومة تدمي الكبد وتقرح الفؤاد: أنشىء مستشفى تنصيري عام ١٩٦٥م في قرية (معلوم جات) في منطقة (شيتا جانج) في بنغلاديش التي لم يكن يوجد بها نصراني آنذاك.. أما الآن فقد بلغ عددهم أربعين ألف نصراني!!

وكان عدد السكان النصارى في بنغلاديش بطولها وعرضها عام ١٩٧٢م مائتي ألف نسمة فقط.. ها هو قد ارتفع عام ١٩٩١م إلى خمسة ملايين نصراني!! وخلف هذا الرقم جهود وأموال وتضحيات!!

القصة الثانية

قال محدثي وكانت عليه علامات النجابة والنباهة وتعلوه سيما الخير والصلاح: نحن في زمن تقبل فيه أنصاف الحلول وتميع فيه الأوامر والنواهي.. فما وافق الهوى أخذنا وما خالفه تجاهلنا.. وسأحدثك عن حادثة وقعت لي قبل شهور.. ساحدثك عن قريب بعيد.. قربه النسب وأبعده الدين. وبحكم اطلاعي على دقائق حياته وتفاصيل أيامه فقد تأكد لي أنه لا يصلي مطلقًا..

كنت أستعجل الأيام.. وأسير معه في الحديث خطوات عجلى ليقيم الصلاة ولكنه كان يقدم ويؤخر ويظن أن العمر طويل والحياة دائمة.. ورغم النهاية المرة التي يعلمها كل بني البشر إلا أنه يتماهل ويتجاهل..

قلت له: عشرون وثلاثون بل وثمانون عامًا ثم ماذا؟ الموقف نفسه سيمر عليك طالت بك الأيام أم قصرت عنك الليالي..

في ليل مظلم استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله أطلق قدميه تركض في أوحال المعصية وأوزار الكبيرة.. ألهته الأماني وغرته نسمة الحياة وبهجة الدنيا.. وكثير من الناس اليوم مثله لو أجلت طرفك في المجتمع.

وفجأة على غير موعد نزل به نازل وطرقه طارق ولم يكن هذا الضيف ليزوره إلا هذه المرة فحسب ولكنها زيارة ثقيلة مؤلمة.. إنه الزائر الذي لا يرد.

حاول أن يؤخره أو يؤجله بل ورغب أن يتفاهم معه ويدفع في وجهه الدواء والطبيب والأموال والأولاد ولكن انتهى كل شيء.. هوت آمال عظام وأحلام كالجبال، ورغم كل الوسائل الدفاعية نزل بساحته أمر كان ينكر وقوعه؛ فحشرج صدره وضاقت أنفاسه وغادرت روحه، وأمامه الأسئلة الصعاب

والجنة والنار!!

في مجتمع أسرتي لم يكن هو أول من غادر الدنيا بهذه السرعة ولم يكن هو الشاب الوحيد الذي فقدناه.. ولكن كان لحياته فجيعة ولموته عبرة!! وكان يوم موته وتغسيله والصلاة عليه ثم دفنه يومًا مشهودًا غاب عنه الكثير وكنت أولهم.. فكيف أصلي على من حرم الله عز وجل ورسوله الصلاة عليه.. تراجعت طاعة وعبادة حتى تم كل شيء.. ولعلك تعلم أن في مجتمعي الصغير بعضًا ممن في دينه وهن وفي إسلامه دخن ومنهم من تلبسته الشياطين فأعلن النفاق قولاً وعملاً.. وهؤلاء وأعوانهم اجتمعوا لحربي وإطلاق السهام نحوي في اجتماع عائلي شهري ملأه الأشياخ من كبار السن ومن شبابهم وصغارهم.

قال محدثي وهو يتذكر الموقف.. في ذلك الجمع الكبير هب أحدهم شاهرًا سيفه ومصوبًا سهمه ورافعًا صوته باستغراب يملأه الاستهزاء وهو يسمع الجميع: أين أنت عن صلة الرحم والقيام بالواجب؟ فها هو فلان مات ولم نر لك أثرًا ولم نعلم لك مكانًا وهي أيام مشهودة لم يتأخر عنها القاصي والداني سوى أنت.. وأشار بإصبعه نحوي..

اتجهت العيون يملأها العتاب، وتحركت الأيدي تلوم، واهتزت الرؤوس تؤكد حديثه وتستطلع جوابًا لسؤاله.. أين أنت عن واجب الصلاة والعزاء؟! وأضاف أحدهم ممن اتخذ الاستهزاء طريقًا: تصلي وتصوم ولا تعرف حقوق القريب وواجبات الأسرة؟

ثم نفث حقدًا أسود من قلبه وهو يقول: أنت تظهر بدون مخبر وصورة بدون روح. تَدَّعون أنكم اتخذتم الدين شعارًا ودثارًا وأنتم لم تقيموا صلبه.

قال محدثي كأنه يزيل حيرتي واستعجالي سماع ردة فعله ونهاية المجلس

الغاضب والمحاكمة السريعة: جعلتهم يتحدثون ما شاءوا وجعلت نفسي هدفًا لسهامهم حتى فرغت كنانة الكثير منهم.. ثم قلت للمتحدث الأول بصوت يسمعه الجميع: ما رأيك لو صليت صلاة المغرب أربع ركعات؟ هل يجوز لك ذلك؟ سكت ولم يجب وهو يحرك حاجبيه ويهز يده باستغباء عجيب، ولكني عدت وكررت السؤال وطلبت منه الإجابة بصوت مسموع حتى يسمع المجلس كله.. قال لي بعد تكرار السؤال عليه ثلاث مرات: لا يجوز..

قلت له: قد أحسنت، هذا أمر الله ورسوله ﷺ أمرنا في الكتاب والسنة أن لا نصلي على من مات وهو لا يصلي وسماه كافرًا.. رفعت صوتي وأنا أفرغ سهمًا من كنانتي.. هل أسمع كلام الله ورسوله وأطيع أمرهما أم أسمع جعجعتك وهراءك؟!

استدرت نحو المجلس وأنا أقول: أمرنا أن لا نصلي على من مات وهو تارك الصلاة ولا نغسله ولا ندفنه في مقابر المسلمين.. لقد سلمت وأنبت وأطعت ونفذت، ولهذا صليت المغرب ثلاث ركعات كما يجب وتركت الصلاة على من لا يصلي كما يجب..

خيم الصمت على المجلس واستراحت النفوس وأغمدت السيوف فقد ظهر الأمر واضحًا جليًا، ولم أفرح انتصارًا لنفسي بل لما عطرت به المجلس من قول الحق.

قال محدثي: مرت شهور فإذا كثير من شباب أسرتنا وقد سمع ورأى هذا الموقف يعيد حساباته ويراجع أفعاله ويخشى أن يمر عليه يوم لا يجحد فيه من يصلي عليه.. لقد كان هلاك هذا القريب رحمة لمن بعده وعبرة لمن خلفه.. ولا يزال يتردد في جنبات المسلمين قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]. وقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم**

الصلاة فمن تركها فقد كفر».

وهكذا تمر الأيام عجلى، وتنطوي صفحات الأيام ويبقى للمرء ما قدم. فأطلق بصرك قليلاً لترى الأمر، ثم مُدَّ يدك للترحيب بالزائر القادم وأكرم وفادته فهو يقطع الأيام والشهور سائرًا نحوك.

القصة الثالثة

أيام العشر الأواخر من رمضان بدأت تنقضي . . والعيد قاب قوسين أو أدنى .

لا أعرف أين سنذهب وأنا أنتظر صديق الطفولة . . ولكن كالعادة الجزء الأكبر من وقتنا ليلاً نقضيه في جولات بين الأسواق والتجمعات والشوارع . .

وحين استقررت على مقعد السيارة بجوار عبد الرحمن سألني . . هل جهزت ثوبًا جديدًا؟! . . لقد أقبل العيد!!

قلت له: لا!! قال: ما رأيك نذهب للخياط الآن . . وأنا أهز رأسي متعجبًا سألته . . بقي ثلاثة أيام أو أربعة على العيد . . أين نجد الخياط الذي يسابق العيد ويختصر الأيام؟!

لم يعجبه حديثي واستغرابي . .

سابق الزمن بسيارته حتى توقفت أمام الخياط بصوت قوي يوحي بالعجلة والتسرع!!

فاجأني صاحبي بالسلام الحار على الخياط فهو يعرفه منذ زمن وقال له: نريد أن نفرح بالعيد . . ونلبس الجديد!!

ضحك الرجل وأجاب وهو يربت على كتفه!! كم بقي على العيد . . لماذا لم تأت مبكرًا؟!

أجاب عبد الرحمن وهو يهز يده بحركة لها معنى: سنزيد لك في الأجر . . المهم أن ينتهي بعد غد!!

وأعاد الموعد مرة أخرى . . بعد غد!!

وأنا أرقب المفاوضات الشاقة إذا بصاحبي يدفع جزءًا من الثمن وهو يردد . . ويؤكد بعد غد . . لا تنس الموعد . .

حتى قبيل الفجر . . ونحن لاهون . . ساهون . . غافلون . . مضت الليلة كاملة لم نذكر الله عز وجل فيها ولا مرة واحدة . . ربما أنها ليلة القدر . .

حياة لا طعم فيها . . وسعادة لا مذاق لها . .

ولجنا من المعاصي كل باب . . وهتكنا منها كل حجاب . . وحسبنا الأمر دون حساب . . إظهار للسرور والسعادة . . وضحكات تملأ المكان . . ولكن في القلب هم وغم . . والنفس تحلق بها حسرات ويحيطها نكد . .

افترقنا قبيل الفجر . . يجمعنا الليل والسهر والعبث . . نلتقي على المعاصي وتجمعنا الذنوب . . نوم طويل . . يمتد من الفجر حتى العصر . . صيام بلا صلاة . . وصلاة بلا قلب . .

ساعة الصيام التي استيقظ فيها قبل المغرب كأنها أيام . . أقطعها بالمكالمات الهاتفية العابثة . . وبقراءة الصحف والمجلات .

وأنا أنتظر موعد أذان المغرب حادثني بالهاتف أحد الأصدقاء . . وصوته متغير وقال . . أما علمت أن عبد الرحمن مريض؟!

قلت : لا . . مساء البارحة كان بصحة وعافية . .

قال : إنه مريض . .

انتهت المكالمة . . والأمر لا يعني لي شيئًا . . سوى معلومة غير صحيحة . . والمؤذن يرفع أذان العشاء . . فإذا بالهاتف يناديني . . إنه الشقيق الأكبر لعبد الرحمن . . قلت في نفسي : ماذا يريد؟! هل سيؤنبني على ما أفعله أنا وعبد

الرحمن؟! أو أن أحدًا أخبره بزلة من زلاتنا أو سقطة من سقطاتنا..

ولكن أتى صوته منهكًا مجهدًا.. وعبراته تقطع الحديث.. وأخبرني بالخبر.. مات عبد الرحمن..

بُهتُّ.. ولم أصدق.. لا أزال أراه أمامي.. وصوته يرن في أذني!!

سألته: كيف مات؟!

وهو عائد إلى المنزل ارتطم بسيارة أخرى قادمة ثم حمل إلى المستشفى.. ولكنه فارق الحياة ظهر هذا اليوم.

أذني لا تصدق ما تسمع.. لا أزال أراه أمامي.. نعم أمامي.. بل اليوم موعدنا لنذهب إلى السوق الفلاني.. بل وغدًا موعد ثياب العيد..

ولكنه أيقظني من غفوتي وهز جوانحي وأزال غشاوة على عيني عندما قال: سنصلي عليه الظهر غدًا.. أخبر زملاءك.. انتهى الحديث..

تأكدت أن الأمر جد لا هزل فيه.. وصدق لا كذب معه.. وأن أيام عبد الرحمن انقضت.. آمنت بأن الأمر حق.. وأن الموت حق.. وأن غدًا موعدنا هناك في المقبرة لا عند الخياط!! لقد ألبس الكفن وترك ثوب العيد.. تسمرت في مكاني.. وأصبت بتشتت في ذهني.. وبدوار في رأسي.. قررت أن أذهب إلى منزل عبد الرحمن لأستطلع الأمر.. وأستوضح الفاجعة.. فلا يزال الشك يراودني!!

عندما ركبت سيارتي فإذا شريط غناء في جهاز التسجيل.. أخرجته.. فانبعث صوت إمام الحرم من المذياع يعطر المكان بخشوعه وحلاوته.. أنصت بكل جوارحي.. وأرهفت سمعي كأن الدنيا انقلبت.. والقيامة قامت.. والناس تغيرت.. أوقفت سيارتي جانبًا أستمع.. وأستمع.. وكأني أول مرة

أسمع القرآن . . وعندما بدأ دعاء القنوت . . كانت دمعتي أسرع من صوت الإمام . . رفعت يدي تستقبل تلك الدموع . . وقلبي يردد صدى تلك العبرات . . وبارقة أمل خلف تلك الضلوع . .

أعلنت توبة صادقة . . بدأتها بصحبة طيبة ورفقة صالحة . .

من كرهتهم . . هم أحب الناس إلي . . من تطاولت عليهم . . هم أرفع الناس في عيني . . من استهزأت بهم . . هم أكرم الناس عندي . . كنت على شفا جرف هار . . ولكن الله رحمني . .

* بعد شهرين فاجأت الخياط وسألته عن ثوبي . . سأل عن عبد الرحمن . . قلت له : مات أعاد الاسم مرة أخرى . . قلت له : مات . . بدأ يصف لي الرجل وسيارته وحديثه . . قلت : نعم هو . . لقد مات . . وعندما أراني ثوبه بدأت استرجع الذاكرة . . هل حقًا مات؟! ثوبي بجوار ثوبه . . ومقعدي في السيارة بجوار مقعده . . ولكن بقي لي أجل وعمر . . لعلي استدرك ما فات . .

بعد فترة من الزمن . . هدأت نفسي . . أطلت سعادة لا أعرفها . . انشراح في القلب وعلى عيني سكينة ووقار . .

حمدت الله على التوبة والرجوع والأوبة ولكن . . بقي أخ لي هناك . . لا يزال على عينيه غشاوة ويعلو قلبه ران المعصية . . هل أتركه؟! . . شمرت عن ساعدي . . لن أتركه . .

أمامه نار وعذاب . . وأهوال وصعاب . .

هنا كتاب . . وهناك شريط . .

وبيني وبينه نصيحة صادقة . .

همسة صادقة

أخي الحبيب:

أنت تعرف نفسك، ولكن دعني أعرفك بقيمة نفسك على لسان رسول الله ﷺ.

* عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده! لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيرًا**» [رواه ابن ماجه].

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**» [صحيح الترغيب والترهيب].

أخي المسلم:

لك مكانة عظيمة رفيعة إذا أطعت وامتثلت وصدقت وآمنت.. فالسعادة في الدنيا والجنة في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

الحرب القذرة

أخي الحبيب:

أنت نور الفجر المنبثق من ظلام الليالي السوداء ولذا سعى الأعداء جميعًا إلى وأد هذا النور وحجبه بشتى الوسائل والسبل. . ألق نظرة على حرب المخدرات الموجهة للأمة. . لترى كيف هي حرب شرسة لا هوادة فيها. . فهل ترضى لنفسك أو لأخيك أو لابنك هذا السقوط!! تأمل: بلغت كمية المضبوطات من قبل أجهزة مكافحة المخدرات في الدول العربية في عام واحد ما يلي:

٢٠٨ أطنان من الحشيش و٢,١ طن أفيون و٥,١ طن هيروين ٤٠٧ كيلو غرام كوكايين و٣٢ مليون حبة كبتاجون[١]. .

وقد عبر الحدود أرقام مهولة لا يعلمها إلا الله. .

---

(١) جريدة الرياض العدد (١٠٥٨٦) في ٣/٢/١٤١٨هـ.

قصص التائبين

* ذكر أنَّ **الفضيل بن عياض** كان شاطرًا في قطع الطريق. . وكان يتعشق جارية، فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جدارًا، إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦]، فقال: بلى، فتاب، وأقلع عما كان عليه، ورجع إلى خربة، فبات بها، فسمع سفارًا يقول: خذوا حذركم؛ أن فضيلاً أمامكم يقطع الطريق، فأمنهم واستمر على توبته، حتى كان منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة، ثم صار علمًا يقتدى به، ويهتدى بكلامه وفعاله.

* قال إبراهيم بن بشار: قلت **لإبراهيم بن أدهم**: كيف كان بدء أمرك؟ قال: غير ذا أولى بك، قال: قلت: أخبرني لعل الله أن ينفعنا به يومًا، قال: كان أبي من الملوك المياسير، وحبب إلينا الصيد، فركبت يومًا، فثار أرنب أو ثعلب، فحركت فرسي، فسمعت نداءً ورائي، ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنة ويسرة، فلم أر أحدًا، فقلت: لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر فلا أرى أحدًا، فقلت: لعن الله إبليس، فأسمع نداء من قربوس (حنو الفرس) سرجي بذاك، فقلت: أنبهت، أنبهت، جاءني نذير، والله لا عصيت الله بعد يومي ما عصمني الله، فرجعت إلى أهلي، فخليت فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت جبة كساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، فعملت بها أيامًا، فلم يصف لي منها الحلال، فقيل لي: عليك بالشام.

* قال **مالك بن دينار** رحمه الله: رأيت في البادية في يوم شديد البرد شابًا

عليه ثوبان خلقان، وعليه آثار الدعاء وأنوار الإجابة، فعرفته، وكنت قبل ذلك عهدته في البصرة: ذا ثروة، وحسن حال، وكان ذا مال وآمال.

قال: فبكيت لما رأيته على تلك الحال، فلما رآني بكى وبدأني بالسلام، وقال لي: يا مالك بن دينار، ما تقول في عبد أبق من مولاه؟ فبكيت لقوله بكاءً شديدًا، وقلت له: وهل يستطيع المسكين ذلك؟ البلاد بلاده، والعباد عباده، فأين يهرب؟ فقال: يا مالك، سمعت قارئًا يقرأ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة]، فأحسست في الحال بنار وقعت بين ضلوعي، فلا تخمد، ولا تهدأ من ذلك اليوم، يا مالك، أتراني أرحم وتطفأ هذه الجمرة من قلبي؟

فقلت له: أحسن الظن بمولاك، فإنه غفور رحيم، ثم قلت له: إلى أين؟ قال: إلى مكة شرفها الله تعالى لعلي ممن أكون إذا التجأ إلى الحرم استحق مراعاة الذمم.

قال **مالك**: ففارقني ومضى، فتعجبت من وقوع الموعظة منه موقعها، وما تأجج بين جنبيه من نار التيقظ والإنابة، وما حصل عليه من صدق القبول وحسن الاستماع.

كلمات في التوبة

* قال **أحمد بن عاصم الأنطاكي**: «هذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عمرك، يغفر لك ما مضى».

* قال **بعض السلف**: «كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة، فمن قضي له بالتوبة كان كما قال **سعيد ابن جبير**: إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل بالسيئة فيدخل بها الجنة، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها».

* وقال **مالك بن دينار**: «إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام، ولا شراب، ولا نوم، ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة».

* قال **شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله**: «الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة، فأما ما حصل منه توبة، فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطئية، كما قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة أحسن منه حالاً قبل الخطيئة، ولو كانت التوبة من الكفر والكبائر، فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم خيار الخليقة بعد الأنبياء، وإنما صاروا كذلك بتوبتهم مما كانوا عليه من الكفر والذنوب، ولم يكن ما تقدم قبل التوبة نقصًا ولا عيبًا، بل لما تابوا من ذلك عملوا الصالحات كانوا أعظم إيمانًا، وأقوى عبادة وطاعة ممن جاء بعدهم، فلم يعرف الجاهلية كما عرفوها».

أخي الشاب: ليس عيبًا أن تزل قدمك فتسقط من القمة إلى الحضيض، إنما العيب أن تذهلك السقطة فتظل حيث أنت دون أن تحاول الصعود!! بل دون أن تفكر!! إلى أين المصير؟!

خمس دقائق

أنت شاب فطن تتطلع إلى مستقبل مشرق.. فها أنت تبحث عن المنصب والوظيفة والزوجة والمسكن.. بل وحتى شراء السيارة يأخذ من وقتك الكثير..

ولكني أتساءل: أما آن لك أن تفكر في آخرتك ولو بخمس دقائق من عمرك لترى كيف حالك غدًا؟!

سترحل من هذه الدنيا عاجلاً أو آجلاً.. طالت بك الأيام أو قصرت.. فماذا أعددت لهذا الرحيل؟! وماذا قدمت لما بعد الرحيل؟!

لاشك أنك ستفكر ولو لدقائق لترى حالك بالأمس وحالك اليوم وحالك غدًا!!

أيها الحبيب:

آخرتك أهم من وظيفتك.. وقبرك أهم من منزلك والحور العين خير لك من نساء الدنيا أجمع.. فأين ستقف بعد هذا الحديث؟!

هل سنراك تسابق المصلين إلى الصف الأول.. أم تبقى على تخلفك حتى يتخطفك الموت على حال لا ترضي ولا تسر؟!

لكأني أرى منك النباهة وفي عينك بعد الرؤية وصفاءها ولكن تعال لتجيب على سؤالي حبًّا وكرامة لي ولك: هل خططت ورتبت نفسك للموت؟ هل استعددت له وتجهزت لحضوره؟!

* قال **عبد الرحمن بن يزيد بن جابر**: قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينك

لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي، إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حريًا أن لا تجف لي عين، فقلت له: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك عنه، قلت: عسى الله أن ينفعني به، فقال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي، فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي، فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا[1].

* قال **أبو عياش القطان**: «كانت امرأة بالبصرة متعبدة يقال لها منيبة، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها، فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حداثتها.

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آت فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت؟!.

فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت، فقال لها: يا حبيبتي، ما يبكيك؟ قالت له: يا أبا سعيد، التراب يحثى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي، يا أبا سعيد، انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبرًا واسعًا وكفنها بكفن حسن، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال بكائي، كيف وأنا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها بيت الظلمة والدود».

---

(١) حلية الأولياء: ٥/ ١٦٤.

الأنفاس الأخيرة

أنت شاب في مقتبل العمر تتطلع إلى الدنيا وإلى أهلها من أصحاب الدور والقصور والأموال والأولاد.. وقد أخذ هذا التطلع من وقتك الكثير وربما أوردك موارد كثيرة بعضها قد لا ترضاه لنفسك ولكنها الحاجة كما تقول..

سأذهب وإياك سويًا عبر الماضي لنرى من ملك الدنيا بأسرها كيف حاله عند الموت.. لترى هوان الدنيا وذلتها وحقارتها.. سنرجع زمنًا لنقف على رؤوس علية القوم وهم في الأنفاس الأخيرة.. فيا ترى ماذا تعني لهم الدنيا، وما ذا يرونها تلك اللحظات؟!

ولكن إياك أن تتهمني بأنني أدعوك إلى ترك العمل للدنيا وعدم السعي في أطرافها.. كلا.. ولكن اعمل للدنيا على قدر بقائك فيها وللآخرة على قدر بقائك فيها..

* قال **عبد الملك بن مروان** في مرض موته وهو الذي حكم الدولة الإسلامية من شرقها إلى غربها ثلاث عشرة سنة: ارفعوني، فرفعوه حتى شم الهواء وقال: يا دنيا ما أطيبك، إن طويلك قصير، وإن كثيرك لحقير، وإنا كنا بك لفي غرور.

* ولما حضرت **المأمون** الوفاة أمر بجل دابته ففرش له فاضطجع عليه ووضع الرماد على رأسه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم اليوم من قد زال ملكه.

* أما **الخليفة المنتصر** فقد كان يضطرب على نفسه عند موته فقيل له: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين، فقال: ليس إلا هذا، لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة.

أخي الحبيب: تهيأ اليوم لزيارة المقبرة.. وانظر واعتبر!! وتفقد مسكنك قبل أن تنتقل إليه!!

أبشر برحمة ومغفرة

أيها الحبيب العائد:

تأمل في دعوة ربك ومليكك وهو ينادي عباده المؤمنين: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر].

وقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**» [رواه الترمذي].

وانظر إلى فضل الله العظيم وإحسانه الجزيل فقد قال رسول الله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» [رواه ابن ماجه].

وقال ﷺ في حديث يفرح كل عاصٍ ويسر كل مقبل على الله: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» [رواه مسلم].

فبادر إلى التوبة النصوح واستغفر الله مما بدر وكان.. عسى الله أن يرحمنا جميعًا.

وتأمل فضل الله عز وجل وكرمه مع عبده الضعيف المسكين.. قال رسول

الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه» [رواه البخاري].

أخي الشاب:

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصى

أخي المسلم:

إذا ما خلوت يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما مضى ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت ... ذنوب على آثارهن ذنوب

لا تكن من هؤلاء

قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» [رواه البخاري].

فهذا الحديث بشارة لجميع المسلمين بالجنة إلا صنفًا منهم لا يريد دخولها، لا زهدًا فيها، ولكن جهلاً بالطريق الموصلة إليها، وتراخيًا وتكاسلاً عن دخولها، وتفضيلاً لهذه المتع الدنيوية الزائلة على تلك النعم الخالدة في الجنة.

وإن يسر الله لك أمر العودة والتوبة فاسجد في هجيع الليل المظلم وأرو الأرض من دموع الشكر لله عز وجل أن هداك دون غيرك وسهل لك هذا الطريق دون من حرموا السير فيه!! وتأمل كم على هذه الأرض من كافر وكم يسير عليها من تائه.. فاحمد الله أن اختصك بالتوبة وأنار لك طريق السعادة!!

ثم بعد أن يطفح نور البشر على وجهك ويتحرك قلبك شوقًا إلى الآخرة.. ستصوب نحوك السهام وترمى إليك كلمات الاستهزاء؟! من سفهاء الناس وضالتهم!! هذا مطوع!! وهذا فلان اهتدى!! وكيف تركت يا فلان ذاك الطريق!! ثم إذا رأوا عزمك وثباتك بدأوا باللمز والغمز.. سيعود بعد حين وسيرجع بعد شهور.. ثم يتحول ذلك كله إلى غيبة لك وإظهار لعيوبك السابقة.. هذا كان فاسقًا.. عاصيًا.. فيه وفيه..! كلمات كثيرة ولست أفضل من رسول الله ﷺ الذي قال عنه سفهاء قريش ساحر ومجنون ورموه بالسفه واختلال العقل!! فهذا طريق معروف لابد لك من الصبر ولا تكن ضعيفًا في دينك فلقد كنت قويًا فتيًا في فسادك!! لماذا يصيبك الخور والضعف الآن؟!

وسيطلق عليك عبارات كثيرة.. فأنت متشدد!! أتعرف لماذا؟! لأنك صليت!! لأنك تركت ملاعب الفجور وأماكن الضياع!! لأنك أطلت لحيتك وقصرت ثوبك اتباعًا لسنة الرسول ﷺ!!

فكن أسدًا وليثًا في سبيل الله فسر على ما سار عليه رسول الله لا تلق بالاً لأحد ولا يهمك أحد من هؤلاء ولكن عليك بالرفق معهم ودعوتهم، واحذر إطالة الجلوس معهم فإن منهم عدوى الفساد تنتشر فاحذرهم!

ولا يليق بالمؤمن أن يكون إمعة يسيء مع المسيئين ويسير حيث اتجه الآخرون، بل له وقفة وعودة.. فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإذا أساؤوا أن تتجنبوا إساءتهم..

أيها الحبيب:

كثير من الشباب يكرهون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وقد تتعجب من هذا الكره لهم؟! فهم لا يأخذون أموال الناس ولا يقفون بينهم وبين حياة سعيدة.. وليس بينهم عداء مستأصل وثأر قديم! أتعلم لماذا يكرهونهم؟! لأنهم يحولون بينهم وبين شهواتهم.. نعم لأجل هذا يكرونهم.. ولو تركوا شهواتهم لكانوا إخوانًا لهم.. وتأمل في رجل المرور.. الكل يرى عمله وجهده.. ولكن يا ترى هل يحبه من تجاوز الإشارة الحمراء وأراد أن يقتل عباد الله؟!

أبشر بخير عظيم

أخي الشاب:

وأنت تسير في طريق الحق تتلمس مواطن الأجر ومكفرات الذنوب إليك بعضًا من ذلك، فإن المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب:

أحدها: أن يتوب توبة نصوحًا ليتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الثاني: أن يستغفر الله فيغفر الله تعالى له.

الثالث: أن يعمل حسنات تمحوها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

الرابع: أن يدعو له إخوانه المؤمنون ويشفعوا له حيًّا وميتًا.

الخامس: أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به.

السادس: أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ.

السابع: أن يبتليه الله في الدنيا بمصائب في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يحب ونحو ذلك.

الثامن: أن يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة، وهي عصرة القبر، فيكفر بها عنه.

التاسع: أن يبتليه الله في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه.

العاشر: أن يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى في الأحاديث الإلهية: «**إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم (ثم أوفيكم إياها) فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[١].

قال الشيخ **عبد الرحمن السعدي** رحمه الله عند تفسير سورة يوسف وما فعل به إخوته وكيف تسلسلت المعصية إلى معاص أخرى متتابعة:

ومنها الحذر من شؤوم الذنوب، فكم من ذنب واحد استتبع ذنوبًا كثيرة وتسلسل الشر المؤسس على الذنب الأول، وانظر إلى جرم إخوة يوسف، فإنهم لما رأوا التفريق بينه وبين أبيه الذي هو من أعظم الجرائم، احتالوا على ذلك بعدة حيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي صفة حالهم حين أتوا عشاء يبكون؛ ولابد أن الكلام في هذه القضية تسلسل وتشعب، بل ربما أنه اتصل إلى الاجتماع بيوسف، وكل ما بحث في هذا الموضوع فهو بحث كذب وزور مع استمرار أثر المصيبة على يعقوب، بل وعلى يوسف، فليحذر العبد من الذنوب، خصوصًا الذنوب المتسلسلة، وضد ذلك بعض الطاعات تكون طاعة واحدة، ولكن يتسلسل نفعها وبركتها حتى يستتبع طاعات من الفاعل وغيره، وهذا من أعظم آثار بركة الله للعبد في علمه وعمله[٢].

---

(١) تسلية أهلْ المصائب ص (٢١٨).

(٢) المجموعة السعدية: ٨/ ٤١١.

أين أنت؟!

أيها الشاب:

أين أنت من أولئك الأخيار . . صفوة الأمة الذين قاموا لهذا الدين وسعوا إلى رفع رايته بالدم والمال ومفارقة الأوطان؟!

أين أنت من جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في معركة مؤتة، بل أين أنت من مصعب بن عمير الذي استشهد في غزوة أحد، وتأمل أين قبور الصحابة والتابعين وكيف قضوا نحبهم بعيدين عن أوطانهم وأبنائهم وزوجاتهم وأموالهم؟!

ماذا قدمت لهذا الدين وأنت ابنه الذي نشأت عليه وترعرعت في كنفه؟!

أيها الشاب:

قبل أن تسأل نفسك أين ذهبت أيامك وأين تقضي شبابك . . إليك روائع حفظها لنا التاريخ عن شباب الإسلام في وقتهم.

إنها أمثلة حية للنبوغ المبكر والاشتغال بالعلم منذ الصغر . . فهذا الصحابي الجليل **معاذ بن جبل** رضي الله عنه الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «**أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل**» وقد شبهه عبد الله بن مسعود بإبراهيم الخليل في تعليمه الخير للناس وفي طاعته وإنابته لربه فقال: إن معاذًا كان أمة قانتًا لله حنيفًا . . ولقد مات معاذ هذا وعمره ثنتان وثلاثون سنة فقط!!

والإمام **الشافعي** حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين!!

والإمام **البخاري** صحح إسناد حديث رسول الله ﷺ وهو ابن أحد عشر

عامًا!!

أما الإمام **ابن الجوزي** فيقول محدثًا عن نفسه: كتبت بأصبعي ألفي مجلد، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفًا!!

وقد رحل الإمام **محمد بن إسحاق بن مندة** لطلب العلم وعمره عشرون سنة، ورجع إلى بلده وعمره خمسة وستون عامًا، وكانت مدة رحلته خمسة وأربعين عامًا، فلما رجع إلى بلده تزوج وهو ابن خمسة وستين عامًا!!

أما **أبو حاتم الرازي** فقد كان يرتحل في طلب أحاديث الرسول ﷺ ماشيًا على أقدامه وقال: مشيت على قدمي ألف فرسخ (٥٠٠٠كم) ثم تركت العدد!!

وقال **سعيد بن المسيب** رحمه الله: كنت أرحل الأيام والليالي في طلب حديث واحد!!

وإن أطلت عليك بذكر السير العطرة لأولئك فإني أبقيت الكثير.. ولعلك تتأمل في همة وصبر حجاج ابن الشاعر الذي قال: جمعت لي أمي مائة رغيف فجعلتها في جراب، وانحدرت إلى شبابة بالمدائن، فأقمت بشبابة مائة يوم، أغمس الرغيف في دجلة وآكله، فلما نفذت خرجت!!

نعم وقف بباب العلم ولم يقف بباب المحبوبة أو الملعب!!

وقد أقام **أبو طاهر** في الإسكندرية في عام ٥١١هـ إلى عام ٥٧٦هـ لطلب العلم وكان يقول عن نفسه: لي ستون سنة ما رأيت منارة الإسكندرية إلا من الطاقة، وكانت هذه المنارة من عجائب الدنيا ولكنها لم تلهه عن طلب العلم!!

أما العالم **يحيى بن يحيى الليثي** فقد ذكر أنه كان تلميذًا عند إمام دار الهجرة مالك بن أنس في مسجد رسول الله ﷺ، فجاء فيل عظيم بجانب المسجد، فخرج الطلاب لرؤيته ولم يبق إلا يحيى بن يحيى الليثي، فقال له الإمام مالك:

لِـمَ لم تخرج لترى الفيل وهو لا يكون ببلادك؟ فقال يحيى: جئت من الأندلس لأراك لا لأرى الفيل، إنما رحلت لأتعلم من علمك وهديك[١]!!

أيها الحبيب:

إنه سير إلى الله عبادة وطاعة.. فإن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل!! ووالله الذي لا إله غيره ما خلقت للهو واللعب ولا لإضاعة الأوقات خلف شاشة أو على مدرج كرة!! فالأمر أعظم من ذلك ولكن متى تهب من غفلتك وتستيقظ من رقدتك!! إن عمرك يجري وصيدك في هذه الحياة ينقضي وأنت لاهٍ ساهٍ!!

أما أولئك الأخيار فقد فطنوا لماذا خلقوا.. وشمروا.. وعلموا أن الدقائق والأنفاس هي رحلة العمر، وهي من أنفس الموجود لديهم.. فهبوا إلى استثمار الدقائق واللحظات معرفة بالوقت وأهميته.

أما من جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حيث يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، وأخر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات.

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفَّى كل نفس ما عملت وتجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدءوا من جديد عملاً صالحًا.

---

(١) للاستزادة انظر إن أردت كتابي «ورثة الأنبياء».

هيهات هيهات لما يطلبون فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء.

ونلحظ في زماننا هذا الجهل بقيمة الوقت والتفريط فيه.. فلا تكن ممن ذهبت أيامه سدى وأضاع عمره فرطًا.. فإن سنواتٌ مرت من عمرك كالحلم.. بل كسحاب يدفعه الريح.. لحظات ثم تختفي.. ها هي سنوات عمرك الماضية انتهت أسرع مما تتخيل.. كأنها طرفة عين!!

واعلم أن الإحصاء دقيق وأن المحاسب بصير ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة] فكيف بك أيها الشاب إذا نشرت لك تلك الصحف الماضية؟ وكيف بك إذا مررت على الصراط ودقته والحساب وشدته؟!

سبحان الله العظيم

* تعمل الكلى عمل المرشحات لإزالة المواد الضارة من الدم، حيث تقوم بتنظيف ١٧٠٩٩ لتر من الدم يوميًا على وجه التقريب!!

* معدل التنفس الطبيعي للإنسان بين ١٦ إلى ١٨ نفسًا في الدقيقة الواحدة!! وفي الساعة ٩٦٠ إلى ١٠٨٠ وفي اليوم الواحد من ٢٣٠٤٠ إلى ٢٥٩٢٠!!

* سرعة الضوء ٢٩٩,٧٩٢,٠٥ كيلو مترات في الثانية الواحدة!! ويصلنا ضوء القمر خلال ثانية واحدة فقط. أما ضوء الشمس فيحتاج لثماني ثوانٍ حتى يصلنا!! فيما يصلنا ضوء أقرب نجم في أربع سنوات وثلاثة أشهر!!

* قلب الإنسان العادي ينبض بين ٦٠ و٨٠ نبضة في الدقيقة الواحدة أي ما يعادل ٤٠ مليون نبضة كل عام، وفي كل نبضة يضخ القلب ١٠٠ سم٣ في الدم ويبلغ ما يضخه خلال اليوم الواحد ١٥٠٦٧ لترًا مكعبًا.

* في العالم اليوم ٢٦٧٩٦ لغة، أشهرها: ٤٨ لغة منتشرة في أوروبا، و١٥٣ لغة في آسيا، و١٨ لغة في أفريقيا، و٤٢٤ لغة في الأمريكيتين، ١٧ لغة في جزر المحيطات!!

* طول أمعاء الإنسان يتراوح بين ٨,٥ إلى ٩ أمتار.

* أعلى درجة حرارة توصل الإنسان لإنتاجها تتراوح بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مليون درجة، وهي الحرارة الناشئة عن انفجار قنبلة ذرية!!

* عضلة القلب تزن نحو ثلاثمائة وخمسمائة وعشرين جرامًا، وتعمل على

ضخ الدم عبر مائة ألف كيلو مترًا في الأوعية الدموية يوميًا.

* يوجد تحت سطح الجلد بين خمسة إلى خمسة عشر مليون مكيف لحرارة البدن.

* يستهلك الجسم من خلاياه نحو مائة وخمسة وعشرين مليون خلية في الثانية الواحدة، ويتشكل العدد نفسه في الثانية الواحدة.

خير الزاد

وأنت تسير في هذه الدنيا تلامس سمعك كل يوم كلماتٍ متكررة.. المستقبل.. الرزق.. تكوين النفس.. العمل.. وهكذا كلمات مادية تنظر فيها بعين بائسة إلى المستقبل!! والمستقبل كما تعلم بيد الله عز وجل والأرزاق بيد الله عز وجل، فلماذا أضعت هذا الأمر وفرطت في هذا اليقين؟

تكد وتتعب وتبذل وتجد وتجتهد لتحصيل أمر مادي بحت ولسنوات قليلة جدًّا هي مسافة عمرك القصير على وجه الأرض.. نعم كل هذا الاهتمام والحرص والمثابرة لعشرين أو خمسين أو ثمانين سنة ولا تزيد عن ذلك في الغالب. ولكن أين أنت عن حياة أبدية؛ اليوم فيها عن ألف سنة من حساباتنا ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧].

فماذا عملت لهذه الدار الأبدية التي ستنتقل إليها قريبًا شئت أم أبيت رغبت أم عصيت؟! فتزود لها فإن بها منزلتين فقط إما جنة أو نار.. فافرح بهذه الجنة وشمر لها وابتعد عن هذه النار وتجنب حرها.. وتزود للآخرة كما تتزود لسفر من أسفار الدنيا وعليك بخير الزاد ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

واحذر أيها الحبيب من نار يقال لها لظى ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج].. واحذر أن تكون ممن ينادون وهم في النار ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون].. بل جد وكن ذا بصيرة، وسابق إلى جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. جعلك الله من أهلها وبوّأك أعلى منازلها.

احـــذر

أيها الحبيب:

قد ترى أن كثرة الضحك فيها أنس لخاطرك وسرور لجلسائك. . ولكن إياك والمزالق فربما أطلقت لسانك فزل بك. .

تأمل في بعض من حولك وكثرة استهزائه باللحية والثوب القصير بل وطلبة العلم ورجال الهيئة، ثم تعقب تلك النكات ضحكات طويلة وتعليقات متتابعة. .

أربأ بك وأنت ابن الإسلام أن تعود إلى الكفر وترتد عن دينك عن جهل أو مسايرة للجلساء. . إن ما تراه سهلاً يسع المجالس ويطير مع الهواء. . ربما يهوي بك في النار سبعين خريفًا. .

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ قدس الله روحه ـ: «إن الاستهزاء بالله وآياته ورسله كفر يكفر صاحبه بعد إيمانه»[1].

وقال سماحة الشيخ **عبد العزيز بن باز** ـ رحمه الله ـ: من يقول: حلق اللحية وتقصير الثوب قشور، هذا الكلام خطير وليس في الدين قشور، بل كله لب وإصلاح وينقسم إلى أصول وفروع، ومسألة اللحية من الفروع لكن لا يجوز أن يسمى شيء من أمور الدين قشورًا. ويخشى على من قال هذا الكلام مستهزئًا أن يرتد بذلك عن دينه.

ولعلك أيها الشاب سمعت قصة رجل من المنافقين في غزوة تبوك حيث

---

(١) مجموع الفتاوى: ٧/ ٢٧٣.

قال: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء المنافق إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنَّا نخوض ونلعب، فقال رسول الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة].

ولعلك أيها الأخ لحظت في الآية الكريمة أن الله شهد لهم بالإيمان قبل الاستهزاء فقال تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ولكن هذا لم يشفع لهم.

* في جواب اللجنة الدائمة للإفتاء على من قال لآخر: «يا لحية» مستهزئًا: أن الاستهزاء باللحية منكر عظيم، فإن قصد القائل بقوله «يا لحية» السخرية فذلك كفر، وإن قصد التعريف فليس بكفر، ولا ينبغي أن يدعوه بذلك.

وقال سماحة الشيخ **محمد بن إبراهيم**: ومن الناس ديدنه تتبع أهل العلم لقيهم أو لم يلقهم مثل قوله: المطاوعة كذا وكذا. فهذا يخشى أن يكون مرتدًا.

* * *

لا يغفل شاب مسلم ما نزل بشباب الأمة من أمور تغضب الله عز وجل وتجلب سخطه وعقابه ومن أوضح تلك الذنوب.. الزنا.. زنا العين وزنا الفرج.. وزنا العين هو الخطوة الأولى لزنا الفرج.

وقد علق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه من الزنا فلا سبيل إلى الفلاح بدونه قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ وذكر منهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون].

وقد ذم الله عز وجل هذه الفعلة الشنيعة وقرنها بالشرك والقتل قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

وقد نهى الله عز وجل عن الزنا ومقدماته فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

فنهى عن الزنا ودواعيه والقرب لما يكون سببًا في ذلك من النظرة والكلمة والخلوة وغيرها وأمر بحفظ البصر فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وأحذرك بقول النبي ﷺ: «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له أن يمس امرأة لا تحل له**» [رواه الطبراني].

وإن كنت ترى أنك استطعت أن تغرر بالمرأة المسلمة وأن هذا من مقدرتك ومهارتك.. فاعلم أن لك أخوات ووالدة وزوجة وبنات.. واعلم إذا كنت ذئبًا فإن هناك ذئاب ولك محارم فاتق الله في نفسك وأهلك.

واحذر أن تعرض محارمك للوقوع في الفاحشة فكما تدين تدان.

من يزني يُزنى به ولو بجدره ... إن كنت يا هذا لبيبًا فافهم
من يزني بألفي درهم ... يُزنى به بغير الدرهم

هذه هي أولوياتنا

أيها الحبيب:

وأنت تستقبل فجرًا جديدًا في حياتك.. فجر تبدأ معه رحلة العودة إلى الله عز وجل بقلب منكسر ودمع منسكب.. إليك حديث الرسول ﷺ وهو بشارة لنا جميعًا: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**».

فاحمد الله عز وجل أن فتح باب التوبة وجعل التوابين من أهل محبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة]، وأبشرك بحديث الرسول ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(١).

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة لا تخفى عليك ولكني أوردت طرفًا منها لتهنأ نفسك ويطمئن قلبك بهذا الفضل العظيم.

وإني موصيك ونفسي بأمور لا تغيب عن بالك ولكنها من باب التذكير والتواصي بالحق:

أولاً: توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة. وإن لم يكن عندنا في هذه البلاد ولله الحمد قبور وأولياء فإن هناك أمورًا خطيرة عدها العلماء من نواقض الإسلام وعليك بها واحدة تلو الأخرى واحذر منها، وسأذكر لك ستة من عشرة نواقض ذكرها الإمام الشيخ **محمد بن عبد الوهاب**:

١ ـ من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

---

(١) رواه ابن والطبراني.

٢ ـ من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ فقد كفر، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد].

٣ ـ من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة].

٤ ـ السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٥ ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة].

٦ ـ الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السجدة].

ثانيًا: المحافظة على الصلاة مع الجماعة في المسجد وكذلك المحافظة على السنن الراتبة قبل الصلاة وبعدها. ولا تتهاون في أداء الصلاة مع الجماعة أبدًا، وتذكر أيام غفلتك ومحافظتك على أمور تافهة وكيف كنت تحرص على أوقاتها وتحضر قبل الموعد بساعات!! وتأمل في فضل واحد من فضل المحافظة على صلاة الجماعة، قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله بشيء من ذمته فإنه من يطلبه بشيء من ذمته يدركه ثم يكبه في النار على وجهه**»[رواه مسلم].

وقد ذكر أحد الدعاة أنه سأل نزلاء سجنين من السجون الكبيرة هل منكم

من أحد صلى الفجر في جماعة يوم أن وقعت جريمته؟ فأجابوا: لم نصل الفجر ذلك اليوم!!

ثالثًا: عليك ببر والديك وليروا منك خيرًا فإن من أسعد لحظات الوالدين أن يروا ابنهم اتجه إلى الخير ويسأل عن الأذان.. وبدا حديثه حديثاً مباركًا.. فهو يتحدث عن جماعة المسجد وعن علاقته بالأخيار والصالحين.. وهذا أمر مهم فإنهم سوف يعينونك ودعهم يأخذون عن الملتزمين صورة طيبة في برهم وتفقدهم حاجاتهم.. واعلم أن لك في ذلك أجرًا عظيمًا وفضلاً كثيرًا فلقد قرن الله عز وجل عبادته ببر الوالدين ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء].

تأمل أيها الحبيب المبارك.. لو أقعدك المرض وأصبحت طريح الفراش.. عندها يتبين لك أصحاب المحبة الصادقة وهم والداك؟! من يذهب بك للمستشفى ومن ينتقل بك من عيادة إلى أخرى؟! ومن يسهر الليالي بجوارك.. بل ها هو والدك يأخذ إجازة من عمله ويقترض مالاً ليسافر بك للعلاج!!

هل رفيقك يقوم بمثل هذا العمل؟! لقد أثبتت الأيام صدق محبتهم لك وعطفهم عليك.. فأرهم الآن منك خيرًا وأنزلهم منزلة تسبق الصاحب والرفيق فهم والله أحق بكل خير من جميع الناس.

رابعًا: كما أنك تخلع قميصك وثوبك المتسخ وتتناول الثوب الجديد، لابد أن تجالس الأخيار وتترك رفقاء السوء فإنهم لن يتركوك بهذه السهولة ولكن احرص على مقاطعتهم وابدأ في البحث عن صحبة طيبة تعينك على الطاعة وتدلك على منابت الخير، وستجدهم إن شاء الله في المسجد وفي المحاضرة على وجوههم البشر ويطفح نور الإيمان على جباههم! وفر من المعاصي والذنوب فرارك من الأسد ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، إن فرارك أيها الحبيب من

المعصية ومواطن الزلل. . فرار الخائف من الذنوب والآثام إلى المسكن المطمئن الآمن حيث جنات عدن.

ولسوف يأتيك الشيطان ويلقي في قلبك كلمات. . وماذا يفعل معك رفقاء السوء. . أنت رجل لك شخصية وفكر؟! فماذا يؤثر فيك أولئك؟! هذه هي الخطوة الأولى نحو الانتكاسة وعدم التوبة وليس البعد عن رفقاء السوء مختص بصغار السن كما نتوهم. . هاك رجلاً من كبراء قريش وقادتها أرداه رفيقه في المهالك وحرمه من دخول الجنة. .

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال: «**يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقالا له: ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه رسول الله ﷺ، فأعادوا، فكان آخر ما كلمهم به هو: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، ومات على الكفر.

وأصدق وصف للرفقاء ما ذكره الرسول ﷺ بقوله: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة**» [متفق عليه].

خامسًا: الوقت هو حياتك، ولكأني بك نادم الآن على ما مضى من عمرك لعلمك أنه لن يعود، فبادر بالاستفادة من الأوقات ودع عنك الملهيات التي لا تفيدك بل تحصد وقتك حصدًا مثل مشاهدة المباريات وغيرها واعلم أنه إذا حضرك الموت لن تستطيع أن تؤخر ملك الموت ولو دقيقة واحدة بمال الدنيا أجمع.

سادسًا: سارع إلى الزواج بالمرأة الصالحة العابدة التقية، النقية وامسك

حديث الرسول ﷺ وعض عليه بالنواجذ: «**عليك بذات الدين تربت يداك**».

سابعًا: شُدَّ الرحال إلى طلب العلم الشرعي والتزود منه وسارع إلى حضور الدروس والمحاضرات وشراء الكتب والأشرطة النافعة، وضع جدولاً طويل الأمد لحفظ القرآن، واجعل لذلك وقتًا معلومًا إما بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر أو حسب ما تراه، وراجع ما حفظته في سيارتك واسمع قراءة الأئمة المجودين المرتلين لكتاب الله.

ثامنًا: ملازمة الدعاء وتحري أوقات الإجابة: فقد كان رسول الله ﷺ يدعو وهو نبي هذه الأمة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. وتذلل بين يدي الله عز وجل أن يغفر لك زللك وتقصيرك وأن يثبتك على دينه حتى تلقاه.

وكن خائفًا وجلاً من ذنوبك.. قال **ابن عون**: لا تثق بكثرة العمل فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟! ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفرت عنك أم لا؟! إن عملك مغيب عنك كله..

تاسعًا: داوم على العمل الصالح وإياك والكسل والتراخي فإنها مدعاة إلى الفتور وربما الانتكاسة والعياذ بالله... وليكن لك خبيئة من عمل صالح لا يعلمها إلا الله من بكاء ندم، وصدقة سر، واعلم أن خير العمل «**أدومه وإن قل**»، وساهم مع المؤسسات الدعوية والإغاثية ومكاتب الجاليات ولو بجهد بسيط لنفع الإسلام والمسلمين ونفع نفسك قبل ذلك.

قال **الحسن**: أبى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهرًا أو شهرين أو عامًا أو عامين، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت!

والنصائح والتوجيهات بين المحبين كثيرة ولكن حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وماذا لي إذا عدت؟

أبشر إذا عدت إلى الله بجنة عرضها السماوات والأرض، وقبل ذلك رضوان من الله ورحمة وعفو ومغفرة.

ولك سعادة وتوفيق في الدنيا والآخرة.. اجتمعت لك سعادة الدنيا ونعيم الآخرة في عودة تعلنها وفي رجوع تخطوه.

أبشر فلك بعد التوبة أن يبدل الله سيئاتك حسنات.. نعم أبشر بالخير العظيم.. ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

هذا في الآخرة.. أما في الدنيا وهي ما تحب أن تراه عاجلاً فأبشر بالسعادة والطمأنينة وأبشر ببهاء الوجه وهدوء النفس..

أبشر بصحبة الأخيار وقراءة القرآن ومحبة الصالحين..

أبشر بحياة طيبة في الدنيا والآخرة..

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

وأبشر بخير عظيم.. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

تأمل في يوم واحد من أيام عودتك.. إنها سعادة لا تنكرها وصفاء لا مثيل له.. سمعك يعطر بآيات من القرآن وبحديث علماء الأمة ودعاتها.. أما بصرك فهو قراءة في مصحف أو نظر في ملكوت السماوات والأرض!! أما

دمعتك فهي خوف من الله ورجاء وطمع في رحمته . .

أما قلبك فلا تتحدث عنه . . فهو في سعادة وأمن وراحة وطمأنينة ! ! شغلك الشاغل : هل أذن المؤذن ؟ ! وهمك نصرة هذا الدين . . ثم ألا ترى معي أنه زاد عقلك وذهبت خفته التي كانت تظهر لك بعد مشاهدة مباريات كرة القدم ؟ ! ألا ترى أن دموعك تنحدر خوفًا من الله لما عنده ؟ !

تأمل جلساءك في السابق ! ! النطيحة والمتردية ممن أضاعوا الصلاة وغفلوا عن الحساب . . همهم لا يتجاوز موضع أقدامهم . . واليوم رفعك الله إلى مكانة علية ومنزلة رفيعة . . فها أنت تسير مع إمام المسجد وتحدث العلماء وتصافح الدعاة ! !

أخي الشاب :

جربت طرقًا كثيرة سنوات عديدة ! ! لا يمنع أن تجرب هذا الطريق أسبوعًا واحدًا . . ثم ليكن بيني وبينك موعد عند كل أذان أدعو لك وتدعو لي ! !

فـــوائـــد

فـائـدة: قوله تعالى في المطففين الذين أورثهم الله الكتاب: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر].

اشترك هؤلاء الثلاثة في أصل الإيمان، وفي اختيار الله لهم من بين الخليقة وفي أنه منَّ عليهم بالكتاب، وفي دخول الجنة، وافترقوا في تكميل مراتب الإيمان، وفي مقدار الاصطفاء من الله وميراث الكتاب، وفي منازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم.

أما الظالم لنفسه: فهو المؤمن الذي خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا، وترك من واجبات الإيمان ما لا يزول معه الإيمان بالكلية، وهذا القسم ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: من يرد القيامة وقد كفر عنه السيئات كلها، إما بدعاء أو شفاعة أو آثار خيرية ينتفع بها في الدنيا أو عُذِّب في البرزخ بقدر ذنوبه، ثم رفع عنه العقاب وعمل الثواب عمله، فهذا من أعلى هذا القسم وهو الظالم لنفسه.

القسم الثاني: من ورد القيامة وعليه سيئات، فهذا توزن حسناته وسيئاته ثم هم بعد هذا ثلاثة أنواع:

أحدها: من ترجح حسناته على سيئاته، فهذا لا يدخل النار، بل يدخل الجنة برحمة الله وبحسناته، وهي من رحمة الله.

ثانيها: من تساوت حسناتهم وسسيئاتهم فهؤلاء هم أصحاب الأعراف، وهي موضع مرتفع بين الجنة والنار يكونون عليه، وفيه ما شاء الله، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة، كما وصف ذلك في القرآن.

ثالثها: من رجحت سيئاته على حسناته فهذا قد استحق دخول النار، إلا أن يمنع من ذلك مانع، من شفاعة الرسول ﷺ له، أو شفاعة أحد أقاربه أو معارفه ممن يجعل الله لهم في القيامة شفاعة لعلو مقاماتهم عند الله وكرامتهم عليه؛ أو تدركه رحمة الله المحضة بلا واسطة، وإلا فلابد له من دخول النار يعذب فيها بقدر ذنوبه، ثم مآله إلى الجنة؛ ولا يبقى في النار أحد في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

وأما المقتصد: فهو الذي أدى الواجبات وترك المحرمات، ولم يكثر من نوافل العبادات، وإذا صدر منه بعض الهفوات بادر إلى التوبة فعاد إلى مرتبته، فهؤلاء أهل اليمين، وأما من كان من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة].

فهؤلاء سلموا من عذاب البرزخ وعذاب النار، وسلم الله لهم إيمانهم وأعمالهم فأدخلهم بها الجنة، كل على حسب مرتبته.

وأما السابق إلى الخيرات: فهو الذي كمل مراتب الإسلام وقام بمرتبة الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وبذل ما استطاع من النفع لعباد الله، فكان قلبه ملآن من محبة الله والنصح لعباد الله، فأدى الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات وفضول المباحات المنقصة لدرجته، فهؤلاء هم صفوة الصفوة، وهم المقربون في جنات النعيم إلى الله، وهم أهل الفردوس الأعلى، فإن الله كما أنه رحيم واسع الرحمة، فإنه حكيم ينزل الأمور منازلها ويعطي كل أحد بحسب حاله ومقامه، فكما كانوا هم السابقين في الدنيا إلى كل خير، كانوا في الآخرة في أعلى المنازل؛ وكما تخيروا من الأعمال أحسنها، جعل الله لهم من الثواب أحسنه؛ ولهذا كانت عين

التسنيم أعلى أشربة أهل الجنة، يشرب منها هؤلاء المقربون صرفًا، وتمزج لأصحاب اليمين مزجًا في بقية أشربة الجنة، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كما قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين].

وهكذا بقية ألوان وأصناف نعيم الجنة لهؤلاء السابقين منه أعلاه وأكمله وأنفسه، وإن كان ليس في نعيم الجنة دني ولا نقص ولا كدر بوجه من الوجوه، بل كل من تنعم بأي نعيم من نعيمها لم يكن في قلبه شيء أعلى منه، فإن الله أعطاهم وأرضاهم، وخيار هؤلاء الأنبياء على مراتبهم، ثم الصديقون على مراتبهم، ولكل درجات مما عملوا، فسبحان من فاوت بين عباده هذا التفاوت العظيم، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

الحق والباطل

لا أخفيك . . ولا أخبىء عنك . .

أنا مفتون!!

سأله في استغراب . . كيف يكون ذلك؟! هل في قلبك شك؟! أم ماذا؟

هز الناصح رأسه وقال: هات كأسًا واملأه ماءً . . ثم ضع نقطة من السم عليه!!

هل يجتمعان؟! كيف تريد أن يجتمع في قلبك حب الغناء وحب القرآن؟!

وتابع وهو يشير بيده . .

حتى ومن قال بإباحة الغناء من بعض العلماء فإنه قصد الغناء بالصوت وحده دون آلة لهو أو طرب . . مثل حداء الركبان بدون كلمات فحش ولا بذاءة . .

أما بآلات اللهو . . فلم يفت أحد بجوازها!! لا تتعجب . .

أرأيت ما تتكىء عليه وتضعه حجابًا لك عن النار!! وتقول إن العلماء أجازوا ورخصوا!!

إنه الصوت فقط . .

ثم إني سائلك ومستفتيك مثل ما استفتى ابن عباس أحدهم وهو يسأله عن الغناء . .

فقال: أرأيت إذا كان يوم القيامة أين يكون الغناء؟! في ميزان الحسنات أو

السيئات؟!

رفع صوته نحو رفيقه وهو يلح عليه.

أجبني أنت.. أين يكون؟!

هل هو زاد تتقرب به إلى الله أم هي أوزار وسيئات تحملها على ظهرك يوم القيامة؟!

يوم تكون في حاجة إلى حسنة.. نعم إلى حسنة واحدة.. إنه يوم الفقر الشديد..

أخي الحبيب:

هلا استبدلت شريط الغناء بشريط قرآن أو محاضرة.. استمع ـ حفظك الله ـ ولو مرة واحدة شريطًا لأحد أئمة الحرم.. لترى كيف يفيض دمعك وتتغير نبضات قلبك.

لكم حرمت من الخير بسبب ذلك التفريط.. فالمعصية وراءها معصية والحسنة تتبعها حسنة.

وقفة:

قال ابن تيمية قدس الله روحه: «ولقد حدثني بعض المشايخ أن بعض ملوك فارس، قال لشيخ رآه قد جمع الناس على مثل هذا الاجتماع (رقص وغناء..): يا شيخ، إن كان هذا هو طريق الجنة، فأين طريق النار؟»[1].

---

(١) الاستقامة لابن تيمية: ١/٣١٧.

علامات مضيئة

* قالت **عائشة** رضي الله عنها: «أقلوا الذنوب، فإنكم لن تلقوا الله عز وجل بشيء أفضل من قلة الذنوب».

* قال **مورق العجلي**: «ما وجدت لمؤمن مثلاً إلا مثل رجل في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب، يا رب، لعل الله عز وجل أن ينجيه».

* قال **يحيى بن معاذ** رضي الله عنه: «من أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات».

* قال **الربيع بن خيثم** لأصحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا، قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود.

* عن **طلق بن حبيب** قال: «إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى، ولكن أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين».

* قال **ابن سيرين**: «إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه».

* قال **معاذ بن جبل**: «إن المؤمن لا يسكن روعه، حتى يترك جسر جهنم وراءه».

* قال **بلال بن سعد**: «رب مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حق له في كتاب الله عز وجل أنه من وقود النار».

* قال **سلمة بن دينار** لجلسائه: «لوددتُ أن أحدكم يُبقى على دينه كما يبقي على نعله».

* قال **الحسن**: «يا ابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة».

الهمة العالية

ودعت أهلي . . حزنًا لفراقهم .

فرحًا بقدومي إلى هذه الأرض . .

لأول مرة أدخل المطار . . ولأول مرة سأركب الطائرة . . ستصعد بنا إلى أعلى . . وأكون معلقًا بين السماء والأرض . .

مشاعر متلاحقة . . وعواطف متقلبة . .

زحف الخوف على قلبي . .

لم يكن هناك متسع للتفكير في عملي . .

أين هو . . ؟ وكيف . . ؟

ألمح خيالاً يلوح بناظري . . وأنا مرتد ملابس الإحرام . . هذه أمنيتي . .

تحملت من أجلها الغربة والصعاب . .

يهدىء ذكرها رجف الخوف في قلبي . .

تجاذبتني الخواطر . . وسرتُ مع دروب كثيرة . .

ركبت الطائرة بين مصدق ومكذب . . وكلما ألقيت نظرة إلى الأرض البعيدة زاد خوفي وارتجف قلبي . . حتى مضت الثلاث ساعات . . بعدها هبطنا بسلام . .

وقطع تفكيري موظف الجوازات . . ناولته جواز سفري . .

* ما هي مهنتك؟ . . راعي غنم . . ؟!

أجبته . . نعم . .

بعد خروجي من صالة المطار .

استقبلني صاحب العمل . . فرحًا . . مبتسمًا . .

استبشرت خيرًا . .

لم ألمح سوى أنوار المدينة من بعيد . . ثم اختفى كل شيء . . الأسئلة تتوالى . . كم سنة رعيت الغنم . . تعرف أمراضها وأسقامها؟

وما أن فرغ من الأسئلة الطويلة . . والنوم يغالبني . .

حتى توالت النصائح .

لا تفرط . . ولا تُهمل . . عليك بالجد والاجتهاد . .

أقبلنا على خيمة صغيرة . . بعدما اجتزنا طرقًا وعرة . .

هذا مسكنك . . فرحت بسعة المكان . . وبالهدوء الجميل . . خيمتي في مكان مرتفع . . ويسكن معي فيها أكوام من الأعلاف والشعير . . لم تترك لي سوى ركنًا صغيرًا . .

ما تبقى من الخيمة كان مطبخي . .

استيقظت لصلاة الفجر . . بعد نوم مريح . .

بدأت أول يوم من أيام عملي . .

نظرت إلى غنمي . . واحدة واحدة . .

انطلقن أمامي . . وانطلقت أحمل طعامي .

استويت على ظهر دابتي . .

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف].

ارتفعت الأتربة على أثر سير الغنم.

ونحن نسير الهوينا.. بدأت الخيمة تختفي..

التفت إليها مودعًا.

موعد الإياب غروب الشمس.

بعد مسير طويل.. حططنا رحالنا..

تفقدت المكان.. وأطعمت الصغار..

أذنت لصلاة الظهر..

تردد صدى صوتي في الأماكن القريبة..

اطمأننت أن الغنم حولي.. أقمت الصلاة.. وصليت.. رحلت بعيدًا حيث مسجدنا هناك..

تذكرت بداية حفظي للقرآن..

عاد صوت والدي إلى مسامعي.. وهو يوصيني بحفظ القرآن، فرصة لا تعوض.. وغنيمة باردة..

ليس لديَّ ما يشغلني.. ومن هنا يحادثني؟

من شدة الحر.. لم أزد على ثلاث لقيمات أكلتها..

وعندما حانت العودة..

كنت قد اتخذت القرار المهم.. سأحفظ القرآن إن شاء الله.. نعم.. وأنا

أرعى الغنم.

شكرت الله على هذا التوفيق..

وأن عملي خارج المدينة.. هنا رغم شدة العيش وقسوة الحياة.. لا غيبة.. ولا نميمة.. ولا فتن.. صفاء في كل شيء..

ما إن تراءت الخيمة.. حتى أسرعت الخراف والنعاج سريعًا.. وصلن إلى حيث الماء.

توضأت وأذنت لصلاة المغرب.

هذا كان أول يوم لي هنا.. وأيامي هكذا..

يوم الجمعة أسير على قدمي لأشهد الصلاة..

أخبرت صاحب العمل.

أني ما جئت إلى هنا إلا رغبة في أداء مناسك الحج..

ولكنه أجاب ببرود واضح بقي شهور ولم أر ذلك الحماس.

تسألني.. هذا هو قدومي..

ولكنك تعجب كيف حفظت القرآن؟

في الصباح وأنا ذاهب بغنمي.. أراجع ما حفظته أمس.. وعندما يستقر بي المقام.. أبدأ بالحفظ.

وإذا قفلت عائدًا راجعت ما حفظته في يومي.. وأكرر المراجعة صباح الغد..

وفي يومي الخميس والجمعة.. مراجعة لكامل حفظي.. سأله رفيقي

متعجبًا . .

ليس لديك مذياع . . ولا تلفاز . . ولا تقرأ الصحف ! ! .

كيف تعرف أحداث العالم ؟ . . وماذا يجري . . ؟

معزول عن العالم أنت . . هذا واقعك . .

تطوعت للإجابة . . ماذا استفدنا ؟ . . وماذا استفاد ؟ . .

اعتدل الراعي في جلسته . . همومي قليلة . . وفي وقتي متسع يشغلني مرض غنيمة من الغنيمات . . أو تمزق في ثوبي .

هذه الأحداث الكبرى عندي .

أما ولادة نعجة من النعاج فهذا الحدث العالمي . .

قلت لرفيقي . . كيف ترانا على هذه الدنيا . . نجري . . ونجري . . ولا نقرأ القرآن شهرًا أو شهرين . .

قلنا له . .

حياتك خير من حياتنا . . أنت وغنماتك خير من دنيانا . . وما أن ركبنا عائدين . .

حتى وضع رفيقي يده على المذياع .

وقال : حديث الناس هذه الأيام .

تمزق في طبقة الجو العليا . . ! !

هل من مشمر؟!

هل من مشمر؟!

نعم هناك مشمرون..

ولكن التشمير إلى أين؟!

إنه إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض.

مسارعة للخطى.. وتقوية للعزائم.. وحث للنفوس.. إنها خطوات في الطريق إلى هناك، حيث الموقف العظيم.. ثم رحمة الله إلى روح وريحان وجنة نعيم.

نستدرك بالتشمير تقصيرنا.. ونعوض بالسير القويم تكاسلنا وتأخرنا.

هل من مشمر؟!

كل يوم في طريق.. وكل حين في سبيل.

خطوات متسارعة وقفزات متتابعة..

نسد الفرج.. ونغلق الثلم.

نحصن أنفسنا.. ونبني ديارنا..

هل من مشمر؟!

نداء لمن تأخر عن الركب.. ولا يزال يرى القافلة.. شمر عن ساعدك.. واستدرك أيامك..

إلى من حجبته سحب المعصية وغيوم الذنوب.. لا نزال ننتظر إطلالتك وانقشاع الظلام عن عينك.. فهيا أقبل وكن من أول الركب.. فأنت ابن الإسلام!!

رب ارجعون

أخي الحبيب:

احمد الله عز وجل أننا نجتمع على أخوة إسلامية ورابطة إيمانية . . الحمد لله لم نجتمع على وثن أو صنم يعبد أو في كنيسة ومعبد . . فاللهم لك الحمد ولك الشكر على نعمة الإسلام ونعمة الهداية .

أخي التائب:

نادى منادي الإيمان : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف] .

فأسرع وشمِّر قبل أن يهجم عليك الزائر الذي لا يرد ولا تستطيع إرجاعه ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون] .

* * *

قبل النهاية

قبل النهاية.. وقد سرت معي في هذه السطور القليلة التي تعلوها آية ويجملها حديث.. أحذرك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان]، عليك بالتوبة واستعد لأمر يفجأك على غير موعد.. فاحمد الله عز وجل الذي أمهلك.. ومن العيوب سترك.. وإلى طريق الهداية سيرك.. وعن طريق المعاصي قيدك..! فإن الأعمال بالخواتيم، فمن أحسن فيما بقي غفر له ما مضى وما بقي، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي.

أخي الحبيب:

هلم إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل، فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب. وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك.

فيما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس في هذين نصب ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك وهو وقتك الذي بين الوقتين، فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم، وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها

وأعظم تحصيلاً لسعادتها.

وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن اتخذت إليها سبيلاً إلى ربك بلغت السعادة العظمى والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب انقضت عنك بسرعة معاناة الصبر عن محارم الله والصبر على طاعته ومخالفة الهوى لأجله[١].

أيها الشاب:

إني أدعوك أن تكون أحد هؤلاء السبعة الذين يكرمهم الله عز وجل فيظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر بذلك الرسول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..**» وذكر منهم «**وشاب نشأ في عبادة ربه..**» [متفق عليه].

فأقدم ولا تتأخر وأسرع ولا تؤجل.. فمثلك يفكر في جواب سؤال عظيم كما قال الرسول ﷺ: «**لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم**»[رواه الترمذي].

أخي الحبيب:

أنت أمل الأمة بعد توفيق الله عز وجل: فإن الرجل القدوة لأشد على أعداء الله من كل عدة.. ولذلك تمنى الناس ذهبًا ينفقونه في سبيل الله.. فكانت كلمات عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولكني أتمنى رجلاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة.. فأستعين بهم على إعلاء

---

(١) كتاب الفوائد.

كلمة الله .

وأنت أيها الشاب من ترى يرفع راية لا إله إلا الله؟! هل هم المنصرون أو اليهود والكفار عمومًا أم يد متوضئة ما سجدت إلا لله ولا حنت الجباه إلا له . . فكن أنت ذلك الرجل .

الخاتمة

* يقول الله عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران].

﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٣٠].

* قال ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً**» [رواه البخاري].

* كان الحسن رحمه الله يقول: «رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من الناس، ابن آدم، إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك».

***

أمطر الخير مطراً

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

لا شك أن المسلم الذي رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، يسعى إلى التقرب إلى الله عز وجل بالأعمال المشروعة في كل وقت وحين، فيمطر الخير مطرًا، والله عز وجل هو المنبت.

يحتسب الأجر والمثوبة في كل حركة وسكنة، فالعمر قصير، والأيام محدودة، والأنفاس معدودة، والآجال مكتوبة.

أدعو الله عز وجل أن تكون حبات الخير متتالية؛ لتجري منها أودية الأجر والمثوبة، لتصب في روضات الجنات برحمة الله وعفوه، ومنه وكرمه.

أمطر الخير

إلى كل أخ حبيب جملة من آيات الله عز وجل وأحاديث الرسول ﷺ الدالة على طريق السعادة في الدنيا والآخرة، ومن أخذ منها أخذ بنصيب وافر، ومن استكملها أو قارب فقد أحسن إلى نفسه، وسقاها من معين صافٍ رقراقٍ لا تكدره الدلاء، واستثمر حياته الاستثمار الذي يعود عليه بالنفع والفائدة، ومن ذلك أنه:

١ ـ يمطر الخير مطرًا.. بقضاء حوائج الناس وتنفيس كربهم.. يفرج هم المهمومين، ويسارع إلى تفريج كربة الأرملة، ويسعى في حاجة اليتيم، ويعين الشيخ الكبير، ويفرج هم الشاب الذي وقع في غم تطاول به، فكم في هذه الدنيا من أصحاب الهموم والغموم.. وكثير من الناس تنفرج همومهم بتذكيرهم بالصبر والأجر، ويزول الجزء الأكبر من الهم إذ بث حزنه إلى من يستمع إليه!

قال ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» [رواه مسلم].

٢ ـ يمطر الخير مطرًا بالمسارعة إلى المناسبات والتجمعات والأعياد، يسعى إلى أن يكون له أثر في الحضور، وتميز في المشاركة، ونصيب من المعاونة، لا لإشباع بطنه ورؤية وجهه فحسب، بل تراه سباقًا إلى الإعانة، والتنظيم، والترتيب.

٣ ـ يقدم خدماته، ولا ينتظر الشكر أو الطلب، وهو في هذا الأمر يطرق باب الإخلاص، ويلج منه؛ لأنه يبتغي بعمله وجه الله عز وجل فلا ينتظر شكرًا، ولا مدحًا ولا ثناءً.. ولا يتعذر بأن غيره لا يعمل، وهو يكد ويتعب!

قال **يوسف بن الحسين**: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت على لون آخر.

٤ ـ يمطر المحبة والمودة على زوجته وأم أولاده.. يرفق بها، ويتودد إليها، ويعينها، فقد علم أن الزوجة أمانة عنده ووديعة لديه، حث النبي ﷺ على إكرامها والإحسان إليها فقال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوان ـ أسيرات ـ عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك**» ولهذا فهو يتبع سيرة الرسول ﷺ في حسن معاملة أهله، وطيب معشره معهن.

٥ ـ يربي أبناءه على الخير، ويرى أنهم استثمار طويل الأجل في الدنيا والآخرة، ويحرص أشد الحرص على حسن التربية، وتلمس طرق الخير والصحبة الطيبة لهم؛ إذا صلحوا واستقاموا نفع الله بهم أنفسهم أولاً ووالديهم ثانيًا والأمة أجمع.

٦ ـ آثار أقدامه في مجال الدعوة إلى الله واضحة جلية، فهو يتفقد من انقطع من إخوانه، ويخشى عليهم التفلت والانتكاس ويعلم أنهم في هذه الحالة أحوج ما يكونون إليه.

مر **أبو الدرداء** ـ رضي الله عنه ـ على رجل قد أصاب ذنبًا فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب، ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم، قالوا: أفلا نبغضه؟ قال: إنما ابغضوا عمله، فإذا تركه فهو أخي.

٧ ـ يؤمن بأن محاسبة النفس ومراجعة صحائف حياتها طريق نجاة وسبيل وهداية، فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والفطن من ألزم نفسه طريق الخير، وخطمها بخطام الشرع!

امتثل أمر الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادَّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم».

فبدأ يحاسب نفسه، ويراجع أعماله؛ ليصحح مسار حياته، ويزيد في حسناته؛ فاليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

٨ ـ يقوم على حلق تحفيظ القرآن الكريم، محبة لهذا الكتاب العظيم، فهو يساعد، ويعين، ويحث الآباء على إلحاق أبنائهم بهذه الحلق المباركة، ويأتي بالمال جوائز، ومسابقات، وهدايا، لإعانة الطلاب على الاستمرار، قال ابن تيمية رحمه الله: «وإن إعانة المسلمين بأنفسهم وأموالهم على تعليم القرآن وقراءته وتعليمه من أفضل الأعمال».

٩ ـ لسانه رطب من ذكر الله، حتى لكأنه يلهم الذكر، ألا ترى صاحب الشعر الماجن والغناء كيف يردد ما يحفظ في كل حين والعياذ بالله؟

أصحاب الخير أمطروا الخير ذكرًا، وتعظيمًا وتقديسًا لله عز وجل ولأسمائه وصفاته، قال ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**» [رواه مسلم].

١٠ ـ جاره أولى بالإحسان وأحق بالرعاية، يراه في اليوم على أقل الأحوال خمس مرات، هي موعد الاجتماع للصلاة، يراه أكثر من أقاربه، وأحيانًا من إخوانه ووالديه! قال ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» وهو يدفع الأذى عن الجار سواء من صغاره، أو حين إيقاف سيارته فلا

يضايقه بها، قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**» [رواه مسلم].

قال النووي: «البوائق: هي الغوائل والشرور».

١١ ـ إذا سافر في طريق بري، بدأ ينثر بذور الخير في طريقه، هاهو يمطر الخير مطرًا، إن رأى منقطعًا أعانه، وإن دلف من باب المسجد جعل له فيه مصحفًا وكتابًا.. وإن وقف عند محطة الوقود لا يترك أحدًا بدون نصيحة وهدية! هاهو يرى ما يزعجه في دورات المياه على الطريق، فهو يحضر علبة طلاء «بوية» ويقوم بإزالة تلك العبارات النابية؛ حتى لا يقرأها مراهق، أو من في قلبه مرض فتقع منه في موقع.

١٢ ـ يتأول صنيع إخوانه، ويحمله على محمل الخير ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فهم إخوانه وأحبابه، ومن أولى منهم بذلك.

قالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قومًا ألأم من إخوانك!! قال لها: مه، ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك، فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقوقهم.

١٣ ـ عيناه تنظر إلى أعلى، وقلبه يتحرك إلى أعمال تكونُ سببًا في دخوله الجنة، في الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ ذكر أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفًا لا حساب عليهم، ثم قال في وصفهم: «**هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»، وعندها سارع إلى كتب التوحيد ليعرف أقصر الطرق وأسهلها أسرعها إلى جنة عرضها السموات والأرض. ودعا الله عز وجل أن يكون من الذين آمنوا، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم.

١٤ ـ علم أن الأمة فيها خير، لكنها تحتاج إلى تذكير بين الحين والآخر، لهذا تنادى مع جمع من إخوانه وحثهم على جعل لوحات على الطريق، تذكر المار، ما أجملها من عبارة «لا إله إلا الله»، «أستغفر الله»، «ولا حول ولا قوة إلا بالله»، «تعوَّذ من الشيطان»، «تذكر أن الله يراك».

١٥ ـ كلما جذبته نفسه إلى الكسل وركن إلى الفتور.. تمثل حال النار وأهلها، وتذكر نعيم الجنة وحبورها، فساقته إلى الجد والبذل والمسارعة والمداومة.

قال **إبراهيم التميمي**: «مثلت نفسي في النار، أعالج أغلالها وسعيرها، وآكل من زقومها، وأشرب من زمهريرها، فقلت: يانفسي أي شيء تشتهين؟ قالت: ارجع إلى الدنيا وأعمل صالحًا، وعملاً أنجو به من النار.. من هذا العذاب، ومثلت نفسي في الجنة مع حورها، وألبس من سندسها وإستبرقها وحريرها، فقلت: يا نفسي أي شيء تشتهين؟ قالت: ارجع إلى الدنيا فاعمل عملاً ازداد من الثواب، فقلت: أنت في الدنيا وفي الأمنية».

١٦ ـ الصحبة في طريق الدنيا أمرها طويل، فإما إلى الخير تقود، وإما إلى الشر والهاوية تنحرف، وهي الأكثر تأثيرًا في حياة الإنسان، ألا ترى نافخ الكير وحامل المسك كأوضح مثال وأنصع بيان؟! قال ﷺ: **«المر على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»** [رواه أحمد]؛ لذا هو كثير التفقد لأخلائه إن وجد منهم المقصر نصحه ووجهه، وإن رأى إعراضًا وصدودًا تركه ونجا بنفسه، وتذكر رفيق السوء أبا جهل حين وقف على رأس أبي طالب عند موته، وجعل يقول: هو على ملة عبدالمطلب، حتى مات على الشرك، لذا فهو يحذر رفقاء السوء وإن تقادم به العمر.

قال **أحمد بن حرب**: «عبدت الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء: تركت رضى الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركتُ حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة».

١٧ ـ يعلم أن ثمرة الخلق الحسن، الألفة وانقطاع الوحشة، ومتى طاب الثمر طابت الثمرة.. قال أبو علي الرباطي: «صحبت **عبد الله الرازي** وكان يدخل البادية، فقال: علي أن تكون أنت الأمير أو أنا؟ فقلت: بل أنت، فقال: وعليك بالطاعة، فقلت: نعم، فأخذ مخلاه، ووضع فيها الزاد، وحمله على ظهره.. فإذا قلت له: أعطني، قال: ألست قلت أنت الأمير؟ فعليك بالطاعة، فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر، فكنت أقول مع نفسي: ليتني مت ولم أقل أنت الأمير».

١٨ ـ السفر يسفر عن أخلاق الرجال، ويظهر معادن النَّاس، هاهو يتعبد الله عزَّ وجلَّ بإعانة إخوانه وبذل النفس لهم.. لا يغفل عن فضل حمل متاع صاحبه في السفر، قال ﷺ: «**ويعين الرجل على دابته، فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة**» [رواه البخاري].

١٩ ـ البعض يهتم ويغتم لأمر من أمور الدنيا.. يهتم لفقد مفتاح سيارة، أو محفظة نقود، أو لفقدان زيادة دخل أو نقص مورد! أما هو فقد صرف هذا الهم والغم في الطاعة والتقرب إلى الله عز وجل إن فاتته تكبيرة الإحرام قطع قلبه الهم، وإن نسي أن يردد مع المؤذن أشغلته نفسه لم أضعت هذا الخير العظيم؟ وإن غربت شمس ذلك اليوم ندم على قلة أعمال الخير فيه؛ لأنه يعلم علم اليقين أن عمل الأمس انتهى وطويت صحائفه، ولن تفتح إلا يوم الحساب والجزاء.

٢٠ ـ قلبه معلق بالمساجد، يسارع إلى المساجد عند سماع الأذان، فالأذان نداء.. هلموا إلى الصلاة، ويقتدي بالنبي ﷺ، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه**»، وحينًا يأتي قبل الأذان، فقد تأثر بقول سفيان بن عيينة: «لا تكن مثل عبد السوء، لا يأتي حتى يُدعى، إئت الصلاة قبل النداء».

٢١ ـ إذا قام إلى الصلاة، صلى صلاة مودع.. يعلم أنه سوف يموت بين صلاتين، الأولى أداها والأخرى ينتظرها.. لذا يخشع في الصلاة، فالمفرطون كثر، والمضيعون أكثر، والموفق إذا وقف بين يدي الله عز وجل خشع، وذل وانكسر.

قال ﷺ: «**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها**» [رواه أبو داود].

٢٢ ـ داء الأمل داء عضال، ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، وصعب علاجه ولم يفارقه الداء، ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء، وما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل! وبطول الأمل تقسو القلوب وبإخلاص النية تقل الذنوب! تفقد نفسه فإذا الأمل ضارب أطنابه في قلبه، فبدأ ينفضه حتى كأنه يرى الجنة عيانًا، فإن المكوث في دار الدنيا قليل والرحيل قريب!

٢٣ ـ ما رأى خيرًا أو سمع حديثًا إلا سارع إليه بما يستطيع أو دل عليه وسهل أمره، وإن لم يتيسر له فقد بلغت النية وفضل الله واسع.. قال ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا ولو كفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة**» [رواه أحمد].

وتأمل حينًا فإذا تكلفة بناء المساجد في بعض الدول لا يتجاوز ثلاثين ألف

ريال! وقال: هؤلاء الذين أسلموا حديثاً مرتباتهم دون الألف ريال يسارعون إلى بناء المساجد في قراهم، لا يقبلون أن يكون معهم شريك في بنائها! أهم أفقه مني في جمع الحسنات والتقرب إلى الله عز وجل! تألم وقاده الألم إلى العمل، فقال: لا أحرم نفسي من هذا الأجر حتى ولو جمعت المبلغ في سنوات.

كان **أبو بكر أحمد النجار** يصوم الدهر، ويفطر على رغيف ويترك منه لقمة، فإذا كان ليلة الجمعة أكل تلك اللقم التي استفضلها، وتصدق بالرغيف!

٢٤ ـ يعين على التذكير بصيام الإثنين والخميس، ويمد الموائد في تلك الأيام، هاهو يأتي إلى تجمعات الصوام في المؤسسات الخيرية، والمساجد الكبيرة ويفطرهم، وأذكر أن أحد شباب إحدى المؤسسات الخيرية طلب أن يفطر الصوام في يوم عاشوراء، وكان الطلب قبل الموعد بأربعة أشهر خوفًا من أن يتقدم عليه أحد.

٢٥ ـ تأمل في حال الدنيا فإذا هي مقبلة عليه! وسأل الله عز وجل أن لا يكون ذلك استدراجًا، وتذكر قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملك، ويعظم حلمك، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوبًا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عملاً في تقوى، كيف يقل ما يتقبل؟!».

٢٦ ـ يمطر الخير مطرًا.. رحمة وشفقة.. ووفاء ومحبة.. يبر بوالديه امتثالاً لأمر الله عز وجل: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] يلتمس أوجه البر وطريق السعادة فيسلكها؛ برًّا بهما ورغبة فيما عند الله عز وجل من الأجر والمثوبة، فمنزلة برهما أعظم من الجهاد في سبيل الله، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر**

الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» [رواه البخاري ومسلم].

٢٧ ـ يسابق اللحظات، ويستثمر الدقائق، فعمره محدود، إن طال به فهو قصير، قال ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وقل من يجوز ذلك**» [رواه الترمذي]، فالستين عامًا ليست عمرًا يضيع، ولا وقتًا طويلاً ليهمل.

قال **ابن القيم** رحمه الله: «وبالجملة فالعبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غب إضاعتها يوم يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر]».

٢٨ ـ يطبع الكتب ويوزعها؛ لرغبته أن تكون من الصدقة الجارية في حياته وبعد مماته، ولعلمه أن ذلك من أسباب صحوة الأمة، فنشر الخير، ودل عليه، وتذكر أنه سمع قصصًا كثيرة لأثر كتاب واحد سعره أقل من ريال، وكيف أحيا الله عز وجل به أممًا وقرى كاملة.

٢٩ ـ جعل الوظيفة عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، ودائمًا يسأل الله الإخلاص وبراءة الذمة، ولذا لا يلقي بالاً على ترقية أو زيادة، ولا يسعى لها كما يسعى غيره بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، بل الدنيا آخر همومه.

قال **الشيخ محمد بن عثيمين** رحمه الله: «فالورع الاحتياط ألا تطلب شيئًا من ترقية أو انتداب، أو غير ذلك، إن أعطيت فخذ، وإن لم تعط فالأحسن والأورع والأتقى ألا تطلب، فكل الدنيا ليست بشيء، إذا رزقك الله رزقًا عفافًا لا فتنة فيه، فهو خير من مال كثير تفتن فيه، نسأل الله السلامة».

٣٠ ـ يحذر الفتنة في الدين والخروج منه بكلمة يقولها ولا يلقي لها بالاً، ويحذر أن يكون له نصيب من حديث النبي ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» [رواه البخاري].

قال بعض السلف: «مهما كنت لاعبًا بشيء فإياك أن تلعب بدينك»؛ لذا صان دينه، وقام به، وجعله في قلبه، وسمعه وبصره حتى ملأ جوارحه وجوانحه، فكان نعم المؤنس والجليس! عبادة، وطاعة، وقربة، ورفعة درجات!

٣١ ـ يمطر الخير مطرًا.. فهو حسن الخلق قولاً وفعلاً.. يظهر ذلك الخلق الجميل والنفس الطيبة مع الصغير، والخادم، والفقير، والمسكين، وحين تشح الأنفس وتضيق، يسعى لمجاهدة نفسه، رغبة فيما عند الله عز وجل، قال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» [رواه أبو داود].

وهو يرغب في المنزلة الرفيعة؛ لقوله ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة: أحسانكم أخلاقًا**...» [رواه الترمذي].

٣٢ يجرى الإخلاص في عمله، وكتم حسناته كما يكتم سيئاته، فالناس لا يرجى وراءهم نفع ولا ضر، بلهو يرجو من بيده ملكوت السموات والأرض، ولأن الإخلاص عزيز وشاق على النفس.. بدأ يدرب نفسه ويعودها على ذلك؛ حتى لا تضيع أعماله وتندثر، قال القرطبي رحمه الله: «حقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس».

لذا لجأ إلى ربه وتضرع بين يديه أن يرزقه الإخلاص في القول والعمل.

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد.. قال: أجاهده، قال: فإن عاد.. قال: أجاهده.. قال: هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك.

٣٣ ـ يسأل الله عز وجل الثبات على هذا الدين؛ فإن الفتن أقبلت كقطع الليل المظلم، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. . لذا فهو شديد الخوف كثير الوجل يتجنب مواطن الفتن، ويبتعد عنها، يحرص على الدعاء الذي كان يردده نبي هذه الأمة ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[رواه الترمذي].

٣٤ ـ يتأمل في يوم آتٍ لا محالة، قرب أم بعد. . إنه يوم عصيب، حين تغرب فيه شمس الدنيا، وينزل به ملك الموت، وينزع روحه من جسده، كيف تكون خاتمته وحاله مع ربه؟ يوم عظيم وسكرات شديدة، «اللهم أعني على سكرات الموت» تحيي في قلبه الخوف من شدة ذلك اليوم.

قال **أنس بن مالك** رضي الله عنه: «ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن؟: أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى إما برضاه، وإما بسخطه، ويوم تعرض فيه على ربك آخذًا كتابك، إما بيمينك، وإما بشمالك، وليلة تستأنف فيها المبيت في القبور ولم تبت فيها قط، وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة، ويرجف قلبه إذا تذكر قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس] ويتذكر مشهد يوم عظيم ولحظات وأيام عصيبة ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج].

٣٥ ـ علم أن الزارع يسأل ويبحث ويدقق، حتى يكون زرعه مستقيمًا سالمًا من الأمراض والآفات!

تيقن أن الدنيا مزرعة الآخرة، لذا سعى لمعرفة الطريق إلى الجنة بطلب

العلم الشرعي فهو أسهل الطرق إلى الجنة، قال ﷺ: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة**» [رواه البخاري].

٣٦ ـ أتى بنواقض الإسلام العشرة، وبدأ يقرؤها مع شرحها، ويراجع حاله، فكم من امريء مسلم خرج من الدين وهو لا يشعر، وكم من مسلم أضحى يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يفطن!

الأمر عظيم يحتاج إلى وقفات، ليتأكد المسلم أنه لا يزال يسير على الطريق الصحيح المستقيم.

٣٧ ـ يعمل ويكدح في الدنيا وهمه الآخرة إن جمع مالاً أهمه: هل فيه شبهة من حرام؟ وإن أنفقه جعل الآخر صوب عينيه، فهو يعلم أن المقام قليل والسفر طويل والزاد قليل، قال رجل لسفيان: أوصني، قال: «اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها».

٣٨ ـ دائم الشكر للمنعم، كثير الحمد للرب عز وجل قلبه مليء بمحبة الله تعالى لما يغدق عليه من النعم وما يدفع عنه من النقم ويرجو من ربه المزيد ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

٣٩ ـ جعل نفسه على الخير منقادة، وساقها سوقًا حثيثاً.. فهو من مفاتيح الخير في كل مكان، يحث على العمل الصالح وينشر العلم، ويعين، ويساعد، ويواسي، ويبذل. قال ﷺ: «**إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لمن جعله الله عز وجل مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويلٌ لعبد جعله الله مفتاحًا للشر، مغلاقًا للخير**» [رواه ابن ماجه].

٤٠ ـ يزور المرضى، يدعو لهم، ويخص أصحاب الإعاقات الشديدة ممن تركهم أقاربهم ومن حولهم، يسعى لتحصيل الأجور في تلك الزيارة، قال ﷺ:

«ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة، إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشيةً، إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة» [رواه الترمذي].

٤١ ـ تفقد قلبه من الغل والحقد والحسد، فإذا الأمر قريب منه، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» [رواه البخاري].

فبدأ يصلح قلبه ويطهره من تلك الأمراض التي قال فيها ابن سيرين: «ما حسدت أحدًا على شيء من أمور الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار».

٤٢ ـ استنزل حسن الخلق على نفسه بالصبر والمجاهدة، وأخذ أعماله بالتربية الجادة؛ لأطرها على حسن الخلق وطيب المعشر التي من علامته عشر خصال: قلة الخلاف، وحسن الإنصات، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، التماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

أمطر الخير على نفسه قناعة باليسير وزهدًا في الدنيا، ورغبة فيما عند الله، فقام بالتقرب إلى الله عز وجل بالطاعات والنوافل، وأصبح همه الوحيد الطاعة والعبادة!.

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله

وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته. وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها، وأخطارها، ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره» تأمل في الكلام النفيس، ثم بدأ يحاسب نفسه على ذلك.

٤٤ ـ دموع الأيتام تمطر حبات من الحزن، والهم، والغم، وقلة العطف والحنان، مع الحاجة الشديدة والفاقة والمسغبة، يربت على رأس اليتيم، ويحني عليه، ويسارع إلى كفالته ماديًا ومعنويًا قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى [متفق عليه].

قال **النووي**: «كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة، وكسوة، وتأديب، وتربية، وغير ذلك».

قال **ابن بطال**: «حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك».

وأعرف من قام بذلك حتى إنه ليتابع مستواهم الدراسي بزيارة مدارسهم وتفقد أحوالهم، فهنيئًا له ذلك.

٤٥ ـ كلما دعته نفسه إلى الكسل والتأخر في الصلاة، تذكر حديث النبي ﷺ فسارع إلى ترك العجز والكسل قال ﷺ: «**من صلى أربعين يومًا في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق**» [رواه الترمذي].

عندها قرر من وقتها البدء بتطبيق هذا الحديث تطبيقًا جادًا، فأخذ نفسه

على ذلك وبدأ يستمع للأذان ليدلف إلى المسجد مع الأوائل، وعندما يسمع النداء يقوم من مكانه متجهًا إلى المسجد، وقد كان بعض السلف حدادًا وإذا رفع المطرقة وسمع الأذان لم يعد المطرقة إلى مكان الضرب بل يلقي بها خلفه!.

٤٦ ـ يلقي السلام، وينشره على من عرف ومن لم يعرف، وعندما ألقى السلام على رجل قال: أتعرفني؟ قال: لا، ولكنها سنة الرسول ﷺ، ثم قال في نفسه: ما تعجب هذا الرجل إلا من تركنا لهذه السنة العظيمة، إنها استجابة عملية لقول النبي ﷺ: «**يا أيها الناس افشوا السلام**...» [رواه ابن ماجه].

٤٧ ـ يسعى لتزويج بنات المسلمين من الأكفاء، فتلك أخت مسلمة نسيها الخطاب؛ لبعد دارها، وعدم معرفة الأخيار بها.. لذا هو يبحث ويسأل عمن يريد الزواج من الشباب متمثلاً قول الله عز وجل: ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] يهمس في أذن الشاب «**عليك بذات الدين تربت يداك**» أين أنت عن صائمة، قائمة، تقية، نقية؟!.. أين أنت عن فلانة.. الساعة أحادث والدها، وأسير معك إليهم.. وكلما أتت عقبة ذللها بالدعاء، وتقريب وجهات النظر حتى يتم الأمر.

٤٨ ـ يوزع مطوية أو كتابًا أو شريطًا يهدي إلى الخير ويقول: الكتاب والشريط فتح من الفتوح في الدعوة، ولا تبرأ ذمة من يملك ريالاً ولا يقدم الشريط النافع والكتاب المفيد، ويذكر قصص من اهتدوا بسبب ريال بذل في شراء كتاب أو شريط، وكم لصاحب الريال من الأجور إلى يوم القيامة بسبب هذه الدعوة والإنفاق فيها! وقد رأيت كتيبًا صغيرًا أصفر تقادم به الزمن، قالوا: إنه لدى إمام المسجد في قرية أفريقية منذ سبعة عشر عامًا، وكل من أراد الحج أخذ هذا الكتاب؛ ليعرف كيف يحج على الوجه الصحيح، ثم إذا رجع إلى قريته أعاد الكتاب إلى إمام المسجد!

٤٩ ـ يحب إخوانه لله عز وجل يدنيهم حين حضورهم ويبش للقائهم، أما في حال الغيبة فهو يحفظ أعراضهم، وينزه لسانه عن أكل لحومهم، بل هو أعلى نفسًا وأصدق معاشرة.. إنه يدعو لأخيه بظهر الغيب، قال ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**» [رواه مسلم].

٥٠ ـ يتفكر في عظم خلق الله عز وجل في السماء والجبال، والأمطار، والأشجار، وذرات الرمال، بل في نبضات قلبه، وتسارع أنفاسه وسمعه وبصره وعقله ويتذكر قول الله عز وجل: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات].

٥١ ـ كثير الثناء والتمجيد لربه عز وجل على ما وهبه من نعم عظيمة، وأعظمها وأشرفها نعمة الإسلام، ويذكر بهذه النعم العظيمة في المجالس والمنتديات ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣] والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ [الإنسان: ٣١].

٥٢ ـ ينزل الخير على من عرف ومن لم يعرف دعوة وتوجيهًا، حليم صبور، باذل لنفسه، مذل إياها في جنب الله، حتى يورق العود وتجنى الثمرة.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وينبغي أن يكون الداعي حليمًا، صبورًا على الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

٥٣ ـ كلما تيسرت له صلاة الضحى صلاها، وهي لا تأخذ منه سوى دقائق معدودة! لكنه لا يضيع بسببها واجبًا أو يفوت عملاً يأخذ عليه أجرًا، قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: «**صيام ثلاثة أيام في كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام**» [متفق عليه]، ودائمًا يتذكر قصة ذلك الموظف البسيط الذي كان يقدم لهم الشاي في دائرته الحكومية، ثم إذا قدم

الشاي فقد لمدة دقائق فتتبعه أحدهم فإذا به في ساحة المبنى خلف نخلة كبيرة يصلي صلاة الضحى، قال أحدهم: «هذا أغنى من مديرنا ومنا جميعًا»!

٥٤ ـ لا يدخل السوق إلا لحاجة ضرورية، ويتحين الفرص التي تقل فيها الفتن، وإذا دخل السوق لا تراه إلا وهو ذاكر لله عز وجل رافعًا بها صوته قال ﷺ: «**ومن دخل السوق، فقال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب له ألف ألف حسنة، ومحي عنه ألف ألف سيئة، وبني له بيتًا في الجنة**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

٥٥ ـ أمطر الخير على سبع حالات، ودعا الله عز وجل أن يكون منهم قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» [متفق عليه].

٥٦ ـ لا يزعج الناس بكثرة الطلبات والإلحاح، بل يقوم بعلمه دون طلب من أحد، فلا يشق على الناس ولا يحرجهم، عن أبي مليكة قال: «كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق، قال: فضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ قال: إن حِبِّي ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئًا».

٥٧ ـ يفكر في هداية جاره وانتشاله من مرتع السوء، ويبذل لذلك كل الأسباب يومًا بعد يوم، بلا كلل أو ملل، بل يسارع كمن يريد إنقاذه من نار الدنيا! فيا ترى كيف تكون النجدة والإسراع؟ ويزيده إصرارًا على المتابعة

والدعوة قول الرسول ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم].

٥٨ ـ صاحب توكل على الله عز وجل ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

قيل **لحاتم الأصم**: علام بنيت أمرك في التوكل؟ قال: «على خصالٍ أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتي بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحي منه»!

٥٩ ـ صاحب همة عالية في عبادته، وأعماله، وأخلاقه، وسيره، وطلبه! وكأن **ابن الجوزي** يتحدث عنه: «ولله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها، فهم يبالغون في كل علم ويجتهدون في كل عمل، يثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة وهم لها سابقون».

٦٠ ـ يخاف يوم البعث والنشور، فزاده قليل، والعقبة كؤود، والرب جواد كريم، قال **الحسن**: «ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة، لا يأكلون فيها أكلة، ولا يشربون فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشًا، واحترقت أجوفهم جوعًا، انصرف بهم ـ يقصد العصاة المجرمين ـ إلى النار فسقوا من عين آنية، قد آن حرها، واشتد لفحها..

٦١ ـ استعاذ بالله من عدوه الشيطان، فهو يدفعه إلى المعاصي ويقوده إلى الفتن، فالحرب قائمة، والرماح مصوبة، لكنه لم يستسلم، ويعلم أن في ذلك أجرًا.

قال **الحسن**: «إن نظر إليك الشيطان فرآك على طاعة الله فبغاك وبغاك،

فرآك مدومًا ملَّك ورفضك، وإذ كنت مرة كهذا، مرة هكذا طمع فيك».

ـ٦٢ يتفقد قلبه بين الحين والآخر.. في الصباح والمساء.. فالقلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، فحدث نفسه: إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلاً، ولأيامك وأنفاسك أمدًا، ومن كل ما سواه بد، ولا بد لك منه، ودائمًا يتمثل قول **مورق العجلي**: «ما وجدت للمؤمن مثلاً، إلا مثل رجل في البحر على خشبة فهو يدعو، يا رب، يا رب، لعل الله عز وجل أن ينجيه».

٦٣ ـ السواك سنة نبوية، لذا يسارع إلى إحياء هذه السنة بشراء مجموعة من المساويك له ولزوجته، وأبنائه، وزملائه في العمل، وأحيانًا يجعلها في المسجد، ولا يماكس في سعر الشراء؛ لأن ذلك من دناءة النفوس وفيها التضييق على البائعين، ولهذا لا تجدهم إلا في مساجد عدة، لكن لو كان الربح عاليًا لوجدناهم عند كل مسجد وأحيينا هذه السنة العظيمة، قال ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**» [رواه النسائي].

٦٤ ـ يمطر الخير مطرًا فهو يتطوع للعمل مع الجمعيات الخيرية في أوقات فراغه، فالمسلم مأمور بالقيام بأمر الدعوة إلى الله، هاهو يهب جزءًا من وقته لهذا الجانب الهام ويحيي همم الشباب نحو القيام بواجبهم لهذا الدين، أتريدون دعاة من اليهود والنصارى يقومون بمهمتكم لهذا الدين؟ ألم ترضوا بالإسلام فلماذا لا تقومون به وله؟

٦٥ ـ في زمن التحولات العجيبة في كل شيء، سمع حديثًا يوانس وحشته، ويزيل غمه وحزنه، قال ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها**» [رواه البخاري].

قال ابن حجر رحمه الله: «هاهنا ثلاث درجات: واصل ومكافيء، وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافيء من يصل ولا يزيد على ما يأخذ، والقطَّاع: الذي يتفضل عليه، وهو لا يتفضل، وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين، كذلك تقع المقاطعة من الجانبين، فمن بدأ حينئذ فهو الواصل، فإن جوزي سمي من جازاه مكافئًا».

٦٦ ـ الرحمة تجري في قلبه وبين جوارحه.. تذرف الدمعة من عينيه، وتنفق يده، ويلين لسانه، ويعذب كلامه، قال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» [رواه الترمذي].

٦٧ ـ يمطر الصدقة معونة وشفقة، ويقدم لآخرته من دنياه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من استطاع منكم أن يجعل كنزه حيث لا يأكله السوس ولا تناله السراق فليفعل، فإن قلب الرجل مع كنزه، لهذا فهو يحمل على كتفه الطعام؛ ليوصله إلى من يحتاجه، ولا يدع أحدًا يعينه في ذلك فقد ذكر عن **علي بن الحسن** رضي الله عنهما أنه لما مات فغسلوه فجعلوا ينظرون إلى آثار سوداء في ظهره! فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء المدينة.

٦٨ ـ في كل مكان له أثرٌ! لا يترك الفرص تفوت دون فائدة أبدًا.. يلقي كلمة في مدرسة أو ناد أو استراحة يحث فيها على الدعوة إلى الله والدار الآخرة والنبي يقول: «**بلغوا عني ولو آية**» فكيف بمن تعلم سنوات؛ ويقرأ ويكتب ثم هو يحجم عن الدعوة، ونشر الدين، والأمر بالمعروف والدلالة عليه؟

٦٩ ـ بين الفينة والأخرى كلما وجد فرصة يتوضأ ويصلي ركعتين بقلب حاضر ولسان ذاكر، قال ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم**

يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا قد أوجب» [رواه أبو داود] ومعنى «أوجب» أي وجبت له الجنة، كما في لفظ مسلم.

٧٠ ـ يرد على المغرضين الذين يحاربون الإسلام بالكتابة والمهاتفة، وما أكثرهم في هذا الزمن! ورأى أن لو تقاعس كما تقاعس غيره لثار غبار المرجفين في الأرض، ولكنه يدافع، ويجاهد بلسانه، وقلمه وقال: هذا من أعظم أنواع الجهاد اليوم، ودائمًا يحمد الله عز وجل فلقد رأى الثمرة سريعة.

٧١ ـ النصيحة بين المسلمين أمرها عظيم، وفائدتها كبيرة، وهي أعظم هدية تقدم وأسهل طريقة للنجاة، قال ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا لمن؟ قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**» [رواه مسلم].

قال **الحافظ أبو نعيم**: «هذا الحديث له شأن عظيم.

وذكر **محمد بن أسلم الطوسي**: «أنه أحد أرباع الدين، ووسائل المناصحة في هذا الزمن كثيرة منها المناصحة بالهاتف، وبالرسالة البريدية، وعبر الفاكس، وغيرها.

* قال **الفضيل بن عياض**: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة».

وكان السلف إذا رأوا نصيحة أحد وعظوه سرًّا، حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه.

٧٢ ـ يسعى إلى نشر السنن وإحيائها بين الناس؛ امتثالاً لقول النبي ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن**

ينقص من أجورهم شيئًا» [رواه مسلم]، فكم من السنن مضيعة، أو مجهولة، أو منسية يسعى إلى نشرها وتعليمها.

٧٣ ـ إذا رأى رجلاً صالحًا يسير بسكينة تذكر قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]، وأفزعه وأقضى مضجعه نهاية رجل خالط قلبه الكبر قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلةٍ، تعجبه نفسه، مرجلٌ رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» [متفق عليه].

٧٤ ـ يكتب للعلماء والمفتين يطلب منهم الفتوى فيما أشكل على الناس وانتشر بينهم، ثم هو يسعى في نشرها وإيصالها إلى المهتمين بالأمر كدور النشر، ومكاتب الجاليات، ومراكز الدعوة وغيرها.

٧٥ ـ يسعى إلى أن يجعل الخير في بيته متصلاً، هاهو يعلم صغاره سورة الفاتحة وهم دون الرابعة، وقال: هذا أجر وخيرٌ أفوز به لقاء تعليمهم الفاتحة وقصار السور، قال ﷺ: «**من علم آية من كتاب الله عز وجل كان له ثوابها ما تليت**» [السلسلة الصحيحة ١٣٣٥].

٧٦ ـ مع إشراقة كل شمس، له فجر جديد مع التوبة إلى الله عز وجل من المعاصي، وتوبة من ضياع الأوقات دون طائل، فالرب جواد كريم «**نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم**» والرب عز وجل يمن على عباده بالرحمة والرضوان قال ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها**»، إنها منه وجود لا يعدله إلا القبول من الرحمن والرضا، وكلما هم بمعصية تذكر قول الحسن: يا بن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة.

٧٧ ـ لا يستشرف لمدح أو ثناء، بل همه منصب في قبول العمل من الله عز وجل! قال محمد بن زهير: «أتيت أبا عبدالله ـ أحمد بن حنبل ـ في شيء أسأله عنه، فأتاه رجل فسأله عن شيء، أو كلمه في شيء، فقال له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فغضب أبو عبد الله وقال له: من أنا حتى يجزيني عن الإسلام خيرًا، بل جزى الله الإسلام عني خيرًا».

٧٨ ـ كلما فتح الله عز وجل له بابًا من أبواب الخير سارع إليه، لا يتردد ولا يتأخر؛ لأنه يعلم أن هذا الباب لو أغلق قد لا يفتح أبدًا.

قال ابن القيم رحمه الله: «.. فإن العزائم والهمم سريعة الانقضاض كلما تثبتت، والله سبحانه يعاقب من فتح له بابًا من الخير فلم ينتهزه بأن يحول بين قلبه وإرادته فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له، فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه حال بينه وبين قلبه وإرادته، فلا يمكن الاستجابة بعد ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]».

٧٩ ـ بعض مجالس اليوم تطول أو تقصر، وحديث الغيبة والنميمة والاستهزاء بحر لا ساحل له، تقع الهنات وتظهر الأحقاد ويتحدث من في قلبه مرض، قعد لهم بالمرصاد، يدافع عن المؤمنين في أي مجلس غيبة، يرجو رجاءً عظيمًا قال ﷺ: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» [روى الترمذي].

٨٠ ـ يضع الأفكار التي تنفع المسلمين، سواء كتيب أو مطوية، فكم هي كثيرة الأفكار والآراء لكنها حبيسة الرؤوس والصدور، وأحيانًا تخرج على شكل غيبة، وانتقاص لإعمال الغير، وإلا فكل إنسان لديه رأي وعنده تصور، وقد

ابتدأ الصحابة النبي ﷺ بالرأي في غزوة بدر وفي غزوة بدر وفي غزوة الأحزاب لحفر الخندق، وغيرها من المواقع.

٨١ ـ يمطر الخير على نفسه؛ فضلاً منه وجودًا، قال ﷺ: «**من قال في كل يوم حين يمسي: حسبي الله، لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة**»[رواه ابن ماجه].

٨٢ ـ يسعى إلى الإخلاص ومجاهدة النفس وحظوظها، فهو يريد بعمله الله عز وجل والدار الآخرة.. قطع كل عمل إلا ما كان لله، وابتعد عن قليل الرياء وكثيره.

يقول **ابن الجوزي**: «واعلم أنَّ المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما يدخل عليه خفي الرياء فيلبس الأمر، فنجاته منه صعبة، وفي الحديث مرفوعًا عن يسار قال لي يوسف ابن سباط: تعلموا صحة العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنين وعشرين سنة».

قال **إبراهيم بن أدهم**: «تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان، دخلت عليه في صومعته فقلت له: يا سمعان، منذ كم أنت في صومعتك هذه؟ قال: منذ سبعين سنة.. قلت ما طعامك؟ قال: يا حنيفي، وما دعاك إلى هذا؟ قلت: أحببت أن أعلم.

قال: في كل ليلة حمصة.. قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة؟ قال: ترى الذي بحذائك؟ قلت: نعم، قال: إنهم يأتونني في كل سنة يومًا واحدًا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظمونني بذاك، وكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة، فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد.

فوقر في قلبي المعرفة، فقال: أزيدك؟ قالت: نعم، قال: انزل عن الصومعة، فنزلت، فأدلى إليَّ ركوة فيها عشرون حمصة. . فقال لي: ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك، فلما دخلت الدير، اجتمعت النصارى، فقالوا: يا حنيفي، ما الذي أدلى إليك الشيخ؟ قلت: من قوته، قالوا: وما تصنع به ونحن أحق؟ ساوم، قلت: عشرين دينارًا، فأعطوني عشرين دينارًا فرجعت إلى الشيخ فقال: أخطأت، لو ساومتهم عشرين ألفًا لأعطوك، هذا عز من لا يعبده، فانظر كيف تكون بعز من تعبده، يا حنيفي، أقبل على ربك».

٨٣ ـ همه إشاعة المحبة، والصفاء، والنقاء بين إخوانه المسلمين، وإن وقع ما يكدر الصفوة، ويدعو للقطيعة هاهو يقوم بالإصلاح بين المتخاصمين، قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة**» [رواه البخاري].

٨٤ ـ يسعى إلى إزالة الأذى عن الطريق، خاصة في الطرق السريعة التي ربما تؤدي إلى هلاك المسلمين وانقلاب عرباتهم، قال ﷺ: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس**» [رواه مسلم].

٨٥ ـ استجلب الشفعاء استجلابًا ـ رحمة من الله وتوفيقًا ـ فهو يقرأ القرآن، ويراجع حفظه، قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» [رواه مسلم].

وكلما أطلق بصره قارئًا في صفحات كتاب الله عز وجل رأى الثواب الجزيل: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ ۝١﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» [رواه الترمذي].

٨٦ ـ له برنامج دعوي خارجي، يراسل المسلمين في العالم ينشر من خلاله العقيدة الصحيحة والفقه، فالأمر ميسور وسهل مع تنوع الكتب والرسائل، وتوفر وسائل البريد، ويعلم أن خدمة هذا الدين شرف ما بعده شرف، وعز ما بعده عز..

٨٧ ـ لا يبتعد عن أرحامه بين الحين والآخر، وجعل لمن بعدت به المساكن مكالمة هاتفية كل أسبوع، ليطمئن على أحوالهم، ويسأل عن أخبارهم، ولكنه لا يكثر السؤال في الأمور الشخصية، ولا يحرجهم بتتبع أسرارهم الخاصة! يكفيه أداء الواجب.

٨٨ ـ يمطر الخير على من حوله حثًّا على البر بالوالدين ويتلمس هذا الأمر في الشباب، فإذا قعد مقعدًا ذكر بهذا الخير العظيم، وذكر صورًا من العقوق تنبه الغافل منهم، فليس العقوق في الهجر، والضرب، ورفع الصوت، بل العقوق في عدم القيام بهم، وتلمس طلباتهم، وإدخال السرور عليهم.

٨٩ ـ من أثر حبات المطر المتتالية على قلبه، صفا قلبه، وخلوا من الغل والكراهية؛ طمعًا في الأجر والمثوبة، يتحمل أذى الغير، ولا يقابل السيئة إلا بالحسنة ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

٩٠ ـ الدعوة ليست في المساجد فحسب، قال: نعم الأمر في كل مكان خاصة من قل عندهم المعين والموجه.. يذهب إلى المستشفيات، ويزور المرضى، ويعظهم، ويوزع عليهم الكتيبات والمطويات، ويعلمهم كيفية الصلاة والتيمم وغيرها.

٩١ ـ يوقر الكبير، ويقدره، وينزله منزلته! قال **بكر بن عبدالله**: «إذا

رأيت من هو أكبر منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك، فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني!».

قال ابن الحاج: «من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها؟ فكأن سائلاً سأله: ما صعد بك هنا أعني في رأس الشجرة وأنت تحت أصلها؟ فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه!.

٩٢ ـ زيارة الإخوان أجرها عظيم، رتب جدولاً لزيارة إخوانه خاصة من نأت بهم الدار، ومن يقومون بالدعوة في القرى قضاة ومدرسين، يزورهم محتسبًا الأجر مثبتًا إياهم في مواقعهم، ومثنيًا على أعمالهم، ومشاركًا في سد حاجتهم من الكتب، والأشرطة، وعرض الأفكار، والمسابقات، قال ﷺ: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير لأني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**» [رواه مسلم].

٩٢ ـ يعلم أن بقاءه في هذه الدنيا غنيمة لا تعوض وفرصة لا ترد، سمع حديث النبي ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا**» «**فمن تبع منكم اليوم جنازة**» «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً**» «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا**» قال ﷺ: «**ما اجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة**» [رواه مسلم]، عندها أسر لزوجته هيا لنصوم، ونطعم مسكينًا، ونزور مريضًا، ونصلي على جنازة لعل الله عز وجل أن يتقبل منا!

٩٤ ـ يبحث عن عمل دنيوي لإخوانه يسد حاجتهم ويغنيهم عن الفاقة

والسؤال. . ويتصل بمن يعرفهم لإتمام توظيفهم، فإن هذا من إعانتهم على الدنيا وتفريج كربهم، وفي جانب الأعمال الدنيوية يتحرى اختيار الأماكن الملائمة لهم البعيدة عن مواطن الفتن؛ حتى يثبتوا على هذا الدين.

٩٥ ـ يدرأ الفتنة عن نفسه بغض البصر، ففي هذا الزمن كثرت الفتن، وظهر التبرُّج في كل مكان، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعًا».

وكلما دعته نفسه إلى تكرار النظر تذكر أن هذا التكرار من كبائر الذنوب فغض بصره.

٩٦ ـ يكثر السجود لله عز وجل ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فهو يتحين الفرص في منزله وخلوته قال ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو يسبغ الوضوء ـ ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**» [رواه مسلم].

٩٧ ـ سعى لأن يكون إمامًا أو مؤذنًا، قال ﷺ: «**من أذن اثنتي عشرة سنة، وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، ولكل إقامة ثلاثون حسنة**» [رواه ابن ماجه].

وقال ﷺ: «**المؤذن يغفر له مد صوته، وأجره مثل أجر من صلى معه**» [رواه الطبراني].

٩٨ ـ يبتعد عن الفتن والشبهة، فتراه لا يرى الشاشة مطلقًا، وإن كان فيها

خير فشرها كثير متدفق، لا يسافر إلا لحاجة ومع رفقة صالحة تعينه وتذكره؛ لأنه يخشى أن تكون هذه الفتن مطية تأخذه إلى الهلاك كما قال ﷺ: «**من استشرف إليها** ـ يعني الفتن ـ **أخذته**» [رواه البخاري].

٩٩ ـ يشفع للآخرين في طلباتهم، ويسعى إلى قضائها، فكم من أخ تأخذه الهموم ولا ينام بسبب عوائق الدنيا، وقد شفع النبي ﷺ عند بريرة وهي جارية فردته ﷺ ولم يستنكف، ولم يقل شفاعتي لا تقبل إنما قال ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا**» [متفق عليه].

١٠٠ ـ يعين أصحاب الخط الواضح في الأدب الإسلامي، ويشجعهم، ويناصحهم، ويرسل لهم النصائح والتوجيهات، ويطرح عليهم الآراء والأفكار، ويدعو لهم بالثبات، ويبشرهم أن هذا عملهم من الجهاد في صد موجات الكتب السيئة التي غزت الأمة من روايات وقصص دس فيها السم الزعاف.

١٠١ ـ يحرص على تجهيز الغزاة في سبيل الله؛ محبة لهذا الأمر ورفعة للإسلام، وكسبًا للدرجات.

لذا فهو يتابع وأحوال المسلمين في كل مكان ويسهم بما تيسر، ويعين عليه لما في ذلك من الأجر العظيم.. عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**» [رواه مسلم]، وفضل الله واسع، «**ومن جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**» [رواه مسلم].

١٠٢ ـ علم أن الحياة مبنية على الكدر، والعناء، والمشقة، فيتمسك بالصبر وقد جعله له شعارًا ودثارًا، وتأمل في موعود الله عز وجل للصابرين من الأجر

العظيم والثواب الجزيل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

واحتسب الأجر في كل مصيبة وأمر يحزنه، قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه**» [متفق عليه].

١٠٣ ـ يوفي بالعهود، ويصدق في المواعيد؛ امتثالاً لأمر الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] فلا يخل بشرط ولا يتأوَّل أمرًا لصالحه، بل يعطي كل ذي حق حقه؛ حتى تبرأ ذمته، ولا يطالبه أحد يوم القيامة بشيء!

قال **الحسن**: «إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة، فيقول: بيني وبينك الله، فيقول: والله ما أعرفك، فيقول: أنت أخذت طينة من حائطي، وآخر يقول: أنت أخذت خيطًا من ثوبي» فهذا وأمثاله قطَّع قلوب الخائفين!.

١٠٤ ـ أتى لأمه الكبيرة وبدأ يقرؤها آية الكرسي؛ حتى يعم الخير في أوساط الكبيرات، وذكرهن بفضل هذه السورة، قال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت**» [رواه النسائي].

١٠٥ ـ يعين نفسه على الابتسامة للمسلمين؛ لأنه في ذلك مأجور «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» [رواه البخاري].

وقال **جرير بن عبد الله**: «ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم» [رواه البخاري]، و لذا فهو طلق الوجه حسن الطلعة بين إخوانه المسلمين تنبسط أساريره إذا رآهم وتهش نفسه إذا قابلهم.

١٠٦ ـ يسعى لرضا ربه، وامتلأ قلبه به رغبة فيما عنده، ورضًا بما رزقه، قال **ابن القيم** في الرضا: «إنه يفتح للعبد باب السلامة، فيجعل قلبه نقيًّا من

الغش، والدغل، والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضا، وكلما كان العبد أشد رضا كان قلبه أسلم، فالخبث والدغل والغش قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضا، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط، وسلامة القلب منه من ثمرات الرضا.

١٠٧ ـ همه هداية العاصي وانتشاله من النار، فكما أن مريض الجسد يرحم وهو يئن ويشتكي من الأسقام، فإن داء ذاك أشد خطرًا، وأعظم أثرًا، ولهذا فهو يسعى إلى هدايته وإنقاذه من أوحال المعاصي، وله من الأجر ما بشر به النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**».

١٠٨ ـ لا يمن بعمله، ولا يردد كل يوم عملت وفعلت، فإن ذلك باب من أبواب رد العمل منة أو رياءً أو عجبًا! ﴿لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٢ و٢٦٤].

١٠٩ ـ لا يجعل وقته ضائعًا، لذا كل أمر لديه يحسب فيه دقائقه، فلا يضيع وقته في الاستراحات بحجة رؤية الأصدقاء، ويضيع خمس ساعات أو عشر في الأسبوع دون طائل ولا فائدة، بل يحب أصحابه، ويقبل عليهم، لكنه يستفيد من هذا الوقت الطويل في فائدة أو قراءة كتاب أو نشر فتوى.. ثم هو يلح عليهم بالعودة مبكرين حتى يدركوا الفجر في جماعة، لأن السهر مكروه إلا في طلب علم أو ملاطفة زوجة أو عمل لابد منه.

قال **أبو الوفاء بن عقيل** وهو يحدث عن نفسه: «إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة، وبصري عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما

أسطره، وإني لأجد حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي؛ حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ».

١١٠ طبق حديث النبي ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» طبقه في واقع حياته وفي مسير أيامه.. فترك ما لا يعني من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي والفكر، لذا أراح واستراح.

١١١ لا يتبرم، ولا يشتكي من العمل أو الدنيا أو غيرها، بل دائم الصمت محتسبًا للأجر طالبًا للمثوبة.

قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك».

وقال **الأحنف**: «لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة، ما ذكرتها لأحد».

١١٢ زكاة ماله تذهب إلى من يحتاجها، ويصرفها في أوجه الخير، ويتحرى الفقراء والمساكين، ويسأل بنفسه؛ حتى تبرأ ذمته، وأذكر أني سألت أحد المشايخ رحمه الله في مكة عن الفقراء المستحقين لزكاة الفطر، فقال: عليك برؤوس الجبال فستجد الكثير!

١١٣ ـ الشهادة مطلبه، ودائمًا يبرز أمام عينه حديث النبي ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**» [رواه الترمذي].

وإن كان الأمر قد قصر به ولم يتيسر طريقه وسبله، إلا أنه يسأل الله عز

وجل الشهادة: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**» [رواه مسلم].

١١٤ ـ له في سهام الخير نصيب، ها هو يدل على أعمال البر، ويذكر حاجة الجهات الدعوية والإغاثية، إن حل فصل الشتاء عرض مشروع بطانية الشتاء، وإن حل الصيف بحرارته وسمومه أسرع إلى الدلالة على إنشاء البرادات وحفر الآبار لسقيا السلمين، وأن أزف رمضان جعل بين يديه قسائم تفطير الصائمين؛ ليقدمها لمن يريد! همه جمع الحسنات من وراء الدلالة على هذه الأعمال.

١١٥ ـ قال ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجته حتى تقضى أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي هذا شهرًا. . .**» إلى أن قال: «**ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام**» [حسنه الألباني في الجامع].

عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان إذا أتاه سائل أو طالب حاجة، قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء**» [متفق عليه].

قال الشيخ **عبدالرحمن السعدي** رحمه الله: «وهذا الحديث متضمن لأصل كبير، وفائدة عظيمة، وهو أنه ينبغي للعبد أن يسعى في أمور الخير سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء، وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجاتهم بهم؛ فإن كثيرًا من الناس يمتنع من السعي فيها إذا لم يعلم قبول شفاعته، فيفوت على نفسه خيرًا كثيرًا من الله، ومعروفًا عند أخيه المسلم، فلهذا أمر النبي ﷺ أصحابه أن يساعدوا أصحاب الحاجة بالشفاعة لهم عنده؛ ليتعجلوا الأجر عند الله،

لقوله: «**اشفعوا تؤجروا**» فإن الشفاعة الحسنة محببة لله، ومرضاة له، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] ومع تعجله للأجر الحاضر فإنه أيضًا يتعجل الإحسان وفعل المعروف مع أخيه، ويكون له بذلك عنده يد.

وقد ذكر لي أحد الإخوة الفضلاء أنه أتى للشيخ **عبد الرحمن الدوسري** رحمه الله ضحى يوم وذكر له حاجة في إدارة من الإدارات، فهز الشيخ رأسه ودخل البيت، قال الأخ: ثم عاد بعد قليل وآثار الوضوء على وجهه ويديه وقال: هيا، فذهب يقول: فأصابتني الحيرة وقلت يا شيخ، يكفي أن تكتب ورقة لفلان فهو يعرفك! قال: لا، هيا، وأصر رحمه الله على الذهاب حتى انقضت حاجتي، وتيسر أمري، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى.

١١٦ ـ يعين أهل المصائب، ويغسل الأموات، ويكفنهم، ويسعى في حاجاتهم، قال ﷺ: «**من غسل ميتًا فكتم غفر الله له أربعين مرة، ومن كفن ميتًا، كساه الله من سندس وإستبرق في الجنة، ومن حفر لميت قبرًا، فأجنه فيه أجرى الله من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة**» [رواه الحاكم، وصححه الألباني].

١١٧ ـ يوقظ جيرانه لصلاة الفجر؛ فهذه أعظم خدمة تقدم لهم، بأن يعينهم على الطاعة والعبادة، وهو الذي يطلب منهم ذلك ابتداءً. أنا أوقظكم وأطرق جرس بابكم، أو هاتفكم، فيزيل ما بهم من كسل أو خمول.

١١٨ ـ يتعوذ بالله من برودة القلب وهوان الدين عليه، والإعراض عن نصرته، والذب عنه، والدفاع عن أحكامه وتعاليمه! البعض يدافع عن قريته أعظم في دفاعه من الدين! لذا تثور ثائرتهم إن استهزأ مستهزىء بقريتهم، لكن الإسلام يسخر بتعاليمه ويستهزأ بأوامره ولا حراك!

قال **أبو الوفاء بن عقيل**: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلاتنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما أنظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة، وهذا يدل على برودة الدين في القلب».

١١٩ ـ يؤلف جيرانه، ويجمع بينهم، ويحسن إليهم، ويذكرهم بخصالهم الطيبة، ويحسن إليهم بالكتاب، والشريط، وإهداء الطعام، ومتابعة الزيارة دون التكلفة الشاقة عليهم، بل هو كنسمات الصباح الجميلة يهب حينًا ثم يغيب ليعود بأحسن وأبهى حال.

١٢٠ ـ تمثل قول **الحسن** في حياته، وبدأ يجاهد نفسه في ذلك: «رحم الله عبدًا جعل العيش عيشًا واحدًا، فأكل كسرة، ولبس خلقًا بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، ابتغاء الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك».

١٢١ ـ الدمعة لها شأن، فإن كانت من مؤمن في خلوة فلها شأن أعظم، إذا تذكر ذنوبه وتفريطه وعظم المطلع والجزاء والحساب سالت مدامعه على وجنتيه.

قال **عبدالرحمن بن يزيد**: قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني إلا في الحمام لكنت حريًا أن لا تجف لي عين، فقلت له: فهكذا، أنت في خلوتك؟ قال: وما مسألتك؟ قلت عسى الله أن ينفعني به، فقال: والله، إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي، فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي، ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا.

١٢٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم المهمات، وأفضل

القربات ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهو يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر في بيته، ومقر عمله، وفي الشارع، وفي المساجد، وفي كل مكان يصل إليه، ثم هو يذكر بهذا الواجب، ويركز على القيام به والدعوة إلى تطبيقه واقعًا عمليًا قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» [رواه مسلم].

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «ومن لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق، والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضًا لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً».

١٢٣ ـ لا يتباهى بعمله، ولا يجعل العجب يدخل قلبه، يرى عمله قليلاً في جنب الله عز وجل..

قال **ابن عون**: «لا تثق بكثرة العمل؛ فإنك لا تدري أيقبل منك أم يرد، ولا تأمن ذنوبك؛ فإنك لا تدري أكفرت عنك أم لا؟ إن عملك مغيب عنك كله».

١٢٤ ـ سريع العودة والتوبة، ويسره سماع قول النبي ﷺ: «**يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فلها عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها، أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**» [رواه مسلم].

١٢٥ ـ يمطر الخير على صحيفته استغفارًا متتاليًا متتابعًا، فالأجر ميسور،

بحركة سهلة من لسانه وبلا أدنى مشقة يستغفر! قال ﷺ: «**من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار**» [رواه البيهقي، وحسنه الألباني].

١٢٦ ـ يقرِّب المساكين، ويدنو منهم؛ فذلك أقرب إلى الإخلاص ورقة القلب، فكان **الحسن بن علي** رضي الله عنهما: يمر بالسُّؤَّال وبين أيديهم كسر، فيقولون: هلم إلى الغذاء يا ابن رسول الله، فكان ينزل، ويجلس على الطريق، ويأكل معهم، ويركب ويقول: إن الله لا يحب المستكبرين.

١٢٧ ـ للصدقة وقع غريب في قلبه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً يتصدق وينفق! إن رأى فقيرًا أو مسكينًا، أو صاحب حاجة ناوله ما تيسر!

مكث **أبو الحسين النوري** عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفتين ويخرج ليمضي إلى السوق، فيتصدق بالرغيفتين، ويدخل المسجد، فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغدى في بيته، ومن هم في بيته عندهم أنه قد أخذ معه غذاءه وهو صائم!

١٢٨ ـ ينفق أحب أمواله إليه؛ امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ويتذكر إنفاق أبو بكر رضي الله عنه ماله كله لهذا الدين!.

كلما مر زمن اختار لباسًا جديدًا فكساه عارٍ، وطعامًا جيدًا فقدمه لفقير!

كان **أويس القرني**: «إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم قال: «اللهم من مات جوعًا فلا تؤاخذني به، ومن مات عريًا فلا تؤاخذني به».

وكان يقول في دعائه: «اللهم إني أعتذر إليك من كل كبد جائعة وبدن عارٍ، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني، وليس لي شيء من الدنيا إلا على

ظهري».

١٢٩ ـ سلامة الصدر من الغل، والحقد، والكراهية، والحسد مطلب شرعي عظيم، عن سفيان بن دينار قال: قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا، قال: قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم.

١٣٠ ـ سمت همته إلى العليا.. يريد مرافقة النبي ﷺ أنعم بها من رفقة وأعظم به من رفيق وصاحب، في نعيم وحبور، عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «**أو غير ذلك؟**» قال: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» [رواه مسلم].

١٣١ ـ يحذر من التشبه بالكفار، ويتذكر قول اليهود في النبي ﷺ: «**ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا، إلا خلفنا فيه**» [رواه مسلم].

ويذكر دائمًا من يراه بحديث النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» [رواه أحمد].

ويكرر دائمًا على لسانه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين، وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم».

١٣٢ ـ يداوي نفسه وأبناءه بالصدقة، كلما نزل مرض أسرع إلى مضاعفة

صدقته، قال ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**».

قال رجل **لابن المبارك**: يا أبا عبد الرحمن، قرحة من ركبتي خرجت منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع العلاجات، وسألت عنها الأطباء، فلم أنتفع بهم، فماذا أفعل؟ قال: اذهب فانظر موضعًا يحتاج الناس للماء فاحفر بئرًا، فإنني أرجو من الله أن يمسك عنك الدم، ففعل وبريء الرجل.

١٣٣ ـ وطن نفسه على الالتزام الجاد، فقد علم أن المؤمن لا يليق به أن يكون إمعة يسيء مع المسيئين، ويسير حيث اتجه الآخرون، بل له وقفة وعودة وخطى ثابتة، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم».

١٣٤ ـ يسر بالضيف المؤمن، ويسارع إلى إكرامه فهذا من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويحرص على أن لا يأكل طعامه إلا تقي؛ امتثالاً لأمر النبي ﷺ، ويعلم أن الله أكرم الناس في هذا الزمن وأغناهم، وليست حاجتهم إلى الطعام، لكنهم في حاجة إلى بسط الوجه ولين الجانب والفرح والسرور بزيارتهم فهذا ما يحتاجه الضيف اليوم.

١٣٥ ـ يحرص على مصافحة إخوانه؛ لعل الله عز وجل أن يغفر خطاياه قال ﷺ: «**ما من مسلمين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه، إلا كان حقًّا على الله أن يحضر دعاءهما، ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما**» [رواه أحمد].

١٣٦ ـ يرتب جدوله ليلة الجمعة بعدم السهر؛ حتى يستيقظ مبكرًا، ويفرغ نفسه للعبادة ذلك اليوم، فإذا صلى الفجر جلس في المسجد حتى تطلع الشمس راجيًا ثوابًا ذكره النبي ﷺ: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة**»

[رواه الترمذي].

ثم يبكِّر إلى صلاة الجمعة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً: «**غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع، ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

١٣٧ ـ يسير في الدنيا وفي كل موقف يتذكر الآخرة، إن رأى زحام الناس تذكر الحشر، وإن صعد جسرًا معلقًا تذكر الصراط!

قال **ابن القيم**: «فهمَّة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلا ذكر الآخرة، وكل من شغله شيء فهمته شغله، ألا ترى أنه لو دخل أرباب الصنائع إلى دار معمورة رأيت البزار ينظر إلى الرش، ويحرز قيمته، والنجار إلى السقف، والبناء إلى الحيطان، والحائك إلى النسيج المخيط، والمؤمن إذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر، وإذا رأى مؤلمًا ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا، ذكر نفخة الصور، وإن رأى الناس نيامًا ذكر الموتى في القبور، وإن رأى لذة، ذكر الجنة، فهمته متعلقة بما تمَّ، وذلك يشغله عن كل ماتمَّ.

١٣٨ ـ يعمل في أوجه الخير بلا كلل ولا ملل، فهو لا يعرف أرجى أعماله عند الله عز وجل قال ﷺ: «**إن رجلاً رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش، فأخذ خفه، فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له، فأدخله الجنة**» [رواه البخاري].

١٣٩ ـ الحج ركن من أركان الإسلام، والبعض في هذه الديار بلغ من العمر عتيًا ولم يحج، بعضهم جاوز العشرين، والثلاثين، والأربعين، ولم يحج. وعن عبد الرحمن بن سابط يرفعه: «**من مات ولم يحج حجة الإسلام، لم يمنعه مرض حابس، أو سلطان جائر، أو حاجة ظاهرة، فليمت على أي حال، يهوديًا أو نصرانيًا**».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فلينظروا كل من له جده ولم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين» [رواه البيهقي].

لذا يسارع إلى من عرف أنه لم يؤد فريضة الحج ويحثهم على الحج، ويسهل الأمر، ويقوم بالحجز لهم في حملات الحج وإن اضطر أن يسافر معهم حتى يتيسر لهم الحج ويسقط عنهم الركن الخامس من أركان الإسلام.

١٤٠ ـ الرجل القدوة عملة نادرة وصفة مفقودة، إلا في القليل من الخلص؛ لأن الرجل القدوة أشد على أعداء الله من كل عدة. . ولذلك لما تمنى الناس ذهبًا ينفقونه في سبيل الله، كانت كلمة عمر رضي الله عنه: «ولكني أتمنى رجلاً مثل أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله».

١٤١ ـ قامت وسائل الإعلام بحرب لا هوادة فيها لتحديد النسل وتقليل عدد المسلمين، لكن مرجعه الذي يسمع منه ومنبعه الذي يروى منه ليس أولئك، بل هو قول الله، وقول الرسول الكريم ﷺ، فقد قال: «**تزوجوا الولود الودود؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**».

وفرح بوعد الله عز وجل إذ أحسن تربية الأبناء على الاستقامة قال ﷺ: «**إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب، أنى لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك**» [رواه أحمد].

وتأمل في أجر عظيم يجب احتسابه قال ﷺ: «**من ابتُلي من البنات بشيء، فأحسن إليهنَّ كنَّ له سترًا من النَّار**» [رواه مسلم]، والإحسان إليهن بالطعام والكسوة، وقبل هذا تعليمهن شرائع الإسلام وإبعادهن عن مواطن الفساد.

١٤٢ ـ حديثه لأبنائه عن الجنة ونعيمها . . هل تريدون يا أحبابي نخلة في الجنة، لا نحتاج إلى فأس ومسحاة، قال ﷺ: «**من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة**» [رواه الترمذي] ثم يذكرهم بين الحين والآخر بهذا النخل الذي غرسوه في الجنة فتشتاق أنفسهم لرؤيته ويسعون إليه.

١٤٣ ـ قل من يحافظ على السنن الرواتب مع عظم أجرها، وحين أراد بيتًا في الجنة كل يوم سعى إلى المداومة والمحافظة عليها قال ﷺ: «**من ثابر على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة دخل الجنة، أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر**» [رواه النسائي] في رواية لمسلم «**إلا بنى الله له بيتًا في الجنة، أو إلا بني له بيت في الجنة**».

١٤٤ ـ كلما دعته نفسه إلى أمر من أمور الدنيا، تذكر قول الرسول ﷺ: «**ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا: كمثل راكب قال في ظل شجرة، ثم راح وتركها**» [رواه أحمد].

لذا يعمل للدنيا والآخرة، ويستعين بالنية الصالحة في تحصيل معاشه ورزقه، قال **يحيى بن معاذ**: «لست آمركم بترك الدنيا، آمركم بترك الذنوب، ترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحوج منكم إلى الحسنات والفضائل».

١٤٥ ـ يمطر المطر دعاءً، واستغفارًا للمؤمنين والمؤمنات؛ محبة لهم ورجاءً، وثواب عمله قوله ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**» [رواه الطبراني] فكم عدد المؤمنين والمؤمنات؟

١٤٦ ـ يتذكر القبر وظلمته، والحساب وكربته، لذا يردد دائمًا: «أعوذ بالله من عذاب القبر»، ويتذكر بين الحين والآخر والدمعة تلازمه أهوال القبر

وأحواله، ثم البعث والنشور، ثم الحساب والعقاب والمنصرف إلى الجنة أو النار، أهوال وأهوال يدعو الله عز وجل أن يهونها عليه وييسر له طريق النجاة والخلاص بمنه، وجوده، وكرمه.

١٤٧ ـ من محبته لإخوانه المسلمين يدعو لهم بظهر الغيب، فإذا رأى أخاه المسلم مع أبنائه وسره منظرهم، اتبع ذلك بالدعاء لهم بالصلاح والفلاح، وإذا رأى أخًا آخر تزوج ألح في الدعاء لهم بالصلاح والفلاح، وإذا رأى أخًا آخر تزوج ألح في الدعاء بأن يجعل زوجته من الصالحات القانتات، وإن يجمع بينهما في خير، وإذا رأى صاحبه اشترى منزلاً أو سيارة سرَّ بذلك؛ لأنها من علامات الخير التي تعين بإذن الله على الطاعة، عندها دعا له أن تكون مباركة عليه، وأن تكون عونًا على الطاعة، وإن وقعت عينه على أخت محجبة أطال في الدعاء لها بالثَّبات، والتوفيق وبالجنان والرحمة، قال ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**» [رواه مسلم].

١٤٨ ـ قال ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه**» [رواه أحمد]؛ ولذا يسعى إلى الدلالة على الخير، والحث عليه، ونشره بين أصحابه ومعارفه؛ لينقذهم من النار وليرفع درجاتهم في عليين، أليس خير الأصحاب من يدل على أعظم منزلة وأرفع مكانة في جنات النعيم.

قال **بلال بن سعد**: «أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله خير لك من أخ لكما لقيك وضع في كفك دينارًا».

١٤٩ ـ يسعى لتحصين نفسه من الشرك بحضور محاضرات، وندوات العلماء؛ رغبة في حصوله على الأمن والهداية قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

١٥٠ ـ يقدم لآخرته ما استطاع ويبذل أطيب أمواله صدقة في سبيل الله، بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنًا له اشترى خاتمًا بألف درهم، فإذا آتاك كتابي، فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن، واتخذ خاتمًا بدرهمين، واجعل فصه حديدًا حينيا واكتب عليه: رحم الله أمرءًا عرف قدر نفسه.

١٥١ ـ حتى يقطع الأمر على من يفتون بغير علم، جعل في جيبه ورقة صغيرة تحمل أسماء العلماء وهواتفهم، وأرقام جوالاتهم، وإن جلس في مجلس ذكر الأرقام والأسماء، وإن كان هناك سؤال يطرح وتصدى له من يجيب: قال يا أيها الإخوة، هذه أرقام الجوالات للعلماء والمفتين، حتى لا نقع في ما حرم الله عز وجل من الفتوى بغير علم.

١٥٢ ـ لا يستفيد من معرفة الناس له ومحبتهم إليه، وأنه يعمل في المؤسسة الخيرية، أو أن ظاهره الاستقامة ليفسح له ويقدم على غيره.

قال الحسن: «كنت مع ابن المبارك يومًا، فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر»!

واليوم البعض يشتري بدينه! أنا أعمل في المكان الدعوي؛ حتى يخفض له أو يزاوله أو...!

قال بشر بن الحارث: «لا أعلم رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح».

وقال: «لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس».

١٥٣ ـ يمطر الخير مطرًا على الأخوة ويعلم أنه «لو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة» لذا لا يقر له قرار،

وهو يعلم أن هناك شحناء بين اثنين . . فهو يسير إلى الأول يذكره بفضل المسامحة وسلامة الصدر، ويأتي الثاني ويذكر له أن الأول يثني عليه ولا يجد في قلبه عليه شيئًا، حتى يصلح بينهما: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟** قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة**» [رواه الترمذي].

١٥٤ ـ يعين إخوانه المسلمين بالصدقة والقرض الحسن، مساعدة لهم في محنهم وكربهم، وإذا أقرض أحدهم أنظره، فلا يلح ولا يشح، علها أن تجري مجرى الصدقة في الأجر، قال ﷺ: «**من أنظر معسرًا، فله كل يوم صدقة قبل أن يحلَّ الدين، فإذا حلَّ الدين، فأنظره بعد ذلك، فله كل يوم مثليه صدقة**» [رواه الحاكم].

١٥٥ ـ سمحٌ في البيع والشراء وعدم المشاداة؛ حتى لا يوغر الصدور وتظهر محبة الدنيا، ولعل في ذلك أن يبرز المسلم المستقيم بصورة العفيف النزيه، قال ﷺ: «**رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى**».

١٥٦ ـ أيقن أن أساس كل خير: أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه، فشكر عليها، وتضرع إليه أن لا يقطعها عنه، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فيبتهل إليه أن يحول بينه وبينها، ولا يكله إلى فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسه.

١٥٧ ـ الصوم عبادة عظمية أحبها وقام بها، فهو يصوم تطوعًا ما استطاع إلى ذلك سبيلاً دون أن يعلم أحد ودون أن يبلغ الجميع بأنه صائم، قال ﷺ:

«**من صام يومًا في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**» [متفق عليه].

ودائمًا يدعو الله عز وجل ويحسن الظن بربه أن يدخل من باب الريان قال ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال لهم: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**» [متفق عليه].

١٥٨ ـ تأمل قول الله عز وجل: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وفيها إشارة إلى الشفقة والإكرام، ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دون صاحبه التقي بل يتنغص لفراقه، ويستوحش بانفراده، إنه الأخ الذي يذكر بحق الله، ويعين على الطاعة، ويحذر من المعصية.

كان **عبد الله بن المبارك** إذا عزم على الحج يقول لأصحابه: من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأت بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه، فيأخذ منهم نفقاتهم، ويكتب على كل صرة اسم صاحبها، ويجعلها في صندوق، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب، وحسن الخلق، والتيسير عليهم، فإذا قضوا حجتهم يقول لهم: هل أوصاكم أهلوكم بهدية؟ فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المدنية، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت، وابيضت أبوابها، ورمم شعثها، فإذا وصلوا إلى البلد عمل وليمة بعد قدومهم، ودعاهم فأكلوا، وكساهم، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه، وأخرج منه تلك الصرر، ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم!

١٥٩ ـ يتأدب بالأدب الحسن في المجالس، فهو يفسح لإخوانه، ولا يتصدر المجلس، بل يجلس حيث انتهى به! ولا يكثر من تتبع أحوال الناس وخاصتهم!

قال مجاهد: «لا تحد النظر إلى أخيك، ولا تسأل من أين جئت؟ وأين تذهب؟».

ويتخير مجالس كبار السن فهم أهل الحكمة والعقل! قال أبو عمر بن العلاء: «رآني سعيد بن جبير وأنا جالس مع الشباب، قال: ما يجلسك مع الشباب؟ عليك بالشيوخ!

١٦٠ ـ تمثل في واقع حياته قول الحسن: «إن المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله عز وجل وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفجؤا الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك عن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات، هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، ما لي ولهذا؟ والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله، إن المؤمنين قوم لله، أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عز وجل يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.

١٦١ ـ خطم نفسه بخطام التواضع، وزمها بزمام الانكسار بين يدي الله عز وجل وعلم أن العبد كلما زيد في عمله زيد في تواضعه وكلما زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله، زيد في سخائه وبذله، وكلما زيد في قدره وجاهه، زيد في قربه من الناس، وقضاء حوائجهم والتواضع لهم، سخر نفسه ذليلة منكسرة تزداد قربًا لله عز وجل، وحسرة على ما فات، وندمًا على ما اقترفت من المعاصي.

١٦٢ ـ أقض مضجعه حديثًا سمعه قال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا:

المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**» [رواه مسلم].

١٦٣ ـ يعلم أنه ضعيف مسكين، يرجو رحمة ربه، ويخاف عقابه.. يكثر من الدعاء لنفسه؛ موافقة لما جاء في الحديث القدسي: «**كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**» فهو يلح ويطرق باب السماء كل حين عسى الله عز وجل أن يجيب دعاءه.

١٦٤ ـ استبق الخيرات، وجعل نصب عينيه حديث النبي ﷺ وبين الحين والآخر يعمل ما استطاع قال ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علَّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، أومصحفًا ورثه، أومسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته**» [رواه ابن ماجه].

وبدأ بالمتيسر فأوقف مصحفًا ونشر علمًا، إما بالتعليم والتدريس، أو بتوزيع كتب العلم على العامة والمكتبات، وتصدق بما تيسر من ماله في حياته، وسعى لإصلاح ولده، وأخذه على الطريق المستقيم، ونوى بناء المسجد وبدأ يجمع له!

١٦٥ ـ واثق من نصر هذا الدين، يبشر بذلك ويدفع الانهزامية، والخور، والضعف عن الناس، ويستشهد بقول الرسول ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والتمكين**».

لكن يعلم أن من شروط النصر تحقيق متطلباته ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

ويعلم أن كربة أمة الإسلام إلى زوال والحرب ضد الإسلام قديمة لا جديد فهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن ظن إدالة أهل الكفر على أهل الإسلام إدالة تامة فقد ظن بالله ظن السوء».

١٦٦ ـ صاحب ذل وخضوع، وانطراح بين يدي الله عز وجل، قال ابن القيم رحمه الله: «فليس شيء أحب إلى الله من هذه الكسرة، والخضوع، والتذلل، والإخبات، والانطراح بين يديه، والاستسلام له، فالله ما أحلى قوله في هذه الحال: أسألك بعزك وذلي ألا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي وبغناك وفقري إليك هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه».

١٦٧ ـ يرفع نفسه عن سفاسف الأمور ودنيئها، فالأشرار يتبعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة في الجسد، ويترك الصحيح منه! لذا نزه لسانه وعفت أذنه عن سماع وقول الغيبة، وأكل لحوم الناس.

قال ابن القيم رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

قال: «فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب».

١٦٨ ـ يحفظ من كتاب الله عز وجل ما تيسر، وجعل له في كل يوم جزء يقرؤه ولا يدعه!

قال ابن القيم رحمه الله: «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر، والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة، والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وتذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح».

١٦٩ ـ جعل بيته واحة إيمانية تحفها الرحمة، وتتنزل فيها الطاعة.. قام من الليل ما تيسر له، ثم أيقظ زوجته؛ لتأخذ نصيبها من صلاة الليل!.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» [رواه أحمد].

١٧٠ ـ أنس بالقرب من الطاعة، والقيام بها، والبعد عن المعصية، والخوف من الوقوع فيها، إن استغنى الناس بالدنيا، استغنى بالله وطاعته ومحبته، وإن فرح الناس بالدنيا فرح بالله عز وجل وتوفيقه وإن أنسوا بأحبابهم

وأصحابهم جعل أنسه بالله عزو وجل، وإن تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم؛ لينالوا العزة والرفعة، تعرف إلى الله وتودد إليه وانقاد لطاعته وذل جبهته خضوعًا وطاعة، وبذلك تنال غاية العز والرفعة.

١٧١ ـ قال **عبدالله بن داود**: كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه، أي كان لا ينام طول الليل، يسبح، ويصلي، ويستغفر، يستدرك ما مضى من عمره، ويستعد لما أقبل من أيامه.

١٧٢ ـ أخذ نفسه بالتواضع، ونبذ الكبر فكله شر، قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» [رواه مسلم].

قال **ابن تيمية** رحمه الله: «التكبر شر من الشرك، فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى والمشرك يعبد الله وغيره!

قال **يحيى بن كثير**: «رأس التواضع ثلاث: أن ترضى بالدون من شرف المجلس، وأن تبدأ من لقيته بالسلام، وأن تكره المدحة والسمعة والرياء بالبر».

١٧٣ ـ بدأ يراجع سنوات عمره، فإذا بها سريعة، تقوده إلى الكبر والشيخوخة، فاستثمر نشاطه وقوته وصبره وصحته في العمل للآخرة، وقال: اليوم أستطيع أن أعمل للدعوة، وأقف أصلي وأصوم.. غدًا ربما أسقط طريح الفراش لمرضٍ أو لكبرٍ فهيا إلى المسارعة!

كانت **صفية بنت سيرين** توصي فتقول: «يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب».

١٧٤ ـ لما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه

الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل للآخرة أكثر منه نافسه، وحاول اللحاق به بل مجاوزته، فكان تنافسهم في درجات الآخرة، واستباقهم إليها كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين]، ولما سمع الآية وحال الصحابة، بدأ يربي نفسه، ويحرك جوانحه على السير في هذا السباق؛ لعل الله أن يتقبل منه.

١٧٥ ـ أذل نفسه لله عز وجل وأظهر افتقاره وحاجته لربه عز وجل فهو يخشى أن يمن على الله بعمل عمله أو جهد بذله.

قال **بعض العلماء**: «آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه استحسان شيء منها فقد أهلكها، ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور».

١٧٦ ـ تحرى المال الحلال، وابتعد عن الشبه فيه! قال **إبراهيم بن أدهم**: «ما أدرك من أدرك، إلا من كان يعقل ما يدخله جوفه».

لذا وقف على كل ريال يدخل جيبه، وكل لقمة تدخل جوفه، لأن الحساب عسير.. قال **سميط بن عجلان**: «إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر، فكم يدخلك النار؟».

١٧٧ ـ الهم منصرف إلى الآخرة، لذا فهو زاهد في الدنيا وأخذ منها ما يكفي أيامه القصيرة ولياليه المتلاحقة حتى يدركه الأجل، قال **الحسن**: «والله لقد أدركت أقوامًا ما طوي لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر أهله بصنعه طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئًا فقط».

وكان الإمام **أحمد بن حنبل** إمام أهل الزهد يقول: «إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، ما أعدل بالفقر شيئًا».

الخاتمة

أخي الحبيب:

أراك قد انشرح صدرك بحبات المطر، وهي تلامس شفاف قلبك، وتدفعك إلى المسارعة والعمل، فاجعل لك نصيبًا منها، وإذا بلغك شيء من الخير فاعمل بـه ولو مرة تكن من أهله! فالدين يحتاج إلى رجال يخدمونه ويقومون به.

أخي المسلم:

أمطر الخير مطرًا، فالرب جواد كريم يقبل التوبة، ويغفر الزلة، ويجازي على القليل كثيرًا. . تقرب إليه ما استطعت إلى ذلك، وأبشر بخير وأجر، وروضة جنات فيها الحبور والسرور، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

جعلني الله وإياك من الدعاة إلى دينه، وغفر لنا، ولوالدينا، ولجميع المسلمين.

***

دليل المراسلة الإسلامي

الإهـــداء

لأصحاب الهمم العالية والقلوب الحية . .

إلى من ترفع بهم الأمة رأسًا . .

هذا حصاد نتاجكم . .

وليقر أعينكم حديث الرسول ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء . .**» [رواه مسلم].

المقدمة

الحمد لله الذي أبان طريق الدعوة ورتب الأجر والمثوبة لمن سار عليه، والصلاة والسلام على إمام الدعاة والمصلحين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فإن من نعم الله علينا أن يسر أمر الدعوة ولم يجعله مقتصرًا على العلماء والدعاة وطلبة العلم فحسب، بل جعل نصيبًا لكل من أراد ذلك بحسب جهده ومقدرته..

ومن أسهل وسائل الدعوة وأكثرها تأثيرًا وانتشارًا شراء وإرسال ونشر الكتب الشرعية.

وهذه الطريقة التي يستفاد فيها من الموارد المتاحة والظروف المتيسرة ليست بدعًا ولا اختراعًا فقد بدأت مع فجر الإسلام إذ أرسل الرسول ﷺ رسائل إلى كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم، وهاهم ولله الحمد أبناء الإسلام يقتفون الأثر ويسيرون على الخطا لنشر هذا الدين عن طريق إرسال الكتب، ويخصون بذلك فئة من شباب الإسلام يضعون أسمائهم وعناوينهم في المجلات طمعًا في المراسلة الفارغة فيصلون إليهم قبل أن تصلهم رسائل النصارى والفساق وغيرهم.. فأحببت أن أدل على هذه الطريقة وأوضح أسلوب عملها وأبرز أثرها حتى يهب الأحبة إلى القيام بهذا العمل لما فيه من الأجر العظيم والمثوبة الكبيرة.

جعل الله أعمالنا صوابًا خالصة لوجهه الكريم.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

قبل البداية

أيها الحبيب:

هذا العمل عمل دعوي بحت ووسيلة يسرها الله عز وجل لنشر العلم الشرعي ورفع الجهل وإيصال نور الإسلام إلى أرجاء المعمورة.

والدعوة طريق الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئًا**» [رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ في حديث يفرح القلب ويشحذ الهمة «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**» [متفق عليه].

إنها طريق دعوة وتبليغ رسالة.. طريق محمد ﷺ وصحبه الكرام وخيار الأمة وعلماءها ودعائها..

أيها الحبيب:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

لماذا هذا العمل

قد يستكثر أحد القراء ويتساءل . . ولماذا هذا العمل بالذات يركز عليه ويؤلف له كتاب وتفرد له صفحات وتُبرى له أقلام؟!

والحق مع القارىء في تساؤله، ولعلي أجيب باختصار على سؤاله لماذا هذا العمل بالذات لتتضح الصورة أكثر؟!

أولاً: أيها الأخ الحبيب، هذا العمل فائدته الدعوية عظيمة وسوف ترى ذلك بعد عدة صفحات من خلال الردود التي تَردُ إلى من قاموا بهذا العمل . . ثم إذا شاء الله عز وجل فيما ستراه أنت بالذات إذا بدأت هذا العمل أيضًا .

ثانيًا: سهولة تنفيذ هذا المشروع وتطبيقه، فكثير لا يستطيع أن يصعد المنبر أو أن يتحدث في وسط جمع من الناس والكثير أيضًا ليس له جهد دعوي إطلاقًا . . فحري به أن يقوم بهذا العمل .

ثالثًا: كثرة شباب الإسلام الذين يعانون من فراغ روحي يتمثل ذلك في رغبتهم في المراسلة والتعارف وهواية كثير منهم الرقص والموسيقى ومراسلة الفتيات!! فلا أقل من أن نصل إليهم برسالة أخوية فيها علم ووعظ وتذكير .

رابعًا: هذا المشروع لا يتطلب مهارات معينة ولا ثقافة واسعة ولا مستوى تفكير مرتفع بل الأمر سهل جدًا حتى الفرد العامي الذي لا يقرأ ولا يكتب يستطيع أن يقوم به .

خامسًا: هذه الوسيلة نتائجها سريعة وتكلفتها يسيرة لكل فرد على هذه الأرض وأخص بلاد الجزيزة والخليج ومن حباهم الله بالخيرات والنعم .

سادسًا: توفر الكتب وسهولة البريد والقبول العام لما يصل إلى الناس من بلاد الحرمين مدعاة إلى القيام بهذا العمل والتوسع فيه.

سابعًا: لا يغيب عن ذهن المسلم حالة العالم الإسلامي ومايعانيه من انحراف عقائد وانحلال أخلاق وقيام حرب فكرية صليبية معلنة.

ثامنًا: الأجر العظيم الذي رتبه الله عز وجل على القيام بهذا العمل مع يسره وسهولته.

تاسعًا: الأمانة العظيمة التي تحملها أهل هذه البلاد وأصحاب العقيدة الصحيحة نحو إرشاد إخوانهم المسلمين وكذلك دعوة الكفار إلى الإسلام.. فهذه الأرض مهبط الوحي ومنها خرج نور الإسلام ونحن مطالبون بالاستمرار على منهج الرسول ﷺ في تعليم الناس ورفع الجهل عنهم.

عاشرًا: قدوتنا ونبينا محمد ﷺ أرسل الرسائل لدعوة قيصر وكسرى وغيرهم ونحن نقتفي أثره في دعوة الناس عبر إرسال الكتب إليهم.

الحادي عشر: باستثمار هذه الوسيلة نصل بالكتاب الإسلامي إلى أناس بعيدين عن مواطن الخير وأماكن العلم فأكثرهم لا يعرف المساجد وبعضهم لا يحمل من الإسلام إلا اسمه!!

الثاني عشر: النصارى وأصحاب الملل المنحرفة امتطوا هذه الوسيلة وسيَّروا على ظهرها المؤلفات والمجلدات. واتخذوا من هذه الطريقة سلَّمًا يصلون به إلى ما يريدون وجندوا لذلك الأموال ووفروا لها الإمكانات الهائلة. فلا أقل من مدافعتهم وصد شرهم وتوضيح ضلالهم وانحرافهم.

الثالث عشر: إقامة الحجة وإبراء الذمة أمام الله عز وجل في تبليغ هذا

الدين ونشره.

الرابع عشر: حث الأقارب والمعارف على العمل لهذا الدين وبث الوعي الدعوي بينهم.

الخامس عشر: الاستفادة من أوقات الفراغ واستثمار جزء من وقت المرسل في تجهيز الرسائل وإشغال الأسر والشباب في عمل مفيد.

متطلبات العمل

١ ـ النية الصادقة والإخلاص لله عز وجل في هذا العمل فلا رياء، ولا سمعة، بل تجرد لله عز وجل، والنية أمرها عظيم فهي محك القلوب ونبراس العمل قال ﷺ كما في الصحيحين: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى. . .**» الحديث. فعليك بالنية الخالصة الصادقة لهذا العمل ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ونفع إخوانك ونشر الإسلام في كل مكان.

٢ ـ عناوين الأشخاص أو المراكز أو الدعاة المرسل إليهم.

٣ ـ الظروف البريدية.

٤ ـ يستحسن وضع استكرات لاصقة على الظرف لكتابة الاسم عليها وبالإمكان الاستغناء عنها والكتابة على الظرف مباشرة.

٥ ـ ختم جاهز يباع في المكتبات مكتوب عليه عبارة «مطبوعات» وبالإمكان الاستغناء عنه وكتابة العبارة بالبيد.

٦ ـ توفر الكتب المرسلة.

٧ ـ رسالة خاصة من المرسل تكتب مرة واحدة ثم تصور، وإذا كان الإرسال قليلاً فتكتب باليد.

٨ ـ الإرسال عبر مكاتب البريد أو وضعها في الصناديق البريدية مباشرة لمن لديه طوابع.

هذه هي متطلبات العمل وسأذكرها بالتفصيل في الصفحات التالية حتى يسهل تطبيقها والعمل بها مباشرة.

من أين تؤخذ العناوين؟

من أراد الخير يسر الله طريقه وفتح له أبوابه . . وبالإمكان الاستفادة من مجالات واسعة تحمل عناوين وأسماء الأشخاص المراد الإرسال إليهم ومن تلك الوسائل المتاحة :

١ ـ أركان التعارف في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية وبالإمكان طلب أعداد قديمة لسنوات مضت للحصول على عناوين بها لأن غالب الأشخاص لا يغير عنوانه في الخارج ، والمجلة الواحدة يوجد بها عادة من ٥٠ ـ ١٠٠ عنوان .

٢ ـ ركن الهوايات في الصحف والمجلات ومما يدمي القلب أن تجد شباب أمة الإسلام وهواياتهم الرقص أو سماع الأغاني وغيرها من حالات الضياع والإنحلال .

٣ ـ الطلب من المرسل إليه إرسال عناوين أقاربه في أنحاء العالم لكي تتم مراسلتهم .

٤ ـ البحث عن أدلة تعارف خاصة تحوي عناوين للمراسلة فقط بها مئات العناوين .

٥ ـ الاستماع إلى إذاعة القرآن الكريم وخاصة المجلة الإسلامية وتدوين عناوين من يطلبون كتبًا .

٦ ـ الاتصال بدور النشر لأنه يرد إليها كثير من الرسائل التي قد تهمل ولا يرد على طلبات أصحابها .

٧ ـ الاتصال بمكاتب الجاليات لوجود كثير من الرسائل التي ترد إليهم وقد لا يستطيعون الرد عليها كاملة.

٨ ـ أخذ عناوين من الوافدين إلينا وهم كثر ولو كل وافد سواء أكان مدرسًا أو خادمًا أو سائقًا سجل خمسة عناوين لأقاربه فكم نتوقع من العناوين سنحصل عليها!!

٩ ـ مجلات الأطفال التي بها عناوين للمراسلة وترسل كهدية للطفل ولوالديه.

١٠ ـ من أراد أن يراسل المراكز الإسلامية والدعاة وأئمة المساجد فعليه الاتصال برئاسة الإفتاء أو وزارة الشؤون الإسلامية وكذلك المؤسسات الخيرية للحصول على تلك العناوين.

١١ ـ لمن أراد مراسلة المكتبات العالمية ومدها بكتب عن الإسلام يستطيع الحصول على تلك العناوين عن طريق سفارات بلدانهم لدينا وأذكر أن مجلدًا واحدًا يحوي عناوين لأكثر من ١٢٠٠٠ مكتبة في كندا وأمريكا!!

١٢ ـ بالإمكان الحصول على الأدلة التجارية في كل دولة من سفاراتها وتتم مراسلة مدراء المؤسسات والشركات.

هذا التنوع في العناوين المرسلة يظهر أن المرسل له الحرية في الاختيار فمن أراد أن يرسل لفرد فالأمر ميسور ومن أراد أن يرسل لجمعية أو مركز أو داعية فالأمر تحت نظره وهكذا.

اللغات التي يمكن المراسلة بها

يمكن المراسلة بجميع اللغات التي توجد بها كتب متاحة ومتوفرة كاللغة العربية أو بلغات أخرى موثوقة في أمر الترجمة وهي ولله الحمد موجودة بكثرة عن طريق دور النشر أو مكاتب الجاليات ومن أهم اللغات وأكثرها انتشارًا.

١ ـ اللغة العربية.

٢ ـ اللغة الإنجليزية.

٣ ـ اللغة الفرنسية.

٤ ـ اللغة الأندونيسية.

٥ ـ اللغة الفلبينية.

٦ ـ اللغة التركية.

٧ ـ اللغة البنغالية.

وغيرها مما يتوفر له مادة إرسال موثوقه.

من يقرأ ما نرسل؟

كثير سوف يسأل هذا السؤال وربما يقول: لا نجد أحدًا يقرأ ما نرسل.. بل ربما تُهمل أو تلقى على قارعة الطريق.. وهذا ليس بصحيح على إطلاقه..

فبالتجربة ثبت أن عدد القراء فوق ما نؤمل.. نعم انظر إلى رسالتين! أو ثلاث.. وليهنك الفرح بأن رسالتك ستصل إلى أرض خصبة منبتة!!

وليعذرني القراء أن بعضها يركز على كتابي الزمن القادم وما ذكرتها هنا ـ يعلم الله ـ طلب شهرة أو غيرها.. بل هي مما توفر لدي، وأستغفر الله عز وجل أن يدخل قلبي رياء أو سمعة وأعوذ به أن أشرك به وأنا أعلم، وأستغفره لما لا أعلم.

كتاب يقرأه أكثر من خمسين شخصًا

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم إلى يوم الدين:

وبعد:

إخواني الأعزاء تحية خالصة من أعماق وجداني لكم بالتوفيق والفلاح من عند الله عز وجل لكم جميعًا لنشر الخير وهذه الرسالة السامية التي تقومون بنشرها وبرفع راية الإسلام وتعريف وتثقيف الشباب ومساعدتهم على معرفة دينهم على الطريقة الصحيحة والسليمة وأشكركم كل الشكر على هذه المطبوعات القيمة التي كنت سعيدًا جدًّا للغاية عند استلامي لهذه المطبوعات وأتمنى من الله عز وجل أن تداوموا على إرسال مثل هذا المطبوعات التي هي جميلة ومليئة بالمعلومات الجميلة الشيقة والممتازة ونشكركم جميعًا على هذا الإخراج وعلى مجهودكم الكبير في هذا، وللعلم فإنني قرأتهم وكنت أعيرهم لأصدقائي كل واحد أسبوعًا حتى يستطيع الاستفادة بالمعلومات القيمة التي نحصل عليها منها وقمت والحمد لله على هذا المنوال حتى قرأها حوالي خمسين صديقًا وسوف يقرأها أكثر من ذلك أيضًا وكل هذه حسنات تعود عليكم أولاً ثم علي ثانيًا، ولكم جزيل الشكر والاحترام والتقدير.

محجوز لمدة شهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

في البداية أود من خلال خطابي هذا أن أوجه لكم أصدق وأعمق تحية من القلب راجيًا من المولى عز وجل أن تصلكم رسالتي وأنتم بخير أدام الله ذلك عليكم . **وبعد:**

أرجو منكم أن تكونوا متذكرين وألا تكونوا قد نسيتموني فبعد أن أرسلتم لي مجموعة الكتب الصغيرة المتمثلة في «كنت قبوريًا، الزمن القادم الجزء الأول، العقيدة الصحيحة، ونواقض الإسلام، بعض الفتاوى القصار».

ولقد أرسلت لكم خطابًا أطلب فيه المزيد من هذه الكتيبات وبعض الأشرطة الإسلامية.

ولكن الذي دعاني إلى كتابة هذا الخطاب قبل أن أتلقى منكم الرد هو أنني قد ذهلت ودهشت جدًا وكذلك كنت سعيدًا جدًا لأنني عندما قدمت كتاب «الزمن القادم» الجز الأول لبعض الإخوة وجدت أنهم في تغير ولقد أثر فيهم الكتاب تأثيرًا بالغًا وبعضهم ولله الحمد أولاً ثم لكم تغيرت أفعاله وأصبح ولله الحمد يحافظ على فرائض الإسلام التي كان مقصرا فيها ولا أطيل عليكم في الكلام ويكفي أن أذكر لكم أن الكتاب «الزمن القادم» محجوز عندي لمدة شهر مقدمًا أي أن هناك إخوة وأصدقاء حجزوا دورهم في قراءة الكتاب لمدة شهر مقدمًا. ويوجد منهم إخوة وأصدقاء من خارج قريتي أي من قرى أخرى وأنا سعيد لذلك جدًا فالكتاب لقي من كل الإخوان والأصدقاء صدرًا رحبًا وأرجو أن ترسلوا لي نسخة أخرى من هذا الكتاب وتعجلوا بإرسال باقي النسخ وأنا بدوري سأقوم بإعطائها للإخوة ليقرأوها كما بينت لكم.

ولا أنسى أن أذكركم أنني في حاجة ماسة إلى بعض الأشرطة الإسلامية وفي الحقيقة يعجز قلمي عن ترجمة مشاعري نحو ما تقدموه من أعمال خيرية ولكن يبقى ذلك لكم عند الله تعالى ونرجو أن يكون عند الله في موازين أعمالكم.

ومني أرق تحية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

استجابة سريعة

أطال الله في عمرك وأمدك الله بالصحة والعافية، وجعلك الله خيرًا عونًا للإسلام والمسلمين في نشر الدين الإسلامي في بقاع الأرض، هذه هي الرسالة الثانية التي يرسلها ابنكم البار أسأل الله ذلك/ . . . . . أود أن أعرف فضيلتكم أنني قد أرسلت لفخامتكم رسالتي الأولى وكان الرد عليها بعض الكتب الصغير والتي تحمل بين دفتيها وطياتها العلم الكثير الذي يغفل عنه الناس، وأقسم لك بالله أنني قد وزعت على بعض الإخوة المحبين للعقيدة الصحيحة وكان رد الفعل مرضيًا لله ولرسوله ﷺ فكان من ضمن هؤلاء القراء رجل يحب الموالد وما يشبه ذلك من حب الأولياء المقبورين فلما قرأ الرسالة التي تحمل عنوان اعترافات كنت قبوريًا أقسم برب العزة أنه لا يذهب مرة أخرى هناك، وأيضًا كتاب التبرك المشروع والتبرك الممنوع فكان له رد الفعل عند بعض من قرأ هذه الرسالة وأيضًا كتاب ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت كان له رد الفعل على جار لي أقسم ألا تذهب زوجته العمل وتجلس في البيت وترتدي النقاب وأقسم ألا يدخن ولا يترك الصلاة ولا يدخل بيته إلا أهل الصلاح، وأيضًا كتاب من السيرة النبوية تعرف بعض القراء على بعض صفات وأخلاقيات ومعجزات الرسول ﷺ وتجنبوا البدع التي كانوا يشركون فيها عن جهل!

وأود أن أعرف فضيلتكم أنني من محبي العالم الجليل عبد العزيز بن باز والشيخ العثيمين. . إلخ الرسالة.

من أين تشتري الكتب؟

الكتب مبالغها زهيدة جدًّا وأخرها ولله الحمد قريب وفي متناول الجميع ويمكن الحصول عليها من عدة جهات : .

أولاً : من دور النشر وبعضها تمنح خصمًا خاصًّا للتوزيع الخيري يصل إلى ٥٠٪ من قيمة الكتاب وغالب تلك الكتب لا تتجاوز ريالاً واحدًا بعد الخصم .

ثانيًا : مكاتب الجاليات المنتشرة وغالبها يمنح خصمًا يصل إلى ٤٪ من قيمة الكتاب .

وليحتسب الأخ المسلم أنه بشرائه من تلك الأماكن يكون قد ساهم في دعمها وتمكينها من الاستمرار فكأنه ضرب عصفورين بحجر . . أرسل كتبًا ودعم دور ومكاتب دعوية . . وهذا فيه خير عظيم .

ثالثًا : الرئاسة العامة للإفتاء وتقوم بتوزيع الكتب مجانًا بعد تقديم طلب بذلك إليها وكذلك وزارة الشؤون الإسلامية ـ وكالة المطبوعات ـ والأولى أن يترك الأخ هذه الجهات لمن هم يستحقون ذلك ولا يجدون أموالاً كطلاب المنح والمراكز الإسلامية وغيرها .

رابعًا : الشراء بالسعر الأساسي من دور النشر والمكتبات الأخرى ولاشك أنه إذا رأى أصحاب تلك المكاتب والدور زيادة الإقبال عليهم سيسعون إلى زيادة وتنويع الكتب والمسارعة إلى ترجمة الكتب إلى لغات أخرى وهذا أيضًا خير آخر نساهم فيه دون أن نشعر .

خامسًا : من توسع لديه العمل بحجم كبير بإمكانه طباعة الكتب لتقل تكلفتها عن سعر الشراء بعد الاستئذان من المؤلف .

من يقوم بهذا العمل؟

يستطيع أن يقوم بهذا العمل كل فرد ذكر أو أنثى، متعلم أو جاهل. . كبير أو صغير. . سواء أكان منفردًا أو مع مجموعة أخرى فمثلاً:

١ ـ الرجل يستطيع القيام بذلك بمفرده حيث يخصص وقتًا قليلاً لهذا العمل الدعوي.

٢ ـ المرأة تستطيع أن تجهز الرسائل وتكتب العناوين ومن ثم تلّسمها إلى من يوصلها إلى البريد.

٣ ـ الأسرة بأعضائها تشارك في العمل مثل «النموذج المثالي للأسرة» انظر ص ٣٩.

٤ ـ المراكز الإسلامية بما فيها من إمكانات وطاقات وموظفين ومتعاونين.

٥ ـ مجموعة من الشباب أو «مجموعة من الشابات» يتقاسمون العمل بينهم وهذا أدعى للاستمرار والتواصل من الأعمال الفردية.

٦ ـ مراكز الدعوة والتجمعات الإسلامية. . وغيرها. .

٧ ـ كل مغترب إذا أرسل رسالة إلى أهله وأصحابه في بلده يرسل مع الرسالة كتابًا أو كتابين.

بداية الطريق

هناك نوعان من أنواع الإرسال:

الأول: إرسال رسالة لمرة واحدة فقط وهذه تصلح لمن لديه إمكانات متواضعة أو لا يجيد القراءة بلغة المرسل إليه عندما ترد الردود. لذا فهو يقوم بإرسال الكتب ولا ينتظر جوابًا، وكذلك من لا يملك صندوق بريد أو عنوانًا واضحًا فيكتفي بالإرسال لمرة واحدة وربما أكثر من رسالة لعنوان واحد بها مجموعات متنوعة من الكتب ولكنه لا ينتظر الرد من أصحابها.

الثاني: الإرسال المتتابع والمتوالي لرسالتين أو ثلاث أو خمس أو أكثر وهذا يجب عليه أن يرتب نفسه منذ البداية إما بوضع فهارس لأسماء المرسل إليهم يدويًا أو إدخالها بالكمبيوتر لأنه إذا أرسل الرسالة الأولى لعدد من العناوين سترد إليه ردود بكميات هائلة، ويجب لمن أراد أن يرسل إرسالاً متتاليًا أن يوحد أسماء الكتب المرسلة في كل رسالة حتى يعرف ماذا أرسل في الأولى وفي الثانية وهكذا.. أو أن يسجل عند كل اسم عناوين الكتب التي أرسلت إليه حتى لا يكون هناك تكرار في كتب الرسائل الأخرى لنفس العنوان.

ويرفق من أراد أن يرسل أكثر من رسالة بطاقة مشابهة للبطاقة أسفل الصفحة حتى تعاد إليه مع الرد فلا يحتاج إلى البحث عن الاسم بل بالرقم الموجود وهذا أسهل.. ويفضل أن تكون بطاقة التعريف الأولى بلون معين والثانية بلون آخر والثالثة بلون ثالث حتى يسهل فرزها عند ورودها مع الردود.

نموذج بطاقة تعريف

الظـــروف

وهي التي توضع فيها الكتب وأفضل المقاسات خاصة لإرسال الكتيبات الصغيرة هو مقاس ٢٥×١٧,٥ سم ويكون لونه بني وهو الأنسب للرسائل وبالإمكان شراء ١٠٠٠ ظرف بـ١٢٠ ريالاً تقريبًا من محلات ومكتبات الجملة، ولكي تحصل على تخفيض في الإرسال ضع كلمة مطبوعات على الظرف وتوجد أختام في المكتبات بعشرة ريالات بها كلمة مطبوعات ويلاحظ أن يقص أحد أركانه حتى تظهر الكتب لمن أراد أن يراها كرجال البريد.

ولكتابة اسم وعنوان المرسل إليه توجد استكرات لاصقة يوضع عليها الاسم والعنوان وبالإمكان إدخالها في برنامج الكمبيوتر والطباعة عليها مباشرة.

ولمن أراد أن يضع لاصقًا أبيض ليكتب عليه الاسم والعنوان فهو متوفر ورخيص الثمن فعدد ١٠٠٠ استكر لاصق بسعر ٣٨ ريالاً فقط.

وبالإمكان أن تقوم شركة الملصقات بطباعة اسم الدولة واسم المرسل إليه على نفس الملصق حسب النموذج الموضح أدناه.

أما طريقة إغلاق الظرف فهي بشكل عادي، إسفنجة بها قليل من الماء تمر على الغراء الموجود في الظرف ثم تضغط باليد حتى يتلاصق الظرف.

نموذج لظرف جاهز

نموذج لرسالة أولى

تحوي هذه الرسالة النموذجية الكتب التالية :

١ ـ العقيدة الصحيحة للشيخ ابن باز .

٢ ـ الزمن القادم أو الميلاد الجديد أو العائدون إلى الله .

٣ ـ حصن المسلم للشيخ القحطاني .

٤ ـ من أحكام الصلاة للشيخ ابن عثيمين ، للمرأة يستبدل بكتاب «أحكام تختص بالمؤمنات» للشيخ الفوزان .

وإذا كان المرسل إليه مثلاً في بلد ينتشر فيها السحر يرسل بدل العقيدة الصحيحة رسالة حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين للشيخ ابن باز .

أما إذا كان البلد المرسل إليه فيه قبور وشركيات فيرسل كتاب التبرك المشروع والترك الممنوع للعلياني ، وهكذا .

ويرسل مع هذا بطاقة تعريف ورسالة أخوية حتى يعلم المرسل إليه الهدف من الرسالة وتكون صيغتها كالنموذج الموضح في الصفحة التالية .

الأخ الفاضل/ . . . . . وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فعلى الرغم من بعد المسافات بيننا وعدم معرفتنا الشخصية بكم.. إلا أننا نلتقي بكم على التآخي في الله.

ويشرفني أن أتقدم إليكم بهديتي المتواضعة مجموعة من الكتب المرفقة، آملاً أن تجد لديكم قبولاً وأن ينفعكم الله بها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أخوكم المحب

. . . . . .

البريد

يحسن إرسال الرسائل للبريد في غير أوقات الزحام فترسل مثلاً في وسط الأسبوع ويفضل أيضًا الصباح لقلة المراجعين لديهم، وتوجد مراكز بريدية في أحياء متفرقة من المدن.

وبالإمكان شراء الطوابع والسؤال عن قائمة أسعار البريد وتصويرها لكي يوضع على كل رسالة الطوابع المطلوبة وغالبًا البلدان العربية تحتاج إلى طوابع بسعر ٦ ريالات للدول العربية، ويلاحظ محاولة الحصول على خصم خاص بحكم أن المرسل هو مطبوعات، ويستحسن أن يكون حامل الرسائل شخصًا ثابتًا حتى يتعرف عليه موظفو البريد ويعينوه في إرسال رسائله.

وتكلفة الرسائل البريدية التي تحمل ٤ كتيبات لغالب الدول غير العربية لا تتجاوز ٩ ريالات فقط وللإرسال بالبريد مميزات عديدة منها:

١ ـ تكلفته القليلة التي يستطيع أن يتحملها كل فرد ولله الحمد.

٢ ـ بإرسال كتب العلماء والدعاة قمنا بنقل علمهم وكأن علماءنا ذهبوا إلى تلك الديار للتدريس والفتوى هناك.

٣ ـ يصل البريد إلى مناطق نائية وبعيدة عن مواطن الخير.

٤ ـ يصل البريد إلى مناطق يندر فيها الكتاب الإسلامي بل لا يوجد إطلاقًا.

٥ ـ دخول الرسالة إلى منزل المرسل إليه لها وقع طيب في النفس وتعطي مجالاً لقراءتها وتبقى مدة في يد المرسل إليه بخلاف الموعظة أو الخطبة مثلاً.

٦ ـ الكفار وأصحاب الأفكار الهدامة والعقائد الباطلة استثمروا هذه الطريقة واستفادوا منها لنشر كفرهم وضلالهم فلا أقل من مدافعتهم ونشر دين الله عز وجل.

٧ ـ قبول كثير من الناس لما يصل إليهم من هذه البلاد ومن علمائنا ولله الحمد والمنة.

٨ ـ غالبًا تصل الرسالة إلى المرسل إليه في منزل يحوي على أقل تقدير خمسة أفراد وكل هؤلاء سيطلعون على الكتب ويستفيدون منها فما بالك إذا قاموا بإهدائها إلى معارفهم وجيرانهم وأصدقائهم وهذا نراه كثيرًا في الردود التي تصل، ولعلك قرأت من ضمن الردود أن بعض الكتب وجد أنها وضعت للإعادة وقائمة الإعارة هذه عليها أسماء تطلب قراءتها لمدة شهر.

الرسالة الأندونيسية

مع رغد العيش الذي نعيشه في هذه البلا يفد إلينا عشرات الآلاف من دول مختلفة ومن هؤلاء الجالية الأندونيسية التي يقارب عددها المليون فرد ما بين خادم وخادمة وسائق وموظف وغيرهم.

وأندونيسيا دولة استوحشها المد التنصيري بقوة بل إنهم يفاخرون أن أندونيسيا المسلمة سوف تتحول إلى دولة نصرانية عام ٢٠٠٠م، وهذا إن شاء ليس بصحيح ولكنه يتطلب منا جهدًا ونصرة لإخواننا هناك.

وغالب من هم تحت أيدينا من الأندونيسيين يرسلون رسائل شهرية ويقومون غالبًا بإيصالها بأنفسهم أو عن طريق آخرين، فلو أرسلنا مع كل رسالة كتيبًا واحدًا فقط فمعنى ذلك أنه سوف يصل مع مليون رسالة مليون كتيب وهذا فتح ونصر.

فما بالك إذا طلبنا من السائق أو الخادمة إعطاءنا عشرة عناوين لأقاربه ونقوم بوضع رسائل لهم فيها كتب تحوي العقيدة الصحيحة وكيفية الصلاة وغيرها.

وكتب اللغة الأندونيسية ولله الحمد متوفرة لدى مكاتب الجاليات وبسعر يقارب من الريال الواحد فقط، فلو أرسل مع كل رسالة كتيب عن العقيدة وآخر عن السحر «لانتشاره هناك» وآخر عن الحجاب وهكذا لأمكن لكل كفيل أن يرسل إلى أقارب مكفولته شهريًا.

٥ رسائل× ٣ كتب= ١٥ كتيبًا.

وفي السنة ١٢ شهرًا× ١٥ كتيبًا= ١٨٠ كتيبًا.

وفي العدد الموجود لدينا من الوافدين الأندونيسيين= ١٨٠مليون وافد = ١٨٠مليون كتيب.

ولو حذفنا للمقصرين والنائمين نصف العدد بل ثلاثة أرباعه لبقي ولله الحمد رقمًا لا يستهان به.

وبالإمكان تطبيق ما قيل عن اللغة الأندونيسية على اللغة الفلبينية، والبنغالية والسيرلانكية وغيرها..

نموذج لأسرة دعوية

هذا مقترح لعمل أسرة تقوم بهذا العمل وهي مكونة من زوج وزوجة وأطفالهم:

١ ـ الأب يقوم بكتابة العناوين بخط واضح ثم يسلم الظرف إلى الزوجة، وبالإمكان كتابة العناوين على مدى أسبوع في كل يوم خمسة عناوين فقط لتكون العناوين مكتوبة جاهزة نهاية الأسبوع.

٢ ـ تقوم الزوجة بتعبئة الظرف بالكتب.

٣ ـ يقوم الصغار بتغليف الظروف ومن ثم تجهيزها في مكان الإرسال، ولكي نقوم بتجهيز ٢٠ رسالة مثلاً فإن الوقت المبذول لإتمام هذا العمل أقل من ١٥ دقيقة لهذه الأسرة المباركة، ولو خصصت هذه الأسرة يومًا في الأسبوع ليكن صباح يوم الجمعة مثلاً فإنها سترسل في الشهر ما يقارب من ٨٠ رسالة تحمل ما لا يقل عن ٣٢٠ كتابًا، وهناك من يستطيع أن يرسل شهريًا أكثر من ٥٠٠ رسالة حسب مقدرته وطاقته أما المؤسسات الخيرية فإن بعضها تجاوزت إرساليته من تلك الرسائل ٤٠٠٠ رسالة شهريًا كمؤسسة الحرمين الخيرية بالرياض.

الكتب المرسلة

الكتب التي ترسل هي عماد الرسالة كلها ويشترط لذلك شروط مهمة .

الأول : هو المادة العلمية التي يجب أن تكون جيدة ومتكاملة وسهلة .

والثاني : اسم المؤلف فإن بعض المؤلفين لهم قبول عند الناس .

والأمر الثالث : هو وزن الكتاب وحجمه لكي تكون أجرة إرساله بالبريد معقولة .

وينبغي أن يكون هناك توازن في الكتب المرسلة، وغالب الرسائل تحمل الواحدة منها أربع كتيبات تفي بالغرض من الإرسال ويكون فيها أقصى فائدة للمرسل إليه ولذا يفضل أن تكون منوعة في العقيدة والعبادات والأذكار والرقائق حتى نحقق أكبر قدر ممكن من الفائدة .

وسوف أطرح اقتراحًا لأربع رسائل متتالية :

الرسالة الأولى للرجال:

١ ـ الدروس المهمة لعامة الأمة أو العقيدة الصحيحة لابن باز «وهذه كتب في العقيدة» .

٢ ـ حصن المسلم وهو كتاب أذكار وحجمه مناسب للحفظ في الجيب .

٣ ـ كتاب التوحيد للفوزان وهو كتاب عقيدة وفيه تفصيل سهل وواضح .

٤ ـ الزمن القادم أو العائدون إلى الله إو الميلاد الجديد أو أي كتيب فيه ترقيق للقلب خاصة للعصاة والغافلين .

الرسالة الأولى للنساء:

١ ـ الدروس المهمة لعامة الأمة أو العقيدة الصحيحة لابن باز .

٢ ـ حصن المسلم .

٣ ـ كتاب التوحيد للفوزان .

٤ ـ الزمن القادم ويضاف كتاب الرسائل والفتاوى النسائية .

الرسالة الثانية للرجال:

١ ـ من أحكام الصلاة لابن عثيمين .

٢ ـ محرمات استهان بها كثير من الناس للمنجد .

٣ ـ فتاوى في العقيدة لابن باز .

٤ ـ كنت قبوريًا للجداوي .

الرسالة الثانية للنساء:

١ ـ محرمات استهان بها كثير من الناس ـ المنجد .

٢ ـ إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله ـ ابن باز .

٣ ـ فتاوى النظر والخلوة والاختلاط ـ مجموعة من العلماء .

٤ ـ فتاوى في العقيدة لابن باز .

الرسالة الثالثة للرجال:

١ ـ الأصول الثلاثة ـ محمد بن عبد الوهاب .

٢ ـ أريد أن أتوب ولكن ـ المنجد .

٣ ـ والثمن الجنة ـ القسام .

٤ ـ كيفية صلاة النبي ﷺ ـ ابن باز .

الرسالة الثالثة للنساء:

١ ـ الأصول الثلاثة ـ محمد بن عبد الوهاب .

٢ ـ أريد أن أتوب ـ المنجد .

٣ ـ ٦٠ سؤالاً في الطهارة ـ ابن عثيمين .

٤ ـ ٧٠ مخالفة تقع فيها النساء .

الرسالة الرابعة للرجال:

١ ـ كشف الشبهات ـ محمد بن عبد الوهاب .

٢ ـ فتاوى مهمة لعموم الأمة ـ الفارس .

٣ ـ كلمات متنوعة ـ الحمد .

٤ ـ كيفية صلاة النبي ﷺ ـ ابن باز .

الرسالة الرابعة للنساء:

١ ـ كشف الشبهات .

٢ ـ فتاوى مهمة لعموم الأمة ـ الفارس .

٣ ـ كلمات متنوعة ـ الحمد .

٤ ـ المؤمنات ـ الفوزان .

ويلاحظ على هذه الرسائل والكتب المرسلة ما يلي :

١ ـ التدرج مع المرسل له في نوعية الكتب ومادتها .

٢ ـ احتواء كل رسالة على كتيب أو أكثر في العقيدة وكتاب في الرقائق خاصة الرسالة الأولى وكتاب في الأذكار وآخر في العبادات.

٣ ـ ترسل إلى بعض الدول كتب عن التحذير من الشركيات والبدع الموجودة لديهم، فتخص دول بكتب عن السحر، وأخرى عن الطواف على القبور والنذر على عتباتها وهكذا.

٤ ـ تترك حرية اختيار الكتب للمرسل حسب ما يراه وحسب توفر الكتب الموجودة ولكن لا تخلو رسالة من كتاب عن العقيدة فهي المهمة وهي التي عليها مدار الإسلام.

٥ ـ هذه الكتب لا خوف عليها ولله الحمد فهي تقرأ وتهدى وتباع هناك ووجودها في تلك الأيدي فيه خير كثير، فما بالك إذا أهديت أو بيعت، ولا ضير في ذلك إن شاء الله، حتى تصل إلى أكبر عدد ممكن.

كتب مقترحة إضافية

١ ـ الصوفية	محمد جميل
٢ ـ التمائم في ميزان الإسلام	العلياني
٣ ـ التبرك المشروع والممنوع	العلياني
٤ ـ العقيدة الإسلامية	محمد جميل
٥ ـ مصدر تلقي العقيدة	المحمود
٦ ـ مجمل أصول أهل السنة	العقل
٧ ـ الولاء والبراء	الفوزان
٨ ـ من تشبه بقوم	العقل
٩ ـ حكم تارك الصلاة	ابن عثيمين
١٠ ـ رسائل في الطهارة والصلاة	الباز ـ العثيمين
١١ ـ التحذير من البدع	ابن باز
١٢ ـ سلسلة أين نحن من هؤلاء؟	القاسم
١٣ ـ بطلان عقائد الشيعة	التونسي
١٤ ـ رسالة الحجاب مع الحوار	ابن عثيمين
١٥ ـ تكريم المرأة في الإسلام	محمد جميل
١٦ ـ ٣٣ سببًا للخشوع في الصلاة	المنجد

١٧ ـ الإبداع في كمال الشرع	ابن عثيمين
١٨ ـ وسائل الثبات على دين الله	المنجد
١٩ ـ العروة الوثقى	القحطاني
٢٠ ـ الخطوط العريضة	الخطيب
٢١ ـ فتاوى مهمة تتعلق بالعقيدة	ابن باز
٢٢ ـ الحجاب لماذا؟	محمد إسماعيل
٢٣ ـ أختاه قفي	الغامدي
٢٤ ـ حاشية الأصول الثلاثة	عبد الرحمن بن قاسم
٢٥ ـ أخي الحبيب قف	الغامدي
٢٦ ـ أختي المسلمة من أمرك بالحجاب؟	
٢٧ ـ أحكام كشف الوجه والزينة والاختلاط	

نقاط

هذه نقاط سريعة قد يكون في ذكرها فائدة وهي خلاصة تجربة كثير من الإخوة العاملين في مجال المراسلة . .

١ ـ من الأفضل إرسال هواتف العلماء وعنوان رئاسة الإفتاء لدينا نظرًا لحاجة كثير من الناس لها، وبما أن هذه الورقة المرسلة سوف تكون خلفيتها بيضاء فإن طبع بها فوائد علمية أو موعظة أو غير ذلك فذلك جهد متمم ومشكور .

٢ ـ إرسال معلومات عن برنامج نور على الدرب وهيكله إذاعة القرآن الكريم ويمكن أخذ هيكله ومقدار ذبذبات الإرسال من إذاعة القرآن الكريم وفي هذا ربط لهم بإذاعة القرآن الكريم لأنها أكثر دوامًا واستمرارًا من الرسائل .

٣ ـ يفضل إرسال نشرات ومطويات عامة قبل المواسم مثل مطويات عن فضل رمضان، وكذلك عن حكم الاحتفال بالموالد، وغيرها، ويسبق الإرسال موعد تلك المناسبة بفترة حتى تصل قبل أن تقام فمثلاً ترسل الرسائل التي بها مطويات عن شهر رمضان في نهاية شهر رجب وبداية شهر شعبان .

٤ ـ ربما تصلك مع الردود أمور لست ملزمًا بها أو هي على حسب استطاعتك ومنها طلب مساعدة مالية وطلب تأشيرة للعمل بالمملكة أو للدراسة في إحدى جامعاتها وهكذا . . وإن كان العمل مستمرًا لديك فلابد من كتابة ورقة اعتذار لطيفة وتجهيزها وإرسالها لمن يراد الاعتذار منه وكذلك تجهيز ورقة بها عناوين الجامعات الإسلامية لمن يطلبها، كما وأنه يجب ملاحظة أن بعض المرسل إليهم يحتاجون إلى نوعية خاصة من الكتب فمن لديه مشكلة عائلية

يرسل له كتاب عن الصبر ومن كان له موقف مع والده يرسل له كتاب عن بر الوالدين ومن هو على وشك الزواج يرسل له كتاب عن آداب الزواج وحسن العشرة . . الخ . وهذا يغني عن كتابة حلول لمشاكلهم تلك .

٥ ـ الكتب الفقهية التي ترسل لابد أن يراعى فيها مذهب المرسل إليه هل هو شافعي أم حنفي أم حنبلي ، وهذه المذاهب بعض أهلها متعصبون مثل أهل الباكستان وغيرهم .

٦ ـ ترسل أذكار الصباح والمساء وأذكار ما بعد الصلاة ، مع كل رسالة عدد يقارب العشر نسخ أو أكثر حتى يقوم المرسل إليه بتوزيعها على أقاربه وجيرانه وتكون منطلقًا لإعلامه بما وصله من كتب فتكون هي مجال حديثهم وفي ذلك خير كثير . وأسعار الأذكار لكل ١٠٠٠ نسخة أقل من ١٠٠ ريال وهي بحجم الجيب .

٧ ـ أنت تعمل في مجال الدعوة إلى الله عز وجل فلا تقحم نفسك في أمور سياسية أو غيرها في بلد المرسل إليه ، بل هدفك وصول العلم الشرعي النافع فحسب ، وتجنب أن تأخذ أو تعطي مع بعضهم في هذه الأمور التي لا فائدة من ورائها .

٨ ـ سوف تصلك رسائل كثيرة تطلب المشاركة في إرسال قيمة الكتب التي وصلتهم ، وهذا دلالة على حبهم للإسلام وتعطشهم لهذه الكتب . . فرغم إمكاناتهم المتواضعة وحالة غالبهم الضعيفة إلا أنهم لما رأوا أثر تلك الكتب فهم يرغبون المزيد ولو بمبالغهم القليلة .

٩ ـ لمن أراد الاستمرار في إرسال أكثر من رسالة له الخيار بإرسال ورقة اختبار بها أسئلة عن مادة الكتب المرسلة على طريقة الصح والخطأ تسهيلاً

لتصحيحها.

١٠ ـ عند نهاية جميع الإرساليات الأربع أو الخمس تمنح شهادة تقدير مطبوعة بالكمبيوتر عليها اسم المرسل إليه وذلك لتأكيد المحبة وحثهم على القراءة المتأنية الدقيقة، وتختم هذه المراسلة بإرسال مجموعة أكبر من الكتب ذات المستوى الأعلى للفائزين والفائزات.

١١ ـ ربما تصلك أسئلة شرعية من المرسل إليهم فاعرضها على العلماء عندنا ومن ثم أرسلها أو أرسل كتابًا يحوي الموضوع كاملاً فمثلاً سؤال عن الطهارة للمرأة أرسل أحكام الحيض والنفاس لابن عثيمين وهكذا، ولكن لا تهمل هذه الأسئلة إطلاقًا.

١٢ ـ هناك إخوة عرب مسلمون في أوروبا وأمريكا وأستراليا وغيرها يجب النظر إليهم والتركيز في الإرسال لهم حتى لا يذوبوا في تلك المجتمعات.

١٣ ـ تعتبر مؤسسة الحرمين الخيرية بالرياض رائدة لهذا العمل ولديهم خيرة طويلة في هذا المضمار فيفضل لمن أراد الاستزادة عن هذا العمل زيارتهم والوقوف على إنتاجهم وطريقة عملهم، ويلاحظ القارىء أنني استفدت من تجربتهم في هذا الكتاب.

لمن لا يستطيع القيام بهذا العمل

هذا العمل الدعوي سهل وميسور ولكن ربما يوجد بعض أناس لا يستطيعون القيام به لأسباب خاصة بهم ولكن لا يمنع ذلك من مشاركتهم لهذه المشاريع على النحو التالي:

١ ـ إشاعتها والتعريف بها والحض على القيام بها في أوساط مجتمعاتهم وأسرهم ومدارسهم.

٢ ـ الدعاء للقائمين عليها بالتوفيق والسداد والأجر والمثوبة.

٣ ـ التبرع لمن يقومون بهذا العمل بشراء كتب أو أظرف أو غير ذلك.

٤ ـ التبرع النقدي للمؤسسات الخيرية التي تقوم بهذا العمل.

٥ ـ مد العاملين في هذا المجال بالعناوين، وكذلك بأسماء الكتب التي يرونها مفيدة وإسداء النصح والملاحظات على عملهم لتطويره وتنظيمه.

التنصير

استهدف التنصير الأمة الإسلامية واستفاد من جميع الوسائل الحديثة. . فأنشأوا لذلك الإذاعات وأقاموا المراكز المتخصصة والموجهة لتنصير المسلمين عبر جميع الوسائل، والبريد أحد تلك الوسائل التي استعملها التنصير بقوة وبدعم مالي كبير فهم يرسلون إلى جميع العناوين التي تقع تحت أيديهم بل ويرسلون بسخاء وعدم شح. . نعم يرسلون كتبًا مكلفة في طباعتها وشحنها وذات أوراق فاخرة جميلة ولا يتوقفون عند ذلك بل يطلبون من المرسل إليه إرسال ما يريد من الكتب وأسمائها. . ويلحون عليه في طلب الإفصاح عن حاجته النفسية أو الصحية حتى يقوموا بمساعدته وينظمون رحلات سياحية لمن استمر معهم وهكذا. . وإليك أيها الحبيب نماذج من ذلك!!

نماذج تنصيرية!!

كسب القلوب ومحاولة التنصير أو التشكيك!!

لايتركون أحدًا

كل ما وقع تحت يديهم من عنوان سارعوا إلى مراسلته والمسلمون نائمون . . وبعضهم لا تزال هوايته الرقص والموسيقى ! !

دروس في الكفر لأبناء المسلمين!!

دروس بالمراسلة

مواضيعها الكتاب المقدس وحياة المسيح

وذلك مجانًا

إذا رغبت في مزاولة هذه الدروس فابعث بهذه البطاقة

في غلاف ذي طابع بريدي إلى :

T.A.K.

B.P. 2083

13203 Marseille Cedex

(يفضل بالفرنسية وبأحرف مطبعية)

الاسم : . . . . . .

العنوان الكامل : . . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

العمر : . . . . . .

سنة : . . . . . .

اللغة : . . . . . (العربية أو الفرنسية)

أنت مستهدف

ولست وحدك الهدف.. بل كل من حولك!! وهم لا يكتفون بضحية واحدة.. بل بالمزيد من أمة محمد ﷺ

في كل مكان هم!!

على مر العصور

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقد تلين بعض القلوب!!

إخواني في هذه المؤسسة:

إنني إنسان أمازيغي مغربي مسلم أؤمن بالله وأعيش في وسط مليء بالتناقضات فهذه المدينة انتشرت فيها كل الموبقات كما ذكرت في آخر رسالة، وأنني أطلب منكم أن ترسلوا لي مجموعة أخرى من الكتب، وإنني أخبرك بأن الكتب التي تصلني منكم بعد أن أقرأها أوزعها على زملائي في الدراسة لكي يطلعوا عليها ولقد فكرت لأن أقدمها لخزانة المؤسسة التي أدرسها لتعم الفائدة أكثر فالكتب الإسلامية نادرة.

فيا إخواني الأوفياء:

إنني أود منكم أن ترسلوا إليَّ كتابًا يتحدث عن الإسلام والخصائص التي تميزها عن الأنظمة الاقتصادية الوضعية «الرأسمالية والشيوعية» وعن علاقة الشريعة بالحكمة.

وأريد منكم أن ترشدوني بخصوص رسالة توصلت بها من مبشر مسيحي يقطن بأسبانيا «قاديس» يدعى «أبو بطرس» أخبرني فيها أنه مستعد ليرسل إلى دروسًا إنجيلية مجانية ومجلة مسيحية بها ركن التعارف لكسب أصدقاء جدد، وأخبرني بأنه مستعد ليحل لي أية مشاكل إذا كنت أعانيها «نفسية، اجتماعية وروحية»، فكيف أتصرف؟! وإذا راسلته فهل ارتكبت إثمًا؟

وختامًا: لم يبق لي إلا أن أقول لكم: تقبلوا مني أزكى السلام وأغلى التمنيات بدوام الصحة لكم وبطول العمر، وبالسعادة في الدنيا والآخرة.

إمضاء صديقكم وأخيكم في الله

وإذا وصل النور بدد الظلام!
فالله الله في أبناء الأمة ونسائها!!

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

بسم الله أبدأ وعلى رسوله الصلاة والسلام سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد :

لا أعرف كيف أشكركم إخواني في لجنة نشر الكتاب الإسلامي من مؤسسة الحرمين الشريفين على الكتب القيمة الغنية في محتواها التي أرسلتموها لي بعد إلحاحي في طلبها مع رسالة الخير إلا أن أقول لكم بعد بسم الله الرحمن الرحيم «والله لا يضيع أجر المحسنين» صدق الله العظيم .

فأنتم بأعمالهم الخيرية تجاه ديننا الحنيف تنتشلون شبابنا من الآفات كالمخدرات والخمر والانحراف والاعتداء على شرف الناس ومن الضياع والتمزق، هذه الحالات التي أشغلتها الدوائر التبشيرية في أوروبا لاستخراج الشباب الذي يعاني من الفراغ الروحي ويفتقد إلى التربية الإسلامية، وقد استعملت في هذا الإطار الإذاعات التبشيرية والبعثات معتمدة على الاغراءات المادية حينًا وعلى جهل الشباب حينًا آخر بدينهم .

وأصدقكم القول إذا قلت لكم إنني من بين الذين راسلوا هذه الإذاعات التبشيرية في مونتي كارلو بموناكو، ولكن هدفي كان غير هدف ضعفاء الإيمان والحمد لله وإنما كنت أود الحصول على كتاب الإنجيل المحرف للإطلاع على محتواه، وعندما تحصلت عليه أرسلت إليهم أسئلة تعجيزية فكانت الإجابة غير منطقية، وعندما توقفت عن مراسلتهم أصبحوا يراسلونني ويطلبون مني المراسلة والمشاركة، لهذا أشكر لكم مجددًا مبادرتكم تجاه ديننا الحنيف الذي

حفظه الله من التحريف وأرجو أن تقبلوني كصديقة لكم وأنا في انتظار ردكم على أحر من الجمر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يمنة ويسرة

من التفت يمنة ويسرة وتأمل في حال العالم الإسلامي يجد العجب العجاب. . فجيوش الشرك غزت الأمة بأشكال متعددة وأساليب متنوعة، فمن طواف بالقبور واستنجاد بالمقبور إلى ذبح على عتباتها وتبرك بمقاماتها، أماسوق العرافين والكهنة فقد راج سوقه وازدهرت بضاعته عطفًا وصرفًا وأذى.

وإن رفعت رأسك لترى تلك السحابة التي أظلت الأمة فهي دعوة نصرانية أمطرت سحبها وأزهر شوكها.

أما الصوفية فقد ضربت أطنابها وأحكمت غزلها في نسيج الأمة التي تناثرت البدعة على اختلاف أنواعها على جوانبه وبدت على أطرافه، وإن سألت عن الولاء والبراء فحدث عن البحر ولا حرج.

أما الضياع وجهل الأحكام الشرعية فهي كالشمس في رابعة النهار. . وإليك بعض رسائل تحكي واقعًا مرًّا لحال المنتسبين للإسلام!!

نـمـــــاذج

نـمـــــاذج

نـمـــــاذج

نـمـــــاذج

نـمـــــاذج

نـمـــاذج

نـمـاذج

نـماذج

نماذج

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام ورحمة الله وبركاته

إخوتي في مؤسسة الحرمين الخيرية/ . . . . . .

تحية إسلامية ملؤها الإخلاص والمودة أرسلها لكم راجيًا من الله أن تكون في أحسن حال وأرسل لكم رسالتي هذه لأشكركم على الكتب التي أرسلتموها لي، ولكم كانت قيمة مما تحمل من معاني وإرشادات. . والله كانت من أشد الأمور التي كانت تحيرني وأريد معرفها علمًا إني اقتربت لله وللطريق المستقيم بعد عمر ٢٠ سنة قضيتها في الضياع ولكن منذ أن أتيت لموريتانيا وبدأت أتلقى كتبكم التي كان لها الأثر الأكبر في هدايتي ورشدي.

وأخيرًا وليس بيننا بآخر.

سلامي لكم وجعلكم من الصالحين ويرزقكم الله جناته.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاة والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

إخوتي في الإسلام بعد أن وصلتني هذه المجموعة من الكتب القيمة فإني والله حقًا استفدت منها كثيرًا ورغم صغرها فهي تحوي الكثير وإني حقًا أدعو الله عزوجل أن يوفقني أن أكون من إخوانكم ولكن هذا لن يتأتي لي إلا بعد أن أعرف وأقرأ من كتاباتكم أكثر لأن عندي كثيرًا من الأسئلة والاستفسارات عما يحدث هنا في مصر من زيارة الأضرحة والأولياء وما يحدث من تصرفات الناس بالنسبة لهم وهناك بعض الكلام المقنع وبعض الدلائل من القرآن يستشهد بها هؤلاء الذين يزورون القبور وذلك لأن منهم الدكاترة والأساتذة والعلماء فلذلك أتمنى أن تمدونني بالكثير وأن أعرف عنكم أكثر لأني والله لأجد طريق التوحيد والإسلام الحق بإذن الله على أيديكم والله ولي التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم في الله

. . . . . .

الحمد لله وأفضل الصلاة وأتم السلام على خير الأنام سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه السلام.

حقيقة تجمد فكري وماتت الكلمات فوق شفتي، ولا أدري ماذا سأقول أو ماذا سأكتب..

كانت رسالتكم مفاجئة جدًّا ولم أكن أتوقعها أبدًا، وبعد قراءتها أو قراءة الكتب التي بعثتم لي بها عرفت أنها نداء إلي من عند الله سبحانه وتعالى وأنها ستكون سبب الهداية والعودة إلى الطريق الصحيح.. العودة إلى الحق.. فشكرًا لكم على ذلك.

إخواني الأعزاء:

إننا مجموعة من الشباب المسلمين نعيش هنا بإيطاليا، ففينا الملتزم وفينا العاصي أي المنحرف عن الطريق، ومعظم تعاليم الإسلام مبهمة بالنسبة لنا، رغم أننا مسلمين ولكننا لا نعرف إلا الشيء القليل عن الإسلام.. وحين نتقابل مع أناس مسيحيين من إيطاليا طبعًا ويفتحون معنا حوارًا دينيًّا ويطرحون علينا بعض الأسئلة فإننا لا نستطيع إجابتهم أو الرد على هجومهم على الإسلام ولأننا لا نعرف شيئًا عن الإسلام هذا من جهة ومن جهة أخرى لسنا متطلعين في اللغة الإيطالية أي أن ثقافتنا محدودة حيث أنهم يسألوننا مثلاً لماذا حرم لحم الخنزير فلا نستطيع الرد، ولماذا محمدًا ﷺ له الكثير من الزيجات فلا نستطيع الرد، ويقولون إن القرآن مكتوب من اليهودية والمسيحية فلا نستطيع الرد عليهم وأنا شخصيًّا أواجه فترة عصيبة من حياتي وتنقصني الحجة ولست مهيئًا للرد عليهم لذلك أطلب منكم أن تمنحوننا وتزودوننا بالمزيد من المعلومات عن الإسلام سواء بالكتب أو الأشرطة ونحن مستعدون لدفع تكاليف المراسلات، وأطلب منكم

إن كان ذلك ممكنًا طبعًا إرسال بعض الندوات أو دروس تعرف بالدين الإسلامي باللغة الإيطالية أو كتبًا إسلامية مترجمة إلى اللغة الإيطالية نستطيع بواسطتها الدفاع عن الإسلام، إننا نتوفر على جهاز الفيديو لكن جميع الأشرطة التي نتوفر عليها فهي أفلام مصرية.. وأغاني عربية أو غربية ولا نحصل على أي شريط إسلامي كما أن خزانتنا تشكو من عدم توفيرها على الكتب والمجلدات الإسلامية.

إنني مسلم بالفطرة، أي أؤدي الفرائض كما كان يؤديها والدي أي أنني أصلي وأصوم وحتى الزكاة فإني لا أعرف كيف تكون.. وبالمناسبة أسألكم عن شيء مهم جدًا وهو أكل لحم البقر أو الغنم المذبوح من طرف الإيطاليين وهل هو حلال أو حرام؟ وهل يكفي ذكر اسم الله عليه أم يجب تجنبه؟ وفقكم الله وأمد في عمركم وجزاكم خيرًا.

إلى الله المشتكى

تأمل في حاله!! وقد أرسل رسالة باللغة الفرنسية اسمه عبد الله وينتسب إلى الإسلام ويطلب أن يرسل له: القرآن والحديث والإنجيل باللغة الفرنسية والعربية!!

نعم لا يفرق بين القرآن والإنجيل!!

يظن أن الإنجيل من كتب المسلمين، فأين أنت عنه؟ فربما سبقك منصر إلى قلبه!!

وسارعـــوا

لسنا أيها الحبيب مطالبين بتتبع النتائج والحرص على ذلك ولكننا مأمورون بالتبليغ والدعوة إلى الله عز وجل وإن حصل ورأينا الأثر فلعل ذلك مما يفرح النفس ويجعلها تضاعف جهدها . . ولعله إن شاء الله من عاجل البشرى . .

أيها الأخ الحبيب:

سبقك إلى هذا الجهد أفراد وأسر ومؤسسات . . وإليك بعضًا من نماذج الردود الواردة لهم . . التي تحرك همك وتشد أزرك وتجعلك تسارع إلى البدء في مشروع المراسلة الإسلامي . . وستقطف الثمار إن شاء الله مثلما قطفها هؤلاء وحسبك فرحًا استجابة قول الله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بلغوا عني ولو آية**» [رواه البخاري].

فسارع أيها الحبيب ولا تقف المشاغل أو الأعذار في طريق هدايتك للناس فإن الأمر ميسور ولله الحمد . . ولا يتطلب إلا دقائق معدودة ومبلغًا يسيرًا . . كم من كافر تدله على الإسلام؟! وكم من عاص تبين له طريق الحق؟! وكم من مسلمة تتخطفها الشياطين جاءت رسالتك إليها فكانت سببًا لفلاحها وصلاحها؟!

هذه الرسالة قرأت على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز فتأثر!!

بسم الله الرحمن الرحيم

ألمانيا الاتحادية يوم ١٦/ ١١/ ٩٢

تحية مباركة أحيي بها الإخوان الكرماء الفضلاء، الداعون إلى الله، تحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إخواني في الله.

لا يمكن أن أكتب ما يدور في عقلي، بل لا يمكن لأحد أن يتصور أنها انفعالات أمواج لا أعرف ماذا، لقد اتصلت بالكتيب الصغير «الكتيبات» خاصة كتاب الزمن القادم، إخواني أنا شاب متغرب مراهق شاب (١٩ سنة) حائر لا أميل إلى هنا ولا إلى هناك بين كرسيين.

فقدت نفسي هويتي شخصيتي رأيت نفسي مثل الذي درس في أمريكا يريد الثقافة عن كل شيء ولكن نسي الله مثل الذي لا يصلي عليه إذا مات ولا يزوج به ولا يدفن مع المسلمين أكبر ويكبر معي بعدي عن الله حتى هذا المساء عندما وصلني البريد لم أهتم به ولكن عندما تصفحت الصفحة الأولى بل القصة الأولى بعنوان «الرحيل» وجدت نفسي أنني راحلاً آجلاً أو عاجلاً لا مفر كيف أرحل بلا زاد والطريق بعيد والزاد قليل إخواني ساعدوني أنقذوني جزاكم الله خير الجزاء هل يمكن أن ترسلوا لي كتبًا مثل هذه مفيدة وهل يمكن أن أحصل على غيرها لو أمكن حتى باللغة الألمانية إنني مستعد لأدفع تكاليف الكتب جزاكم الله خير جزاء على خدمتكم للإسلام والغرباء من المسلمين في بلاد الإلحاد والظلام ودمتم في رعاية الله وحفظه والسلام عليكم.

أخوكم فخار

نور الإيمان

سطيف ـ الجمهورية الجزائرية

إلى أرض الحرمين الشريفين ومهبط الوحي أحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

أما بعد:

إخواني في لجنة نشر الكتاب الإسلامي ها أنا أكتب لكم للمرة الثانية لأشكر الله أولاً ثم لأشكركم أنتم إخواني الساهرين على نشر كتاب الله في جميع أقطار العالم واعذروني للإطالة في كتابة إليكم وذلك لأنني ترددت في الكتابة لأنني لا أعرف ردة فعلكم إذا راسلتكم باستمرار ولما أنا أقتطع الشك باليقين وأسألكم هل بإمكاني مراسلتكم؟ ولكنني أكتب إليكم لأزف لكم خبرًا سيفرحكم إن شاء الله وتتأكدوا على إثره أن فائدة الكتب التي بعثتموها لي في المرة الأولى أتت بثمارها في عائلتنا المتواضعة والمتمثل في: لقد كان أخي قبل قراءته لكتبكم لم يكن يصلي ولا يذهب إلى المسجد ولم يكن يحفظ القرآن ولم . . الخ من أعمال ولكنه وبعد قراءته للكتب وخصوصًا كتيب «حكم تارك الصلاة» وبإذن الله أصبح شخصًا آخر فصدقوني لقد أصبح يصلي ولا يبرح المسجد إلا للعمل ويحفظ القرآن وصام شهر رمضان هذه السنة إيمانًا واحتسابًا بمعنى الكلمة ولا يزال يصلي إلى حد كتابة هذه الأسطر أرجو من الله أن تدخل هذه النتيجة السرور في قلوبكم كما فرحت أنا بها وسأعمل كل مجهودات لتوزيع هذه الكتب إلى من يحتاج إليها وأنا اليوم إذ أكتب لكم لأشكركم أولاً إخواني على رغم بعد المسافة بيننا، وثانيًا لأقول لكم أفيدوني يفيدكم الله وابعثوا لي ما استطعتم من كتب ومصاحف وأشرطة دينية تدخل في نفوس كل من ينتظرها حبًّا أكبر لله وإيمانًا

أقوى يساعدنا للعمل لآخرتنا ولنجتاز مصاعب الدنيا وملاهيها الفانية: كما قال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن] صدق الله العظيم.

لا أريد إلا كتبًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أكرم رسله وأشرف خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد :

صراحة لا أدري كيف أبدأ لكم رسالتي هذه ولكني ترددت بالكتابة إليكم وكانت الظروف أقوى مني لذلك كتبت لكم رسالتي هذه وأملي فيكم كبير إن شاء الله .

أختكم في الله كنت ذات يوم مغنية وأكلت وشربت ولبست من نقود الغناء شهورًا تقريبًا سنتين دون حياء من الله وذات يوم وأنا في عملي في الليل طفأت الكهرباء خفت جدًّا سمعت امرأة كبيرة في السن تقول يا الله هكذا ظلام القبر ومن ذاك الوقت وأنا أفكر بالقبر وظلمته عزمت على الخروج من عملي كلمت أبي وأمي رفضوا كونني كنت أساعد والدي في مصروف البيت لأن ظروفنا صعبة جدًّا أحيانًا والله يمر علينا اليوم لا نجد ما نأكله أصريت وخرجت من عملي حبًّا لله ورسوله ومن هنا بدأت أزمتي حيث أنني لا أتمكن من شراء الأشرطة أو الكتب هذا لا يغني أن والدي يرفض إعطائي ولكني لا أستطيع إن أكلف عليه وأنا أدرك ظروفنا الصعبة لا أمتلك العباية الإسلامية والشرشف كون ثمنه غالي جدًّا لذلك لو تعرفون مؤسسات خيرية تساعدنني على ذلك أعطوني عنوانها لعلها تساعدني في ذلك وأما طلبي منكم فلا أريد إلا كتب تفسير وأحكام آيات القرآن لا أريد أن أدخل في العقيدة والإيمان لأنني وجدت صعوبة فهمه لأنني في بداية التزامي أخوات نصحوني بأن آخذ بكتاب الله ورسوله أولاً لا أمتلك تلك الكتب يا ريت تساعدوني أريد دراسة القرآن أولاً من تفسير وأحكام وسبب النزول .

ظروفي هذه تضغط عليَّ من كل ناحية ربما امتحان لي من عند الله سوف

أصبر إن شاء الله عندما التزمت ليس مظاهر بل أريد داخلي ينور من ذكر الله وذكر رسوله عليه الصلاة والسلام أريد أن أعرف الكثير عن الحلال والحرام تنمية لعقلي حتى أدرك ما الفرق بين الحلال والحرام تمر علينا أشياء كثيرة نتهاون بها وعندما أعملها عند أخت في الله تنبهني من ذلك كان بدعة أو حرام لدراستها وتعمقها للقرآن والأحاديث عرفت ذلك الشيء ولكن لجهلي أعمله ساعدوني في ذلك أغلب تصرفات حياتنا تصرفات بدع ولكننا لا ندرك أن ذلك بدعة لا أكلف عليكم.

شرحت لكم ظروفي كيف كنت وكيف أصبحت الآن وأنا أحب وأحترم نفسي الآن كثيرًا لأني حقًّا في الاتجاه الصحيح، وعفا الله عما سلف مني آمين يا رب العالمين.

طبعًا لو وصلني الرد منكم سيكون باسم والدي.

الشرك بالله

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار تذكر لأولي القلوب والأبصار وتنصرة لذوي الألباب والاعتبار الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فزهدهم في هذه الدار. أما بعد:

وكم يسرني ويسعدني في هذا اليوم السعيد أن أرفع قلمي وأكتب هذه الرسالة التي تحمل بين طياتها تعابير الاحترام والتقدير فأنا شابة مغربية من مواليد ١٩٨٠ ولدت في مدينة آسفي وأعيش وسط أسرة متواضعة الحال وتتكون من أبي وأمي وإخوتي ولقد تعرفت عليكم من خلال أخي قشار محمد جمال الذي بعثتم له تلك الكتب القيمة التي كانت سببًا في إرشاد أبي وهدايته إلى الطريق السوي فسأحكي لكم الحكاية، لقد كان أبي في كل عطلة صيف يذهب إلى السادات لكي نقضي العطلة هناك ولكنني كنت لا أريد لأنني كنت واعية ولا أريد الشرك بالله ولكن أبي وأمي يلحان الذهاب فأذهب ولكني لا أزور ولا تطأ قدمي باب ذلك السيد الذي يسمى «مولاي براهيم» فكانت أمي وأبي وأخي الصغير يزورنه في الصباح والمساء فيأتي أخي ويحكي لي ويقول لي بأن المكان كان مزدحمًا ومليئًا بالنساء تلك النساء اللواتي يطلبن شفعة هذا السيد المسكين الذي لم يطلب منهم أن يعبدوه وأن يطلبوا شفعة ولو كان حيًّا لحمل عصًا وضربهم بها ضربًا مبرحًا لكي يبتعدوا عنه ولكنه متبرء منهم يوم الحشر ولكن ماذا حدث هذا الصباح؟

لقد كنا حول المائدة فقالت أمي لعمي أننا في الصيف سنذهب إلى ذلك المكان ولكن فجأة صرخ أبي واعترض وقال من اليوم فصاعدًا لن ننظر إلى ذلك المكان فقام بسرعة فائقة وحمل كتاب «العقيدة الإسلامية» وبدأ يفتح الأوراق فقال اقرئي موضوع زيارة القبور فقرأ، احذر يا أخي دعاء الأموات والاستعانة فهو من الشرك الأكبر ولا يملك الأموات شيئًا وادع الله وحده فهو القادر

والمجيب. فقالت أمي «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» فكم كانت فرحتي وسعادتي ذلك بأن أمي وأبي وعمي عرفوا الحقيقة وكان هذا هو هدفي الوحيد، فتوجهت بعدها إلى بيتي وحملت قلمًا وورقة لكي أعبر عن شكري لكم وأحكي لكم هذه الحكاية وأرجوكم أن تبعثوا لي مزيدًا من الكتب من كتبكم القيمة لأنني أريد أن أتعمق كثيرًا في الإسلام لأنه ديني الحنيف ولم نخلق نحن فيه هذه الأرض إلا للعبادة قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات] صدق الله العظيم.

توبة سريعة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحييكم بتحية الإسلام تحية أهل الجنة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

جزاكم الله خيرًا على المطبوعات التي أرسلتموها لي هي :

١ ـ حصن المسلم ـ من أذكار الكتاب والسنة .

٢ ـ مكانة الصلاة في الإسلام وحكم تاركها .

٣ ـ العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة .

٤ ـ الزمن القادم المجموعة الأولى .

وأطمع في المزيد من هذه الكتب لحرصي الشديد على معرفة تعاليم الإسلام .

وأود أن أعرفكم أن الله قد هداني بعد قراءة هذه الكتب والحمد لله وأصبحت داعية لزميلاتي وأقاربي وجيراني للتمسك بتعاليم الإسلام .

والحمد لله تخليت عن المشركات والأعمال التي كانت تبعدني عن عبادة الله عز وجل مثل سماع أشرطة الكاسيت والسهر على شرائط الفيديو والتلفزيون والنميمة والغيبة وارتداء القصير أما الآن فالحمد لله أصبحت مؤمنة بتعاليم الإسلام فقلبت وجه التلفزيون إلى الحائط ورميت إريال التلفزينون كي لا أتفرج ولا يتفرج أخواتي على الفسق والمنكرات في هذا الجهاز اللعين وأصبحنا كلنا والحمد لله منشغلين عن التلفزيون بسماع أشرطة القرآن والخطب الدينية

وقمنا بتكسير كل أشرطة الأغاني الماجنة والحمد لله على هداه.

أرجو أن ترسلوا لي كتابًا عن الحجاب وعقاب المتبرجة كي أقرأهم وأنصح زميلاتي الذين يعترضون على لبس الحجاب ويدعون أنه من مكملات الإسلام فلا داعي له. وجزاكم الله خيرًا

أختكم في الإسلام

أعظم هدية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة الأولى رقم (١)

٢٨ فبراير ١٩٩٣م

الإخوة الأفاضل المربيون في مؤسسة الحرمين الخيرية . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وكل عام وأنتم بخير بمناسبة شهر رمضان المبارك . . أدامه الله على المسلمين جميعًا بالخير والمحبة والرفاه . . أما بعد: لقد تسلمت هديتكم: «رسالة الخير» في يوم الأربعاء ٢٥/ ٢/ ١٩٩٣م لكن لم يكن هناك رقم للرسالة . . وفي الحقيقة أنا عاجز عن شكركم ومهما فصح لساني من بليغ الكلام، فلن يخرج إلا أقل القليل عما في قلبي من تقدير وحب واحترام لسيادتكم ولحسن معاملتكم ودعوتكم إلى الإسلام العظيم . . إن هديتكم هي أعظم هدية تسلمتها في حياتي، وكفى إنها من أرض الحرمين الشريفين مهبط الوحي على رسول الأمة الإسلامية جميعًا . . لقد قرأت جميع كتبكم في يومين فقط لإثارتها ولما فيها من عظمة وهداية وقد تأثرت بها بشدة وهي الكتب التالية: «كنت قبوريًا»، «العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام»، «المجموعة الأولى من الزمن القادم» . . ولقد كان أعظم تأثيري في كتابكم الأخير «الزمن القادم» والذي جعلني أندفع بالبكاء الشديد خوفًا من الله ومن الزمن القادم . . كم أتمنى من سيادتكم أن أتسلم المجموعة الثانية من «الزمن القادم» . . ولن أنسى لكم مثل هذا المعروف أبدًا، حقًا ما أعظم هذه الكتب القيمة . . وما تحمله صفحاتها من عظيم الكلام الذي لا يوزن بأموال العالم كلها . . وكم أنني أتألم بشدة على الكثير من المسلمين في هذا الجيل الساهين عن الحقيقة ومنشغلين بأمور الدنيا . . والذي أنا بلا شك كنت واحدًا منهم حتى

أرسل الله لي «رسالة الخير» من أرض الحرمين الشريفين حفظها الله في أعظم شهر عند المسلمين جميعًا «شهر رمضان» والتي نفعني الله بها كل النفع . . وقد أوضحت لي الأوراق الخاصة بشهر الصيام التي أرسلتموها لي أشياء كثيرة كنت لا أعلمها عن فوائد وواجبات وعظمة «شهر رمضان» إنه لعظيم الكرم منكم والآن : أنا ما زلت أحفظ في كتيبكم العظيم «زاد المسلم اليومي» وربما انتهى منه قبل وصول خطابي لسيادتكم كم هو حفاظًا وإفادة للمسلم!! أعدكم : أنني سوف أحاول جاهدًا أن أجعل أكبر قدر من المسلمين يقرأ هذه الهدية وذلك عن طريق إهدائها لمكتبة المسجد المجاور لنا . . ما رأي سيادتكم في هذه الفكرة؟ وفي النهاية : لا أجد إلا جملة واحدة متواضعة أهديها لكم لأعبر عن مدى حبي وتقديري واعتزازي بإيمان وأدب وأخلاق سيادتكم وهي : «بارك الله فيكم وأدخلكم فسيح جناته وحفظكم للإسلام ولأرض الحرمين الشريفين وحفظها لكم وكل عام وأنتم بخير .

الشيء المدهش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

إخواني القائمين على مؤسسة الحرمين الخيرية . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا أدري ماذا أكتب ولا أعرف كيف أعبر فالمداد الذي يكتب هذه الحروف قد اختلط به شعور دفين بالخجل وشعور بالخجل من الله أولاً وشعور بالخجل من نفسي ثانيًا وإحساسي بأن نفسي ليس أنا الآن.

ذهبت لاستلام خطاباتي من مسؤول الخطابات في الكلية وحسنًا هذا طابع الملك الحسن الثاني وهذا آخر يحمل اسم الجزائر وثالث يحمل طابع أسبانيا كل ذلك عادي فأنا أستقبل أسبوعيًا خمس خطابات من فتيات يطلبن المراسلة أما الطرد الذي يحمل طابع المملكة العربية السعودية فهذا الشيء المدهش فأنا لم أراسل أي هيئات في السعودية ـ ولا أعرف أيضًا ـ فكيف جاءت هذه الكتيبات؟! وما غرضها؟ عرفت من خلال اسمي أن عنواني أخذ من نفس المجلة لأن كل الرسائل التي وصلتني تحمل اسم «عثمان حسن الفرجاني» على الرغم من أن اسمي عثمان حسن عبد الرحيم محمود الفرجاني وعدت بالكتيبات ولفت نظري عنوان «الزمن القادم» لابد أن اختيار كتاب يحمل هذا العنوان له دلالة بعد أن قرأت الكلمات أحسست إني كنت مقدمًا على خطوة غير محسوبة فأنا لم أراسل الفتيات اللاتي أرسلن لي وكلهن من المغرب والجزائر ليس لإحساسي بأن ذلك خطأ ولكن لأن الخط الذي يكتبون به رسائلهم سيء وكنت

في انتظار واحدة أو اثنين على الأكثر لكي أراسلهن بشرط أن يكون خطهن واضحًا ومميزًا ولكن بعدما حدث اليوم قررت أن أعتزل هذه الهواية السخيفة التي لم أبدأها وأرجو من الله أن يبعد عني شياطين الناس الذين يزينون طريق السوء فهل تصدق أن في كليتنا لا يوجد إلا أسرة واحدة «مجموعة طلبة» تلتزم بحدود الله بعيدًا عن الحفلات الماجنة وإلى هذه اللحظة ما زلنا نفكر في نشاط يوافق عليه أمن الكلية وقد طرأت فكرة عرض شريط فيديو عن البوسنة والهرسك المسجل بواسطة لجنة الإغاثة من نقابة الأطباء والله الموفق لما فيه الخير وأحب أن أطمئن سيادتكم بأن أخاكم يصلي والحمد لله من الملتزمين لكن التيار هناجارف بكل معنى للكلمة فالناس تهرب من كل ما يمس حروف دون بل تعتبر ذلك مصدر متاعب وأن علينا أن نخوض مع الخائضين حتى لا نبدو مختلفين مع أغلبية الناس ومن هنا تبدأ المتاعب.

إخواني أشعر بأني غير قادر على إيقاف الكلام لكن لكل شيء حدود وأتمنى من الله أن تساعدوني فيما يلي:

١ ـ إذا كان ممكن إرسال أي كتب للشاعر محمد إقبال فطالما تمنيت أن أقرأ له.

٢ ـ الدعاء أن يبعد الله عني شر الفلق فإني أحس بعدم الأمان بعد وفاة والدي دائمًا أرجو ألا تحرموني من هذا الدعاء.

٣ ـ أتمنى شرائط للشيخ محمد المحيسني حيث لا يتوفر عندنا إلا دعاء ختم القرآن وخطبة عن خطبة الوداع أتمنى أن أملك المصحف المرتل لصوته وبالنسبة لهذا الطلب أنا على أتم الاستعداد لتحويل ثمنه منه فأرجوكم.

استغلال الظروف

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

الحمد لله رب العالمين الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، وهدانا إلى صراطه المستقيم وجعلنا من الذين أنعم الله عليهم من الصالحين وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وكل من تبعهم وسار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

إخواني الأشقاء أكتب لكم هذه الرسالة لعلها تحن قلوبكم على أخوكم في الدين التائه في دوامة من المشاكل وأنا شاب لا أتجاوز ١٧ ربيعًا حكايتي هي أن أبي بفعل مشاكل اجتماعية دفعت به إلى دخول السجن تركنا نحن الأبرياء في هذه الدوامة نتخبط بها منها مشكلتنا في السكن حيث انتهت مفعولية عقد الإيجار التي تبلغ ٣٠٠٠ د.ج للشهر، ومرتبي أمي لا يتجاوز ٣١٥٠ د.ج للشهر ويبلغ ثمن مسكن العادي ما بين ٨٠٠٠٠٠ د.ج و١٠٠٠٠٠٠ د.ج نعم ومن أين ومن هنا نحن مهددون بإلقائنا إلى الشارع كما تعلمون أننا في فصل الشتاء البارد والجوع واليأس بسبب لا يوجد أحد من عائلتنا ينفق علينا وفي أحد الأيام كنت أتتبع أحد الإذاعات فإذا بي أسمع أنها تمنح المساعدة لمن يحتاج فلم أتردد فبعثت رسالة شاكيًا فيها عن مشكلتي وبعد أيام تلقيت ردًّا من هذه الإذاعة أنهم عرضوا علي مبلغاً خيالياً لشراء منزل فخم ومحلين للتجارة مقابل الدخول في دين المسيح وليس هذا فقط بل أن أدعو أصدقائي الشباب لاعتناق الدين المسيحي وبعد

تفكير طويل رفضت هذا العرض المطروح نعم ككوني أؤمن بالله واليوم الآخر وبكتابه وكيف أبيع أعز ما أملك وما تبقى لي من هذه الدنيا؟ كيف أبيع تعب ودم سيدنا محمد ﷺ والشهداء والأجداد الذين ضحوا من أجل نشر والدفاع عن ديننا كيف أخون الله؟ فقبلت بأن أموت جوعًا وأن أسكن الشارع وأن لا أوافق على هذه الفكرة.

ليس عندنا علماء

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته

بسم الله أكتب إليكم هذه الرسالة راجية من المولى عز وجل أن تكون هذه الرسالة، رسالة خير لي ولإخواني أينما كانوا ووجدوا، لقد شاء الله أن يقع بين يداي كتاب، جازى الله كاتبه وناشره وموزعه عني كل خير وعن الأمة الإسلامية، هو كتاب «الزمن القادم» المجموعة الأولى للكاتب «عبد الملك القاسم» لقد قرأته ونيتي للمطالعة لا غير ولكن لحسن حظي قرأته كأنني لم أقرأ كتابًا في حياتي، قرأته وقلبي يهتز بين أضلعي وعيناي تفيض دمعًا وما أتممته إلا وقد خارت قواي واختلطت الأمور من حولي وتشتت أفكاري ولم أعد أدري ماذا يحصل لي، لقد قرأت ذلك الكتيب، فكان بمثابة الضالة التي كنت أبحث عنها بطريقة غير مباشرة، وإني لأحمد الله حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أنني صرت إنسانة جديدة، وكأنما ولدت من اليوم الذي وجدت فيه ضالتي، فصرت إنسانًا كما يريده الله، لقد ذهب ربع قرن من عمري سدى، ربع قرن من عمري ذهب هباءً منثورًا، ولست أدري كم تبقى من عمري حتى أستدرك ما فاتني من خير؟! ماذا عساني أن أقول والمرارة التي أحسها لا يعلمها سوى الله، الذي فرطت في حقه الكثير والكثير عن جهل وغفلة، وأعود وأحمده لأنه شاء لي أن أعيش عيش السعداء، فقد صرت أصلي الصلاة المكتوبة بحرص شديد وشوق كبير ولا يفوتني قيام الليل حيث أجد فيه كل سعادتي وأنا أناجي ربي الكبير بكل ما يحمله صدري ولا يعلمه إلا هو وكل يوم يمر إلا وأقضي يومًا

من الأيام التي لم أصل فيها ضف إلى ذلك قراءة القرآن وقراءة التفسير لما قرأت زائد صيام الاثنين والخميس، لقد تغيرت حياتي بأسرها، فرسمت لنفسي برنامجًا جديدًا يكون المسلك الوحيد لسعادتي في الدارين.

إن الإيمان الذي يملأ جنبايا جعل الدنيا في عيوني جنة بينما بالأمس لا يعمله سوى الله ثم أنا، فيسألونني: «تبدو السعادة على وجهك، فهل وجدت عملاً أم وجدت فارس أحلامك»، فأبتسم مجيبة: «لا هذا ولا ذاك بل أغلى من كل ذلك». نعم لقد وجدت الكنز الذي هو أبهظ الكنوز في الكون كله، هو مفتاح سعادة قلبي، إخواني أعرفكم بنفسي: أنا أختكم: (.....)، ٢٧ سنة غير متزوجة، متخرجة منذ ٣ سنوات من معهد اللغات اختصاص لغة انجليزية، من أسرة بسيطة جدًا، دون عمل لكثرة البطالة في بلادنا، بشكل فظيع، ظروفي المحيطية والمعيشية، ليست بالجيدة ولا بالسيئة، فهي حال أغلب البسطاء، خصوصًا بعدما تدنت حالة البلاد الاقتصادية والأمنية، المهم لله الحمد، فالأهم قد وجدته وبه أحس أن الدنيا ملكًا لي ولا أفتقد شيئًا مادامت الدنيا في عيناي صارت لا شيء، لقد قرأت آخر صفحة من الكتيب «الزمن القادم» ففهمت أنه علي وعلى كل مسلم عرف حلاوة الإيمان أن يساعد المحرومين من هذه النعمة العظمى، فإما بالمال، فالله وحده يعلم أنني لست غنية، وليس لدي عمل أستطيع به مساعدة أبي ومساعدتكم، لكنني كلما جمعت القليل أو الكثير من المال سوف أبعث إليكم شطره على جناح السرعة والشطر الآخر أساعد به أبي المسن.

ولكن هذه المساعدة تبقى محدودة جدًا، فهذا وكيف عساني أن أساعدكم أثابكم الله؟ أرشدوني كيف أستطيع أن أساعدكم، فدعواتي لكم لا تنقطع منذ وجدت ضالتي بسببكم، أرشدوني جزاكم الله عني كل خير.

إخواني أرجو أن تعتبروني من اليوم أختًا لكم في الله، فترسلوا إليَّ الكتب النيرة التي بها أزداد معرفة بديني، وكذلك إذا أمكن عنوان أخت في الله أصادقها في الله ولله، تعينني على أمر ديني بالكلمة الطيبة والنصيحة الصادقة لأننا هنا محرومون من كل شيء يتعلق بالدين، فلا الكتب الدينية موجودة، إلا ما لا يسمن من جوع وبأثمان ليست في متناول الجميع وهناك حلقات ذكر للتفقه في الدين، بل باختصار شديد الظروف التي نعيشها غصبًا عنا تجعل المؤمن الحق يكتم إيمانه في قلبه ولا يستطيع الاستزادة بطريقة أو بأخرى ولا نفع غيره بطريقة أو بأخرى فهي ظروف أقسى من القسوة نفسها، ليس عندنا علماء مثلكم، ولا ملتقيات إسلامية ولا حتى أئمة تنطق بما يرغبنا في اللجوء إلى الله، كل شيء نتكلم فيه إلا الإسلام حقيقة وعلمًا، الأوضاع التي نعيشها لا أتمناها حتى لأَعْدَى العِدَى فهي تهيت الأهل في النفوس لولا عناية الرحمن، معذرة إخواني فقد أطلت عليكم سهوًا مني، ففرحتي بكم أنستني الكثير فلا تبخلوا علي بأخوتكم وصداقتكم ونصحكم، وأنا لن أتأخر عنكم بأية مساعدة تطلبونها مني مستقبلاً في سبيل الله، وإذا أردتم أن أرسل إليكم الوثائق الخاصة بحالتي الشخصية فلن أتأخر، المهم أن أضع يدي في يدكم لنصرة هذا الدين الرائع الذي أحياني بعدما كنت ميتة، وهذا عساني أن أقول لكم فقد أحببتكم في الله حبًا يجعل لساني لا يفتر عن الدعاء لكم بكل خير وفضل فهو وحده سبحانه وتعالى الذي يستطيع مكافأتكم، وأرجو من الله عز وجل أن أصبح أختًا لكم تفيدونني بما أنعم الله عليكم من نعمة العلم، لأنني لا أزال في بداية الطريق، وأنا بدوري لن أنساكم من فكري ولا من دعواتي ولا من رسائلي ولا من المساعدات التي تطلبونها مني، ولن ترون مني إلا ما يفرح صدوركم بإذن الله.

ولكم مني فائق الاحترام والمودة الصادقة، في رسالة أخرى بإذن الرحمن.

أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

فتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ/ القيام بطبع الكتب الإسلامية الصحيحة وتوزيعها هل يعتبر من العلم الذي ينتفع به الإنسان بعد موته؟ وهل يستوي في ذلك الكتب العربية وغير العربية؟

الجواب: لا شك أن طبع الكتب ونسخها ونشرها مما يحصل به فائدة وزيادة معلومات بتلك المؤلفات فمن نشرها وأوصلها إلى من يستفيد منها فله أجر من ترك بعده علمًا ينتفع به فيدخل في قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [رواه مسلم]، وليس العمل يختص بمن عمله أو كتبه بل يعم من طبعه ونشره وأرسله إلى من يحتاجه في الدول والبلاد والتي تحتاج إلى تلك المعلومات ففيه الحث على نشر العلم وطبع كتبه وتوزيعها حتى يبقى الأجر مادام يقرأ في تلك المطبوعات ويدخل في ذلك ترجمة الكتب إلى اللغات الأجنبية التي يتكلم بها جموع من الإسلاميين وغيرهم فإن في نشرها بتلك اللغات المتعددة إيضاح لمعانيها لكي يفهموها ويعملوا بها لمشقة تعليمهم اللغة العربية لأول مرة فلذلك نرى نشرها بكل لغة يستعملها جمع من الإسلاميين وغيرهم ليعم النفع وتحصل الفائدة، والله أعلم.

عضو الإفتاء بالرئاسة العامة

لإدارة البحوث العلمية والإفتاء

عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين

حتى لا تتوقف

أيها الحبيب:

عليك باستشعار عِظَمِ الأجر لك من الله عز وجل في مقابل هذا الجهد القليل . . فإن أسلم كافر فلك مثل أجر عمله إلى يوم القيامة . . ومن اهتدى على يديك فلك مثل أجر صلاته وصيامه وزكاته وحجه . . إنه طريق مشرع لدخوله حتى ينالك من الأجر والمثوبة ما الله به عليم .

أيها الحبيب:

هذا الدين ميسر أمره، وواضح طريقه . . فقط عمل يسير في الدعوة ثم سوف ترى النتائج الباهرة التي تقر عينك وتشرح صدرك .

جمعني الله وإياك ووالدينا وأحبابنا في جنات عدن ورزقنا الإخلاص في القول والعمل وجعل أعمالنا صوابًا خالصة لوجهه الكريم .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

هل من مشمر؟!

المقدمة ٧
مدخل ٨
نداء ٩
التشميرة الأولى ١٠
التشميرة الثانية ١٢
التشميرة الثالثة ١٤
التشميرة الرابعة ٢٠
التشميرة الخامسة ٢١
التشميرة السادسة ٢٢
التشميرة السابعة ٢٤
التشميرة الثامنة ٢٧
التشميرة التاسعة ٢٩
التشميرة العاشرة ٣٠
التشميرة الحادية عشرة ٣١
التشميرة الثانية عشر ٣٢
التشميرة الثالثة عشرة ٣٤
التشميرة الرابعة عشرة ٣٧
التشميرة الخامسة عشرة ٤٢

الموضوع	الصفحة
التشميرة السادسة عشرة	٤٣
التشميرة السابعة عشرة	٤٥
التشميرة الثامنة عشرة	٤٦
التشميرة التاسعة عشرة	٤٩
التشميرة العشرون	٥١
التشميرة الحادية والعشرون	٥٢
التشميرة الثانية والعشرون	٥٤
التشميرة الثالثة والعشرون	٥٥
التشميرة الرابعة والعشرون	٥٧
التشميرة الخامسة والعشرون	٦١
التشميرة السادسة والعشرون	٦٣
التشميرة السابعة والعشرون	٦٤
الخطوة الأخيرة	٦٦
وحتى يستمر التشمير	٦٧

صوت ينادي

الصوت	٧١
الصوت الأول	٧٣
الصوت الثاني	٧٦
الصوت الثالث	٧٨
الصوت الرابع	٨٠
الصوت الخامس	٨٤
الصوت السادس	٨٩

الموضوع	الصفحة
الصوت السابع	٩٠
الصوت الثامن	٩٣
الصوت التاسع	٩٥
الصوت العاشر	٩٨
الصوت الحادي عشر	١٠١
الصوت الثاني عشر	١٠٤
الصوت الثالث عشر	١٠٧
الصوت الرابع عشر	١٠٩
الصوت الخامس عشر	١١٢
الصوت السادس عشر	١١٤
الصوت السابع عشر	١١٧
الصوت الثامن عشر	١٢٠
الصوت التاسع عشر	١٢٢
الصوت العشرون	١٢٤
الصوت الحادي والعشرون	١٢٦
الصوت الأخير	١٣٠

إلى من حجبته السحب

المقدمة	١٣٣
قبل البداية	١٣٤
القصة الأولى	١٣٥
القصة الثانية	١٣٨
القصة الثالثة	١٤٢

الموضوع	الصفحة
همسة صادقة	١٤٦
الحرب القذرة	١٤٧
قصص التائبين	١٤٨
كلمات في التوبة	١٥٠
خمس دقائق	١٥١
الأنغاس الأخيرة	١٥٣
أبشر برحمة ومغفرة	١٥٤
لا تكن من هؤلاء	١٥٦
أبشر بخير عظيم	١٥٨
أين أنت؟	١٦٠
سبحان الله العظيم	١٦٤
خير الزاد	١٦٦
احذر	١٦٧
هذه هي أولوياتنا	١٧٠
وماذا لي إذا عدت؟	١٧٥
فوائد	١٧٧
الحق والباطل	١٨٠
علامات مضيئة	١٨٢
الهمة العالية	١٨٣
أمطر الخير مطرًا	
المقدمة	١٩٧
أمطر الخير	١٩٨

الموضوع **الصفحة**

الخاتمة ٢٥٠

دليل المراسلة الإسلامي

الإهداء ٢٥٣
المقدمة ٢٥٤
قبل البداية ٢٥٥
لماذا هذا العمل ٢٥٦
متطلبات العمل ٢٥٩
من أين تؤخذ العناوين؟ ٢٦٠
اللغات التي يمكن المراسلة بها ٢٦٢
من يقرأ ما نرسل؟ ٢٦٣
أكثر من خمسين قارىء ٢٦٤
محجوز لمدة شهر ٢٦٦
استجابة سريعة ٢٦٨
من أين تشتري الكتب؟ ٢٧٠
من يقوم بهذا العمل؟ ٢٧١
بداية الطريق ٢٧٢
الظروف ٢٧٤
نموذج لرسالة أولى ٢٧٦
البريد ٢٧٨
الرسالة الأندونيسية ٢٨٠
نموذج لأسرة دعوية ٢٨٢
الكتب المرسلة ٢٨٣

الموضوع	الصفحة
كتب مقترحة	٢٨٧
نقاط	٢٨٩
لمن لا يستطيع	٢٩٢
التنصير	٢٩٣
نماذج تنصيرية	٢٩٤
لا يتركون أحدًا	٢٩٥
دروس في الفكر	٢٩٦
أنت مستهدف	٢٩٧
في كل مكان هم	٢٩٨
على مر العصور	٢٩٩
وقد تلين بعض القلوب	٣٠٠
إذا وصل النور	٣٠٢
يمنة ويسرة	٣٠٤
نماذج	٣٠٥
إلى الله المشتكى	٣١٢
وسارعوا	٣١٣
نور الإيمان	٣١٦
لا أريد إلا كتبًا	٣١٨
الشرك بالله	٣٢٠
توبة سريعة	٣٢٢
أعظم هدية	٣٢٤
الشيء المدهش	٣٢٦

الموضوع	الصفحة
استغلال الظروف	٣٢٩
ليس عندنا علماء	٣٣١
فتوى	٣٣٥
حتى لا تتوقف	٣٣٦
الفهرس	٣٣٧

* * *